اللغة الإعلامية

المفهوم والخصائص - الواقع والتحديات



الدكتور
محمد حمزة الجابري



www.darkonoz.com

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة الإعلامية

المفهوم والخصائص ـ الواقع والتحديات

اللغة الإعلامية

المفهوم والخصائص - الواقع والتحديات

الدكتور

محمد حمزة الجابري



الطبعة الأولى

1434هـ - 2013م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2013/1/18)

302.23

الجابري، محمد حمزه

اللغة الإعلامية المفهوم والخصائص الواقع والتحديات/ محمد حمزه الجابري._ عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2013

( ) ص.

ر.أ: (2013/1/18)

الواصفات: / الإعلام// وسائل الاتصال الجماهيري// اللغة العربية/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 247 - 8

دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري

تلفون: 4655877 6 962+ - فاكس: 4655875 6 962+

موبايل: 5525494 79 962+ - ص. ب 712577 عمان

الموقع الإلكتروني www.darkonoz.com

إيميل: info@darkonoz.com - dar_konoz@yahoo.com

تنسيق وإخراج: صفاء نمر البصار

00962 76 5288504
safa_nimer@hotmail.com

فهرس المحتويات

المقدمة[1]

باللغة يحقق الإنسان إنسانيته، وبواسطتها يثبت وجوده وتعامله مع الآخرين، بها يؤكد منزلته كعضو فاعل ومنتج في مختلف الفضاءات الاجتماعية، حيث تعتبر اللغة إحدى مقومات الأمة نظرا لدورها في بناء وتجذير الشعور بالانتماء إلى مجموعة لها خصوصياتها الثقافية كما تمثل اللغة أحد العناصر الأساسية للهوية والتي لا يقتصر مضمونها على التضامن المكون للذات الجماعية فحسب إنما يمتد إلى الفاعلية التاريخية التي تتجلى – عبر اللغة – بالمقدرة على المشاركة في الإنتاج الحضري أي في الإضافة الفكرية لأن الهوية بناء تاريخي متجدد، وهذا يعني أن اللغة هي أيضا في صلب ديناميكية التطور.

والخطاب العربي اتصف بالقداسة ففي العديد من النصوص – قديمها وحديثها – أكد ولا يزال يؤكد على قوة فاعليته في التاريخ الثقافي العربي ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

وعلى سبيل الذكر ومن منطلق رؤية قومية يجزم ساطع الحصري بأن « لا الدين ولا الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية».[2] ويضيف حليم بركات: «إن اللغة ليست مجرد وسيلة للتخاطب ونقل الثقافة من جيل إلى جيل، وليست وعاء يختزن أفكارنا ومشاعرنا ومعتقداتنا ورسائلنا فحسب.. إننا نتعامل مع اللغة على أنها شيء في داخلنا».[3]

١- مجلة الإذاعات العربية (مجلة يصدرها اتحاد الدول العربية)، العدد ٢ العام ٢٠٠٢

٢- ساطع الحصري / ماهي القومية / بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٥٩م.

٣- حليم بركات / المجتمع العربي المعاصر / مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩١.

إن هذه القداسة تعهدت باستمراريتها دساتير الدول العربية والمناهج الرسمية للتعليم بكل مراحله ودور النشر والمؤسسات الصحفية. على أن هذه القداسة باتت - ومنذ أواخر القرن التاسع عشر - موضع تساؤل: إن ما اصطلح على تسميته بلغة « الصحافة» مثلت بداية تحول على مستوى الممارسة، أي الكتابة والتوظيف اللغوي، تحول تولدت عنه مواقف متباينة تعكس رؤى متضاربة حول اللغة باعتبارها كائناً حيا ومقدرتها على مواكبة العصر، وتيسير عملية الإبلاغ واعتماد مبدأ التبسيط مع اعتبار مستويات القراء..

كما أن نفس الطرح قائم منذ أن تعددت القنوات التلفزيونية وارتفع حجم البث التلفزيوني كما ونوعا، أي منزلة، أي حضور لكل من اللغتين العربية الفصحى والحلية في البرمجة التلفزيونية. أهو حضور فاعل يساهم في تجذير علاقة المشاهد بلغة تراثه علاقة تتجلى في مطالعاته أو متابعته لما يطرح من قضايا فكرية عبر البرامج بمختلف أصنافها أم أن التوجه السائد أقرب إلى حضور اللهجات المحلية منه إلى الفصحى ؟ وهو ذا السؤال المطروح.

قد يجوز القول بأن المسألة اللغوية ازدادت أهمية مع تعدد البث المباشر والذي كشف بوضوح شمولية ظاهرة الازدواجية اللغوية - الفصحى والعامية - وتعميمها في علمية إنتاج المضامين بالنسبة لأغلب القنوات العامة والخاصة.

إن الوقوف على واقع ما يبث يوميا يفضي إلى نتائج تعكس توجها يتصف باتساع مساحة التوظيف للهجات المحلية وبداية تقلص منزلة الفصحى في البرمجة التلفزيونية.

وإذا استثنينا عينة من البرامج فرضت مادتها ومواضيعها وصفة المشاركين فيها منذ انبعاث التلفزيون العربي توظيف الفصحى كلغة تخاطب فإن نسبة هامة من المضامين المصورة - وقد تتجاوز نصف ما يبث يوميا - تنطق باللهجة المحلية، ومثال ذلك أغلب الأعمال الدرامية كالمسلسلات والأفلام والمسرحيات

والمنوعات إضافة إلى عديد المقابلات التي تخضع لنفس الممارسة لا سيما تلك التي تندرج ضمن البرامج الحوارية مع نجوم الأفلام والأغاني.

وهي في أغلب الحالات أكثر جماهيرية وتجدر الملاحظة إلى أن ازدواجية الاستعمال أو توظيف اللهجة المحلية بمفردها يمتد إلى البرامج الثقافية والتربوية والوثائقية.

إن الاختفاء خلف مبرر تيسير الإبلاغ والتلقي قد ينفيه اهتمام جمهور المشاهدين الأصلية هذا بالإضافة إلى التأثير السلبي في علمية تكوين النشء. إن اللهجات تخضع كغيرها من وسائل الاتصال لمبدأ التطور، غير أن التداخل لم تؤكد البحوث إيجابيته.

- فهل تعني هذه الظاهرة أن التلفزيون تخلى عن وظائفه السياسية التي حددها عند انطلاق البث عبر الصورة والصوت، ومن أهمها إثبات الذات الثقافية؟
- وهل تعني هذه الظاهرة أن اللهجات المحلية لا حظ لها في الإنتاج التلفزيوني وفي عملية الإبلاغ ؟
- وكيف التوفيق بين لغة الحياة اليومية واللغة العربية الفصحى ؟
- وأي لغة عربية غداً ؟

الفصحى في وسائل الإعلام بين الحضور والتغييب[٤]

تتزاحم إلى رؤوسنا الأخطاء اللغوية المنتشرة في وسائل الإعلام وتروعنا اللهجات العامية المسيطرة على التلفاز بخاصة كل ذلك عندما نعيد طرح إشكالية الفصحى في وسائل الإعلام.. نبدأ الإحصاء ثم نبدأ تصور الحلول بـ (يجب ولا بد ...) وكأننا بهذه الأوامر نضع حدا للإشكالية التي تؤرق الجميع ... ولكن ما أن ننتهي من أوراقنا حتى تعود إشكالية الفصحى بالحجم نفسه دونما حراك ...

وأتصور أن السبب في ذلك ينبع من نظرتنا الواقعية الأفقية للقضية وهو أمر يهمش ماضي الفصحى ومن ثم نتناسى عن عمد أن الفصحى استنبتت إشكالياتها معها منذ القدم ولذلك فإن المصارحة بجذور القضية تعني جهود القدماء لأنه شرط لوعي الذات المعاصرة بنفسها، ووعي الذات بنفسها شرط لاكتساب القدرة على التعامل الواعي مع إشكالية الفصحى في واقعنا الإعلامي المعاصر. وهذا الواقع بدوره ينقسم إلى بعدين من حيث المعوقات، فوقعنا الإعلامي مع الفصحى مليء بمعوقات داخلية وخارجية، فتضافرت ثغرات القدماء مع المعوقات الواقعية لتعقد الفصحى وتعلي من شأن اللهجات المحلية.

واعتقد ان نقد جمهور القدماء وإحصاء معوقات الواقع الإعلامي مع الفصحى سيضيء لنا الطريق أمام رؤية مستقبلية لواقع ومستقبل الفصحى في وسائل الإعلام ومن ثم فستتحرك في هذه الورقة على ثلاثة محاور أساسية تتمثل في:

٤- مجلة الإذاعات العربية (مجلة يصدرها اتحاد الدول العربية)، العدد ٢ العام ٢٠٠٢ / الدكتور محمد لحبيب التلاوي

- التخطيط لماضي الفصحى.
- واقع الفصحى في وسائل الإعلام.
- الرؤية المستقبلية للفصحى في وسائل الإعلام.

وللأخطاء اللغوية في وسائل الإعلام خطورتها المركبة لما لها من هيمنة تامة على الرأي العام وتشكيله بعد أن أصبحنا نشرب ونأكل الإعلام منذ الاستيقاظ وحتى المنام. والخطورة على الفصحى لا تمثل مجرد خطورة على لغة وإنما تمثل خطورة دينية وخطورة على الهوية القومية، لأن الفصحى ثقافة وحضارة، ولغة عقيدة وحياة.

وإذا كانت إشكالية الفصحى مع الإعلام كانت وكائنة وستكون فإن البدء بالتخطيط لماضي الفصحى لتبسيطها ولتحتويها وسيلة للأداء السهل الجميل أصبح من الأمور الأساسية. لأن التخطيط لمستقبل الفصحى في وسائل الإعلام لا بد أن يمر عبر التخطيط لماضيها، ليس فقط لأننا نحن العرب نفكر في الماضي كلما اتجهنا إلى المستقبل، ولكن لأن أكثر قضايانا يتنصب فيها الماضي كطرف أساسي حتى أصبح من الصعب علينا أن نجد طرق المستقبل ما لم نجد طريق الماضي، ولأن إشكالية الفصحى قد بدأها القدماء بثغرات عديدة.

لقد فجرت الفصحى أولى إشكالياتها قديما عندما كثر اللحن وشاع بسبب توافد الأعاجم على الإسلام، فأحدث اندماجهم ارتباكا في صفاء الفصحى وكثر اللحن حتى وصل إلى منطقة الخطر حيث قراءة النص القرآني، وهنا انتصب خط الغيرة الأحمر بفعل المردود المرتفع للتعبئة الإسلامية لمقاومة اللحن والقضاء عليه، فالتحم القرار السياسي مع رغبة جماعية في عهد الراشدين ... فتمكنوا من تأسيس قواعد اللغة العربية الفصحى، ويرجع ابن خلدون السبب إلى العمق الإيماني للمسلمين.. "فلما جاء الإسلام، فأوفدوا الحجاز لطلب الملك ... وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها مما يغايرها ... وخشي أهل العلوم أن تفسد تلك

الملكة ... فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين ... وقواعد يقيسون بها سائر أنواع الكلام ... ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا، وتسمية الموجب لذلك التعبير عاملا، واصطلحوا على تسميته بعلم النحو.(٥)

ونفيد من هذا الموقف الناجح أن التعامل مع إشكالية الفصحى في وسائل الإعلام لا يأتي بقرار سياسي فقط، ولا يأتي برغبة العلماء والمسؤولين فقط، وإنما يأتي بهما معا بالقرار السياسي وبالرغبة الجماعية القوية وعلينا أن نهيئ الرأي العام لهذا الأمر بفعل الإعلام.

ثم نحث صاحب القرار السياسي على خطوة مماثلة من أجل الفصحى التي هي الهوية وهي العقيدة في آن، ومعنى ذلك ألا نلقى التبعة على أصحاب القرار السياسي وحدهم، وأن لوسائل الإعلام دورها المهم في تعبئة الرأي العام كخلفية أساسية تحفز على التنفيذ.

أما العثرة الثانية للفصحى فلم ينجح فيها العرب المسلمون نجاحهم في مقاومة اللحن، لأن المشكلة قد نبتت نبتا داخليا عندما بلغ العلماء في التقعيد أو قل التعقيد في قواعد النحو العربي، ولا سيما في تصعيد الغريب والشاذ حتى أصبحت الإحاطة بالمسائل النحوية من الخيال لأسباب اجتزئ منها:

أ – الضارب في تحديد مصادر التقعيد النحوي ... فابن جني يخالف أكثر النحاة ويعتبر لغات العرب على اختلافها حجة وهو أمر قد صعّب المهمة التي كانت قد حددت (قريش/ تميم/ أسد/ قيس) كمصادر أساسية.

ب – غيبة المنهجية في التصنيف حتى أن الأخفش البصري وافق الكوفيين ولم تصبح مدارس وإنما مجرد رؤى ذاتية.

ج – تناول بعض الظواهر اللغوية على أساس شكلي صارم دونما قناعة منطقية

٥– المقدمة لابن خلدون

مما مكن للصنعة النحوية: فالمفعول به يرفع لأنه نائب فاعل تحت وطأة الوظيفة الشكلية الجديدة.

د - تأثر النحاة بالمنطق الأرسطي والرياضي بدلا من سيادة المنطق اللغوي قال ابن جني "استعمال ما كثر استعماله أولى وإن لم ينته قياسه إلى ما ينتهي إليه استعماله".

هـ - إقامة القواعد النحوية على المكتوب دون المنطوق بعد الجمع الأولى وترتب على هذا العناية باللغة كانت عناية نظرية وظهر (نحو الكلمة المقروءة) مع أن المنطق هو الممارسة العملية للغة حيث يقول د.عبد الجيد عابدين (أحب أن أبين خطأ بالغا قد وقع فيه النحاة القدامى وهو أنهم عنوا (بالمكتوب) ولم يعنوا (بالمنطوق) في دراستهم النحوية فكانت أحكامهم وتفسيراتهم كلها قائمة على ما يرونه بأبصارهم من الحروف المكتوبة لا على ما يسمعونه بآذانهم من الأصوات المنطوقة وهذا هو منشأ أخطاء كثيرة ومشكلات عديدة.

وهذه السقطات مجتمعة فقد تمددت في درسنا اللغوي المعاصر حتى أن النحو المكتوب هو السائد في التعليم الآن يبعده النظري بعيدا عن الممارسة النصية وبعيد عن النطق، وتباينت ردود الأفعال إزاء التراكمات التي قيدت انطلاق الفصحى وتمكننا منها أو تمكنها منا، فوجدنا من يطالب بالتسكين وحذف بعض أبواب النحو مثل سلامة موسى، ومنهم من نادى بتنقية القواعد من الخلافات النحوية ولا سيما الآراء المنفردة، ومنهم من نادى بالابتعاد قدر الإمكان عن التحليل الإعرابي التفكيكي أو نحو الكلمة المفردة واستبعاد الأبواب غير الوظيفية كبابي الاشتغال وعطف البيان والقواعد الفرعية غير الوظيفية أيضا كوجوب دخول إذا على الجملة الفعلية كما قال د. عبد الكريم مجاهد بينما انصرف كثيرون إلى التخليص والتبسيط وعناوين الكتب تشهد على ذلك: (المقتضب - الموجز المغني - الجامع - تبسط النحو العربي ...).

وانتقال هذه المشكلات، إلى واقعنا أثقل كاهل المتلقين للغة والمتعاملين بها فحنطوا على محصول ضخم لأبعاد نظرية مملوءة بالثغرات، وقلت الإفادة، وصعب الفهم، وكثر الخطأ عند الإعلاميين وغير الإعلاميين.

وإذا كانت المدرسة لمرحلة سنية بعينها والجامعة لمرحلة أخرى فإن وسائل الإعلام مدرسة للجميع، وهي المسيطرة علينا منذ الاستيقاظ صباحا وحتى النوم ليلا ... وهي الصانعة للرأي العام.

والاتصال كأساس إعلامي يقوي بقوة الصوغ اللغوي، ويضعف بضعف الصوغ اللغوي، قال مارشال ماكلوهان: إن الرسالة والوسيلة شيء واحد حيث يصعب فهم أي مضمون اجتماعي أو ثقافي دون معرفة كيفية عمل الوسيلة التي تحمل هذا المضمون والمناخ المحيط بها.

واللغة هي صلب مثلث الاتصال بأضلاعه الثوالث فالتفاعل الأول إرسال واستقبال الرسائل والثاني في صياغة وفهم تلك الرسائل، والثالث في المشاركة والاستماع فالأفكار. فبناء الرسالة يعتمد على اللغة، ورد الفعل محكوم بحجم التأثير اللغوي الحامل للفكرة، وإذا كانت اللغة هي صلب عملية الاتصال فيمكننا أن نقدر حاجة الإعلام ووسائله إلى اللغة الفصحى ودقتها وجمالها.

ولكن أي لغة تلك التي تحتاجها وسائل الإعلام؟

لا نشك في إن اللغة العربية الفصحى هي التي تمكن وسائل الإعلام من أداء وظيفتها بصورة مثالية، وذلك لما تمتلكه الفصحى من مفردا تمكن من دقة الوصف، ودقة التعبير، ودقة الإخبار.

ومن ثمة فالقناعة بأهمية الفصحى وسيطرتها على وسائل الإعلام رغبة لا تقاوم من أجل الإجادة والتميز لأنت اللغة الفصحى تمتلك إمكانات عديدة تفتقده إليها العامية.

وإذا تمددت هذه القناعة داخلنا، فإن توجسا وخوفا من الاقتراب من الفصحى سيحرك التردد فينا، لأن منطوق الفصحى يبعث وصيد الألفاظ الصعبة والتقريبات والتقسيمات التي أشرنا إليها ويتناسى الكثيرون أن الفصحى درجات وأن المطلوب تعميمه في وسائل الإعلام أبسط درجات الفصحى التي تستمد مدادها من لازمات العصر التعبيرية وهو أمر يمكن المثقف وغير المثقف والمتعلم وغير المتعلم من الفهم المتابعة والاستمتاع ولنا في صوغ نشرات الإخبار النموذج ... ولنا في خطبة الجمعة النموذج أيضا.

إذن فالفصحى ليست هي (الزعيج/ الجحاجح/ العرصات/ الجلمود/ أضواج/ افرنقعوا ...) ... يمكننا أن نرتفع بالفصحى تبعا لمستوى المتلقين.

وإذا ما وصلنا إلى واقعنا الإعلامي المعيش الآن سنلاحظ جملة من الإساءات التي تتبناها وسائل الإعلام ضد اللغة العربية الفصحى، ويمكن ان نقسم هذه الإساءات إلى قسمين كبيرين:

- القسم الأول: تبني اللهجات العامية على حساب الفصحى.
- القسم الأخير: ترويج الأخطاء اللغوية.

الإعلام وتبني اللهجات العامية[٦]

أعاد الإعلاميون العرب طرح قضية العامية ... بل وتبني الإعلاميون في التلفاز بخاصة الترويج للهجات العامية ويمكننا أن نلاحظ بالمقارنة نسبة ما يبث بالفصحى في التلفاز، وعندئذ سنكتشف الحقائق المروعة ولا سيما عندما تجهر بعض القنوات العربية بلهجاتها المحلية وتحرص عليها لا كلهجة وإنما كلغة داخل اللغة كنوع من التميز المزعوم.

وقد لا نجد غرابة عندما نلاحظ أن أصوات إعلامية وثقافية شامية تبنت الترويج للعامية منذ مطلع هذا القرن. ولما كان الاستعمار قد روج للعامية في وقت باكر من القرن الماضي وفي النصف الأول من هذا القرن كان الهدف واضحا ومحددا والاستعمار أهدافه لا تخفى على أحد وما زالت نداءات إحلال العامية الفصحى تتردد في أسماعنا منذ الرغبة الاستعمارية التي تبناها (ويليام ولكوكس، ثم ويلمور ثم صمويل موريه ...).

وفشلت النداءات الاستعمارية أمام خط الغيرة الأحمر الذي انتصب داخلنا ورأى في اللغة الفصحى حفظا للعقيدة وحفظا للهوية وحفظا للتراث وذريعة لوحدة عربية.

لكن تبني بعض وسائل الإعلام العربية للعامية عن قصد أو غير قصد – أمر له خطورته المركبة أولا لسرعة انتشار وتأثير وسائل الإعلام، وآخر لأن هدم الفصحى بالعامية قد جاء بمعاولنا ومن داخلنا هذه المرة، وكأننا حفرنا لأنفسنا الخنادق المضادة للتجاوز، ولنحقق رغبة استعمارية فشل الاستعمار في الفوز لها سابقا.

٦– مجلة الإذاعات العربية (مجلة يصدرها اتحاد الدول العربية)، العدد ٢ العام ٢٠٠٢ / الدكتور محمد نجيب التلاوي

وأود الإشارة هنا إلى أنه من الخطأ تصور الفصحى والعامية كثنائية، لأن اللهجة حقيقة علمية ولغوية تتفرع من الفصحى بضعف وتنتمي إليها بقوة، لذلك لا نفهم من هذا أنني أهاجم العامية لأننا عندئذ نناقض أنفسنا لأننا على الأقل نفكر بها.

ونحن في حاجة إلى العامية والفصحى ولكن لكل منهما مجاله ولقد عاشت العامية والفصحى معا، وكان للأدب العربية فضل السبق في العناية بالأدب الشعبي إلا أن وسائل الإعلام في حاجة ماسة إلى الفصحى أكثر من حاجتها إلى العامية، وذلك لن إمكانات الفصحى أضعاف إمكانات العامية، مما يساعد الإعلامي على دقة التعبير في أي وسيلة إعلامية، بالإضافة إلى مركز الصدارة وحجم الانتشار الواسع لوسائل الإعلام، ودورها في حفظ الهوية في عالم يموج بقنوات فضائية وتوجهات فكرية متباينة تصل حد التطرف قياسا بعاداتنا وتقاليدنا، ومن هنا وجب على من يقود المجتمع أن يرتفع بلغة المجتمع ارتفاعا يتوازى مع الأهمية القصوى لوسائل الإعلام والأهمية القصوى للغتنا الفصحى، وهي أهمية يجب أن تستعيدها من خلال تبني وسائل الإعلام لها بشكل عملي وتطبيقي.

وقنوات التلفاز لم تعد مكتفية بإفشاء العامية بل إنها بدأت تسيء إلى العامية نفسها وذلك بالسماح للأعمال الدرامية والإعلانات التجارية بترديد ألفاظ متدنية وذكرها يثير في النفس قدرا كبيرا من الابتذال والاستهتار واللامبالاة.

ومن ناحية أخرى أصبحت الدراما التلفزيونية التي تقدم التاريخ والسير وسيلة للإساءة إلى الفصحى على الرغم من التزمها بالفصحى، ولكنها تقدم الحوار بمفردات بعيدة عن لازمات العصر التعبيرية، فضلا عن التجهم والغضب في أكثر من الحوارات والافتعال في مستوى الأداء الصوتي وطريقة أدائه من الممثلين وهي أمور في جملتها تقدم الفصحى في شكل افتعال لا انفعال مما يقطع وشائج الصلة بينها وبين المشاهدين والمستمعين.

الإعلام وترويج الأخطاء اللغوية[٧]

عن قصد أو غير قصد استفحلت الأخطاء اللغوية عند أكثر الإعلاميين، لأن الأخطاء تستمد مدادها من ثغرات فتقها القدماء الذين بالغوا في التقعيد والمسائل الخلافية والترحيب بالشواذ فضلا عن ضيق مساحة الممارسة العملية لنطق الفصحى عند المعاصرين، وأيضا لوجود مسافة شاسعة بين حفظ القاعدة النحوية والتطبيق لهذه القاعدة فضلا عن قلة المحفوظات النصية التي كان يمكن لها أن تدرب اللسان على سلامة النطق وصحة الأداء.

والأخطاء اللغوية منتشرة بين الإعلاميين وغير الإعلاميين، لكن انتشارها بين الإعلاميين هو الأهم لما سيترتب على ذلك من صدى واسع النطاق بين أرجاء الناطقين بالعربية ولا سيما من وسائل الإعلام المروءة والمرئية فالمسموعة.

ويمكننا إحصاء نوعية الأخطاء المتداولة في نقاط بعينها وهو إحصاء الغرض منه كيفية تقديم العلاج السريع، وكيفية السيطرة على مقاليد الفصحى بأقصر الطرق وأقل المجهود، أتصور أن مصدر الأخطاء يتمثل في:

١ – أخطاء النطق الضبط:

أما عن أخطاء النطق لمخارج الحروف فهي أخطاء محدودة وتحتاج إلى دربة لإخراج بعض الحروف من مكانها الطبيعي نحو (ذ/ج/ق ...).

وبالنسبة للضبط فهو في جزأين:

٧– مجلة الإذاعات العربية (مجلة يصدرها اتحاد الدول العربية)، العدد ٢ العام ٢٠٠٢ / الدكتور محمد لجيب التلاوي

الأول يتمثل في ضبط حروف الكلمة الداخلية ضبطا صحيحا نحو: (مِصْر/ عَرِف/ يَسْلِب/ غَرِق)، (مَصَر/ عَرَف/ يَسْلُب/ غَرَق).

ويمكن البدء بمعرفة ضبط حروف هذه الكلمات الأكثر تداولا، واصطحاب المعجم يعد عاملا مساعدا أساسيا لا بد منه. أما المشكلة الكبرى فهي ضبط أواخر الكلمات، لأن هذا الضبط مرتبط بتحديد المعاني، ومن ثم لا بد من الانتقال عبر خطوات تمكن من الاستيعاب والدربة بدلا من القفزات الطموحة والتي غالبا ما إعادتنا لنقطة الانطلاق فحققنا وهم الحركة واكتفينا بالثبات، ولذلك اعتقد أن البدء بأساسيات الجملة العربية (المسند والمسند إليه) مع البدء أكثر من الجمل تداولا (المفعول به/ الحال/ التمييز ...) وليس المهم معرفة القاعدة وإنما الأهم إجادة النطق والكيفية المثلى لأساسيات الاستخدام: الجملة الاسمية والجملة الفعلية، والجملة الطويلة والأخرى القصيرة ...

وإجادة المرحلة الأولى لا بد من تدعيمها بالدربة والممارسة نطقا وكتابة ولا سيما القراءة بصوت مرتفع.

٢ – أخطاء في دلالة الألفاظ:

والأخطاء في استخدام اللفظة لمعناها بدقة أخطاء مركبة متراكم من الثغرات، وبداية لفظة تحل محل أخرى وتؤدي معناها، لأن لكل لفظة دلالتها الخاصة، وأن الترادف وهم فالسيف له أسماء عديدة لكن استخدامي لـ (الفيصل) لا يمكن أن أستبدله بـ (البتار، أو المهند ...) لأن كل لفظة لها استخدام خاص بقدر ما تحمل من خصوصية وتميز بصفة لا تتوافر في كلمة أخرى ومن هذا المنطلق فـ (الرؤيا ليست هي الرؤية، والهرم غير الشيخوخة، والأزهار والزهرات ليس هي الزهور ...).

وأعتقد أن الوقوف مع دلالة اللفظ بدقة يأتي من خلال إعلان عن صداقة المعجم وإنهاء الخصومة والمقاطعة معه وأما للجوء إلى كتيبات الأخطاء اللغوية

الشائعة فمجرد مسكنات وليست حلا جذريا وكل منا يمكن أن يتعود على المعجم واستخدامه ولا بد أن يكون أساسيا في حياتنا الإعلامية.

٣ - دقة استخدام الحروف في بناء الجملة:

إذا كان الإنجليز يردون بأن معرفة حروف الجر تعني معرفة نصف اللغة فإن استخدام الحروف في لغتنا العربية لا يقل عن هذه الأهمية وقد جرت العادة على الاستهتار في استخدام الحروف مما يقلب معاني الجمل قلبا تاما ويؤثر في الصوغ اللغوي تأثيرا بعيد المدى قد يصل حد إعلان المعنى المضاد (رغبَ في / رغب عن).

والدقة التعبيرية تبدأ من إجادة استخدام الحروف ولا سيما حروف جر (بدلا من / بدلا عن/ اثر فيه/ أثر عليه/ ضحك عليه/ ضحك منه/ تردد على / تردد إلى ...) ثم الاستخدامات المتنوعة لبعض الحروف الأكثر انتشارا وتأثيرا على تراثنا ومستقبلنا وهو ارتفاع بمستوى الفكر للرأي العام.

وفي بدايات القرن المقبل سنجد تحديا جديدا وفريدا وسيهدد اللغة الفصحى في وسائل الإعلام وعلينا أن نتهيأ لمواجهة هذا الخطر القادم، وذلك بالتمكن من أساسيات الفصحى وتذوقها والعناية بها كخطوة أولية أما الخطر في مطلع القرن فلن يكون صراعا مجرد تحريك لدلالة كلمة تمثل خطا شائعاً ... وإنما سنجد الخطر القادم يخترق عمق الفصحى ليهدمها من الداخل ويشيع الفوضى التعبيرية والإرهاصات قد بدأت في محاولات شعراء الحداثة العرب لتبني بعض الظواهر اللغوية الشاذة وتبني بعض الأفكار السوداوية والتي انبثقت في أوروبا من فلسفات التشاؤم والتشظي والاغتراب وهي أفكار محملة بقدر كبير من السوداوية والعداء لإنسان وللهجوم على أعز ما يملك من قيم وامتيازات موروثة، واسمحوا لي أن استعرض لحضراتكم أمثلة للنماذج الصياغية الساعية إلى تفتيت اللغة وتهميشها وهي أمثلة بدأت في أشعار بعض وسائل الإعلام مما

يمكن أن يحقق لها انتشارا يصعب علينا مقاومته لأن الكثيرين منا يصفقون لكل جديد دونما معرفة للأهداف والدوافع والمصادر ودونما تقدير للنتائج ومن أمثلة الهجوم المتوقع قريبا الآتي:

١ - الصور المجازية تعتمد على إدراك المادية الطبيعية لا على إدراك الافتراضات البشرية.(٨)

٢ - إحلال العلامات الموسيقية والرياضية محل التنقيط لأنها تعبر عن حقائق مادية.

٣ - تحجيم استخدام الصفات والظروف لأنها تعبر عن آراء ذاتية.

٤ - التوسع في استخدام صيغة المصدر الدائرية لأنها قادرة على استيعاب العلاقات الجديدة وذلك على حساب زمنية الفعل ...

٥ - التوسع في استخدام الأسماء المركبة.

٦ - التوسع في استخدام الدلالات غير اللغوية كالتركيز على الشكل الطباعي وتفتيت الكلمة سعيا للاعتماد على الحرف الصوتي كوحدة بديلة عن الكلمة وذلك تمهيدا لضرب بناء الجملة وتحطيمها تحت وطأة التشكيل الجمالي للتحرير الكتابي. وقد وصل الأمر عند الأديب الأمريكي (أرام ساروياك حد)أن أعلن عن أن الأدب سرعان ما سينتهي أمره خلا أن يكون شكلا فنيا كما أن الأبجدية سينتهي أمرها هي الأخرى ولذلك علينا أن نقتصد في استخدامها، ووصل الأمر عنده حد أن أعلن عن الكف عن نظم الشعر وقال إن هذا أبلغ قصيدة شعرية، وليس غريبا إذن أن يظهر مفهوم (القصيدة البيت) و(الشعر المبني).

إن هذه الآراء والنداءات تستمد جذورها من توجهات فكرية محدودة في بلادنا وهي مملوءة بالتشاؤم وتسعى لتهميش الدلالة اللغوية واستزراع البدائل

٨- القصيدة التشكيلية / د. محمد نجيب التلاوي / دار الفكر الحديث بالقاهرة

التشكيلية لتنوارى اللغة وتحل محلها عناصر صوتية وبصرية للجمع بين الأدبية والبصرية والصوتية على غرار نسق الموسيقي الكونكريتية التي سمحت للأصوات اللاموسيقية واعتبرت أن كل مادة صوتية في الوجود مادة موسيقية.

وقد بدأت بعض هذه التعبيرات والمحاولات تتسرب لبعض النصوص العربية الأدبية تمهيدا لتسويقها في وسائل الإعلام كالتركيز على السياق لفصل الكلمة عن دلالتها المألوفة في محاولة لتنظيم متطرف للواقع، ومن منطلق أن اللغة ثورة روحية يمكنها أن تحقق انتصارا على الفكر المنطقي المنظم وكلها محاولات تستمد جذورها من (مستقبلية مارينتي الإيطالي) ومن السيريالية والتجريدية (والدادائية) الذي يرفض الماضي ويخشى المستقبل.

ولما كانت وسائل الإعلام تمتلك قرون الاستشعار وهي على صلة وثيقة بالفضائيات وتقنية الاتصال كان لا بد أن نحذر من المحاولات الحادثة في مجتمعات غربية ... وعلينا أن نتوقع من وسائل الإعلام قوة الضبط والانضباط الذي يحفظ للمجتمع هويته ولغته وحضارته ولا يغرينا استثناء السياحة الفكرية الشاذة الموجودة هنا وهناك لأننا تجاوزنا مرحلة التبعية وعقدة النقص الحضاري.

ونسعى مع وسائل إعلامنا عن كيان له مذاق المنطقة ... وكيان له جذوره القوية ... وكيان يحمل آمالنا وطموحاتنا في التطور والتميز.

وإذا كانت التنمية في أفضل تعريف لها: (هي تحويل العلم إلى ثقافة)... فإن الإعلام قادر بوسائله على تحويل العلم إلى ثقافة ليؤثر في رفع مستوى المجتمع ... وتعالوا نجرب معا كيف يمكن أن نبسط لغتنا ونقرب جمالياتها للقارئ العادي ونقنعه بأن الفصحى درجات وأننا يمكن أن نجيد الفصحى في ابسط درجاتها ... إن التعاون بين العلماء والإعلاميين قادر على تحقيق أعلى معدل للتعبئة الثقافية للجماهير وليكن الاهتمام بلغتنا الفصحى بداية الانطلاق لنا جميعا نحو مفهوم عملي للتنمية.

ولتحقيق هذه الطموحات يمكنني أن أقدم لبنة متواضعة لتشييد بناء ضخم يطمع في ان يتمكن الإعلاميون من لغتنا الفصحى وتتمكن لغتنا الفصحى منا، وأتصور توصيات هذه الورقة على النحو التالي:

أولاً: التصورات النظرية والحماسات لن تجد طريقها لواقع الممارسة العملية بدون وجود رغبة جماعية مدعومة بقرار سياسي، ألم تروا كيف نجح المسلمون القدماء في مقاومة اللحن؟!، لقد كان قرار عمر ابن الخطاب سياسيا، ورغبة المسلمين الجماعية مدفوعة بمستوى عال من مردود التعبئة الدينية، مثال نجده عند (ثيودور هرتسل) ودعوته لإحياء اللغة العبرية في إسرائيل وهذه الأمثلة جميعها توجد فيها القرار السياسي مع الرغبة الجماعية فجاءت النتائج إيجابية حتى أن (الدولة الفردية) نجحت في جعل اللغة العربية الفصحى لغة رسمية للدولة واستمر ذلك من ١٨٠٥ إلى ١٩٠٢ في غرب إفريقيا (نيجيريا والنيجر).

ثانياً: تتبنى وسائل الإعلام (عاما للغة العربية) تتوحد فيه دعوة وسائل الإعلام جميعها في الدعوة إلى لغة عربية فصحى وتتحول فيه لغة البرامج الجماهيرية إلى لغة فصحى (كإذاعة مباريات كرة القدم، وبرامج الأطفال والمرأة)، وإتاحة مساحة إعلامية طويلة للقصائد المغناة وتحجيم الأغاني ذات اللغة الهابطة والمعنى المبتذلة فضلا عن التخطيط لندوات ولقاءات ومسابقات ومقالات التي تتدنى حتى تسيء إلى اللهجة العامية نفسها وتشيع من الألفاظ ما يبعث على الاستهانة والابتذال.

ثالثاً: الدعوة لإقامة صداقة ومصالحة بين الإعلاميين ومعاجمنا العربية من أجل دقة تعبيرية للكلمة المكتوبة والمنطوقة وللابتعاد عن الأخطاء الشائعة.

رابعاً: ترويج وسائل الإعلام لجهود مجامع اللغة العربية حتى لا تبقى جهودهم العلمية والعلمية حبيسة الأوراق والأدراج ولا تصل إلى المثقفين العرب.

ولذلك حان الوقت لتمديد جسور التواصل بين وسائل الإعلام ونشاط مجامع اللغة العربية.

خامساً:التخطيط لمستقبل اللغة العربية الفصحى في الإعلام يبدأ بالتخطيط لماضي اللغة العربية الفصحى، لأن ماضي الفصحى قد أفرز مشكلات الواقع اللغوي وتبعاته، والتخطيط لماضي الفصحى هو نفسه علاج لمشكلات واقعنا اللغوي المتردي في الإعلام ودور العلم. وأنا أسجل رغبتي في إبداء الملاحظات الآتية:

أ – يمكن لوسائل الإعلام (تلفاز – إذاعة) أن تتبنى المنهج الفطري في تعليم السليقة اللغوية في برامج الأطفال بأن تؤخر الجهر بقواعد اللغة وتكتفي بالمواد الإعلامية الدرامية الشائقة والأشعار حتى نساعد على الحفظ بنطق صحيح حتى تتكون لدى الطفل الملكة الصحيحة للغة الخطاب لأنه يتمثل محفوظاته ويقيس عليها.(٩)

ب – الاكتفاء الإجرائي باللغة الفصحى في أبسط معطياتها ولازماتها التعبيرية الحية والابتعاد عن بعث غريب الألفاظ من مرقدها الآمن في معاجم اللغة.

ج – الحرص على اكتساب المهارات اللغوية بالممارسة العملية (النطق والتمرير) والتكرار والابتعاد المؤقت عن النحو التفكيكي (نحو الكلمة المفردة) حتى لا نقع في مصيدة الخلافات النحوية والآراء التي خلقها القدماء وأثقلوا بها كاهل اللغة ونترك هذا للمتخصصين. (١٠)

أما التخطيط لمستقبلنا اللغوي فيبدأ باستشراف التوجيهات اللغوية الغربية والشاذة والمتدثرة ببريق الحداثة لمقاومتها في الوقت المناسب حتى لا نفرض

٩– العربية في الإعلام / د. محيي الدين عبد الحليم / دار الشعب بالقاهرة.

١٠– فن الكتابة الصحفية / د. فاروق أبو زيد / عالم الكتب بالقاهرة – ط٣٢ـ ١٩٨٥.

حقيقة وجودها عبر التسلل من منافذ وسائل الإعلام فتزيد أمر الفصحى تعقيدا، وتثير الاستهانة، وتنقل منطقة المناورات داخل حدود الفصحى لتهميشها أو لهدمها من الداخل.

إن لغتنا العربية الفصحى ليست محض لغة وحسب لأن العربية هي لغة قرآننا وأحد مظاهر إعجازه، وهي ذريعة لأمل الوحدة، وهي بداية من بدايات تأسيس الهوية، والتي نحن في أمس الحاجة إلى التدثر بها وسط حشد من قنوات فضائية متلاطمة متزاحمة بأفكار متباينة تحشد الإمكانات للجذب ولاستمرار التبعية الفكرية، ومن ثم الحضارية.

اللغة المسيطرة في الإعلام العربي[11]

لابد بداية من طرح سؤال مهم حول قضية الفصحى والعاميات في الإعلام الإذاعي والتلفزي على وجه التحديد، لأن الفصحى في المطبوع لم تزل لغة مهيمنة حتى الآن: لماذا اقترن ظهور وتطور وسائل البث الإلكتروني بجنوح اللغة الإعلامية إلى الاستعانة بالعاميات في العديد من موادها في أغلب موادها أحياناً، ولماذا تشهد الفصحى ترجعا مطردا في جميع البرامج الإذاعية والتلفزية، باستثناء البرامج الإخبارية التي لم تسلم هي الأخرى من غزو العاميات ؟

١) يقول بعضهم إن طبيعة هذه الوسائل التي انبعثت فيها الصوت الإنساني بعد قرون طويلة من الإعلام الجماهيري الصامت، والتي قرنت هذا الصوت بالصورة المتحركة والملونة، والتي اخترقت المكان وابتلعت الزمان، قد صنعت جمهورا إعلاميا يحتوي شرائح أمية وشبه أمية أبجديا ومعرفيا وثقافيا، مما جعل الفصحى تشكل حائلا اصطلاحيا وتواصليا وتأثيريا لا يمكن تخطيه إلا باللجوء إلى العاميات التي تضفي على العملية الاتصالية للإعلام المسموع والمتلفز وضحا وحميمية وفعالية تحقق الأهداف الجوهرية للإعلام الجماهيري.

٢) إن أكثرية الإذاعات والتلفزات التي تدخل العاميات إلى أغلي موادها تعتقد أن استخدامها هي الوسيلة الأفضل لاستقطاب مزيد من الجمهور الإعلامي العربي في الأوساط التعليمية والثقافية الدنيا. ولعل مصر ولبنان هما البلدان العربيان الأكثر استخداما للعاميات الموجودة لديهما، الأولى في محاولة لتعليم لهجتها واستبدالها باللغة الفصحى استنادا إلى تراث سينمائي عريق

١١- د. فريال مهنا / أستاذة سوسيولوجيا / الإعلام ـ قسم الصحافة / جامعة دمشق.

استطاع نشر هذه اللهجة في جميع العالم العربي، والثانية لاعتقادها أن العصرنة والتطور ومحاكاة الأمم الأكثر تقدما تستوجب الابتعاد عن الفصحى واللجوء إلى العاميات، رغم أن جميع البلدان المتقدمة تستخدم لغاتها الفصحى فحسب في موادها الإذاعية والتلفزية، بما فيها الأعمال الفنية كالدراما والمسلسلات والبرامج الترفيهية.

٣) ويعتقد البعض أن محاولة تسييد العاميات في الإذاعة والتلفزيون ينطوي على مؤامرة يحيكها أعداء العرب والمسلمين لتبديد اللغة العربية الفصحى التي تعد عاملا تاريخيا وتراثيا أساسيا في دفع العالمين العربي وإسلامي نحو التوحيد والانصهار. ولكن بعيد عن نظرية المؤامرة وما تنتجه من طروحات اتكالية وذرائعية، فإن ثمة محطات إذاعية وتلفزية عربية تتعمد ترويج العاميات على حساب الفصحى، انطلاقا من خلفيات سياسية وفكرية وعقائدية مناوئة للأطر القومية والإسلامية بصورة عامة. ولكن هذه المحطات تشكل قلة في المنطقة وخارجها.

٤) لابد من الإشارة في هذا السياق، أن تمسك بعض الأوساط الثقافية والأكاديمية بحرفية اللغة العربية التراثية إلى حد التعصب والتزمت الجانين، ورفض هذه الأوساط حتمية مواكبة اللغة للتطور المجتمعي والتقدم الثقافي في مجال الاتصال الجماهيري، يدفع العديد من القائمين على الإعلام نحو التخلي التدريجي عن لغة فصحى تحتضن العديد من العناصر التخلف وتعجز بتركيبتها عن التقايس مع التطور الهائل الذي طرأ على لغة الإعلام في جميع أنحاء العالم.

٥) ولاشك أن المضامين الهابطة لبعض البرامج التلفزية، وخاصة في مجال الترفيه، تحتم استخدام العاميات لأن اللغة الفصحى لا تتلاءم بطبيعتها مع هذا الضرب من ثقافات الترفيه.

ولكـن، ورغـم وجـود هـذه العوامـل مجتمعـة حينـا ومتفرقـة حينـا، فـإن الخصائص التي يفترض أن تتمتع بها اللغة الإعلامية العربية المعاصـرة والتمـايز القائم بينها وبين مختلـف أنـواع وأشكال التعبير الإنـساني الأخـرى، يـضعفان أطروحة تبني العاميات في كل الإعلام أو في بعضه، ويقويان الاتجاه الذي يحرص على اعتماد الفصحى كلغة سائدة في الإعلام جميعا.

ففي ما يرتبط بـصعوبة الفـصحى وتعقيـدها وعـدم صـلاحيتها لاسـتقطاب شرائح القطاع الاجتماعي يقول محمود عباس العقـاد "والعاميـة هـي لغـة الجهـل وليست بلغة الثقافة أو بلغة اليسار ... وبين الأغنياء كـثيرون لا يحسنون الكـلام بغير العامية التي لا جمال لها ولا طلاوة وبين الفقراء من يحسنون التعبير بالفصحى أو يعبرون بالعامية تعبيرا يزينه جمالها وتبدو عليه طلاوتها، فإذا عطفنا على العاميـة فإنما نعطف على الجهل ونستبقيه ونستزيده، ولا نخفـف وطـأة الفقـر ذرة واحـدة بتغليب عبارات الجهالة على العبارات التي تصاغ بها آراء المتعلمين والمهذبين."(١٢)

ويميز العقاد بين اللغة الفصحى واللغة الصعبة الـتي لا يفهمهـا إلا الأقلـون فيقول: ".. ومتى فرقنا بين الفصاحة والصعوبة أدركنا أن الـسهولة تتـوافر للكـلام الفصيح وتنفذ إلى أسماع الجهلاء غير حائل بينها وبين النفـاذ إلى تلـك الأسمـاع حركة الإعراب ولا صحة التركيب."(١٣)

ويحاول العقاد وصف ما يجب أن تكون عليه اللغة الإعلامية فيقـول: "... إن أسباب التشعب والتفريع كانت وفيرة في العصور الماضية ولم تكـن إلى جانبهـا أسباب للتوحيد والتقريب تضارعها في قوتها وأثرها، فتوافرت هذه الأسـباب في العصر الحاضر بعد شيوع الصحافة والإذاعة والصور المتحركة وقوالـب الحـاكي المشهورة باسم الاسطوانات، ومما يرجى مـن آثـار هـذا التقريـب أن يـسر فهـم

١٢- من كتاب النحو العربي لرجال الإعلام / القاهرة، ١٩٨٢، ص ٣٠.

١٣- المصدر السابق نفسه

الفصحى لغير المتعلمين وأن يدخل في الفصحى مفردات نافعة من ألفاظ الحضارة يمكن إجراؤها مجرى المفردات الفصحى بغير تعديل أو ببعض التعديل.

ويقول المجرى عبد الكريم جرمانوس: "إن للمسلمين كتابهم الكريم باللغة العربية هو القرآن، تلك المعجزة الرائعة التي لا يستطيع أي إنسان مباراتها، وقد وضعت قواعد النحو وحددته تحديدا أزلياً، فلو استطاع المسلمون بناء مدارس في جميع المدن والقرى، ولو عمموا اللغة الفصحى، لانبثقت عبقرية القرويين والعمال، ولأنتجت بلا مراء روائع أدبية جديرة بالإعجاب. لقد كانت الطباعة قوة فعالة في نشر التعليم، أما الآن فأمامنا أداة أعظم شأنا لتعليم الشعب لغة بلاده وهي المذياع، فالمذياع عامل قوي من عوامل التقدم ومكافحة الأمية والفقر ونشر المعرفة والترفيه عن النفس، وهو عامل لم يسبق له مثيل في الأزمنة الماضية، والروح الغريزية للشعوب الناطقة بالضاد ستحفزها على انتهاز الفرصة للظهور في الميدان.

والتلفزة تشكل أداة فعالة لتعليم الشعب لغته القومية، ولديه وسائل وخصائص أعظم شأنا من الراديو للقيام بذلك.

لا ريب أن التخلي كليا أو جزئيا عن الفصحى والركون إلى العاميات قضية لا علاقة لها بالمسألة الاتصالية البحتة على صعيد جماهيري، فضلا عن أنها لا تقدم حلولا ناجعة بل تزيد المشكلة تفاقما بمرور الزمن، ذلك لأن معطيات التطور الثقافي المذهل في مجال الإعلام الجماهيري الأرضي، والفضائي خاصة، تتنافى منطقيا وعقلانيا مع انتشار العاميات وترسخ صلاحية الفصحى في اللغة الإعلامية وتعمق القناعة بضرورة تعميقها قدر الإمكان في كل الإعلام حاضرا ومستقبلا لجملة من الأسباب، أهمها:

١- ما دام (الراديو) والتلفزة قد استطاعا اجتياز حاجز الأمية وتواصلا مع فئات اجتماعية لم يستطع الإعلام المطبوع فك عزلتها، فإن استخدام هاتين الوسيلتين للغة العربية الفصحى اقترابا ضمن أطر متكيفة، من شأنه أن يحقق

اقترابا بينها وبين عامة الناس لم يسبق له مثيل في العصور الحديثة. فالفصحى التي كانت في الماضي مغلقة على جماهيرية واسعة تطل اليوم الإذاعة والتلفزة لتصبح في متناول الجميع ولتغدوا متداولة يوميا يتعامل معها الأمي وشبه الأمي الملم والمثقف والمتنور.

للإعلام الجماهيري المسموع والمتلفز إذن، دور بالغ الأهمية في تعليم اللغة العربية تعليما جماعيا يتلقاه مئات الملايين من الناس في المحيط العربي وغير العربي.(١٤)

إن هذا الالتقاء بين وسائل الإعلام المسموعة وبخاصة المتلفزة وبين اللغة العربية الفصحى يعد فرصة نادرة لترسيخ لغة الضاد وحصر العاميات بكل أنواعها وتفرعها في أضيق نطاق ممكن.

٢- وإذا كان الإعلام الجماهيري يمنح اللغة العربية هذا الآفاق اللامحدودة، فإن اللغة الفصحى تعطي بدورها امتدادا عظيما للإعلام الجماهيري لأنها مشتركة لمئات الملايين من الناس داخل المنطقة العربية وخارجها، في حين أن العاميات تسير به نحو التقوقع والانحسار والمحلية.

ولذلك لا يعقل أن يضع الإعلام اللغة الفصحى، تلك الأداة الثمينة التي تضمن له تغطية مساحات شاسعة موضع النقاش، في وقت تبحث فيه جماعات إنسانية أخرى عن توحيد وسائل بثها الجماعي وتحقيق انتشار إقليمي وعالمي لإعلامها محاولة استنباط طرائق وتقنيات مختلفة لاجتياز عقبة اللغة.

٣- بالإضافة إلى ذلك، فإن اللغة الإعلامية باستخدامها الفصحى، تسهم إسهاما كبيرا في تنمية الحس التذوقي بجمالية هذه اللغة أو بالأحرى في تربية

١٤- يمكننا أن نتصور مدى استخدام الفصحى في الإعلام الفضائي العربي بالنسبة لأجيال من الشباب والأطفال العرب الذين أبصروا النور في المغتربات ويتعلمون العاميات فقط من والديهم في محيط الأسرة.

الذوق اللغوي وهذا ما تسعى إليه جميع الأمم مستخدمة وسائل الاتصال الحديثة.

وإذا كان الأدب يبحث دائما عن الجمال الخالد، فإن للغة الإعلامية جماليتها عند ما ترتقي فنونها وتتقن صناعتها، وكما أن للأدب مجالاته الإبداعية فللإعلام التي تسبح في خصوبة الفكر والخيال، فللإعلام إمكاناته الخلاقة التي تطرق دروبا خاصا بها وملائمة للنوع التحريري الإعلامي.

٤- لا شك أن استخدام الإعلام للغة العربية الفصحى يخلق مناعة مستمرة تجاه عوامل التجزئة، ليس على الصعيد القومي فحسب وإنما على الصعيد الوطني أيضا، فالفصحى تجعل المجتمع الوطني أكثر تقاربا وتجانسا واندماجا في زمن تزدهر فيه عوامل التفتيت والتشرذم في محيط الوطن الصغير أيضا. هذا لا يعني، بطبيعة الحال، عدم الاستجابة لحقوق أقليات لغوية لا مناص من أن تجد نفسها في وسائل إعلامها الوطنية.

ـ ضمن هذا السياق لا بد من التطرق إلى أطروحات أخرى يعتقد أصحابها أنها تقدم الحل الأفضل لمشكلة اللغة المستخدمة في الإعلام الجماهيري.

يقول د. شرف ود. خفاجي إن الحل يكمن في "التقارب بين الفصحى والعامية، [١٥] وإن المذياع جاء فكان القنطرة التي تصل بين الفصحى والعامية [١٦]"، ويقول د. إبراهيم إمام: الصحافة تضم أنواعا متباينة من اللغة كلغة التجارة واللغة الرسمية ولغة الدين واللغة العامية الخاصة بالعمال والفلاحين واللغة الدارجة الخ.. ولكن الفن الصحفي هي لغة جديدة تقرب من لغة المحادثة المثقفة. [١٧]

١٥- من كتاب النحو العربي لرجال الإعلام / القاهرة، ١٩٨٢، ص ٦٢.

١٦- من كتاب النحو العربي لرجال الإعلام / القاهرة، ١٩٨٢، ص ٦٣.

١٧- إبراهيم إمام / "دراسات في الفن الصحفي" / القاهرة، بلا تاريخ، ص ٤٨

إذا كان المقصود بهذا الكلام أن يحدث تقارب بين الفصحى والعاميات في الاتجاهين، أي أن تدخل اللغة الفصحى أيضا مفردات من هذه العاميات في صلبها، فإنه طرح أسوأ من الدعوة إلى تبني العاميات في الإعلام، وذلك لثلاثة أسباب مهمة.(١٨)

١- إن اقتراب الفصحى من العاميات لن يؤدي إلا إلى تشويه اللغة العربية وإفراغها وضياع ملامحها، لأن أي تمازج يقحم العاميات في الفصحى سيخلق لغة هجينة، غير سوية، غير طبيعية، وسيجعل من اللغة العربية خليطا لا كيان له. ولذلك فإن أي طرح من هذا القبيل من شأنه أن يحقق هدفا واحدا فقط: الانحسار التدريجي للغة العربية وضياع ملامحها.

٢- إذا فرضنا جدلا أن نزول الفصحى إلى العاميات هو الحل المتاح لمشكلة اللغة في الإعلام الجماهيري، فنحو أي عامية ستتجه اللغة الفصحى؟ وعلى قنطرة أي مذياع ستخطو الفصحى لتقترب من هذه العامية؟ إذ من المعروف أن هناك عاميات ولهجات محلية لا حصر لها في المنطقة العربية، وهي عاميات شديدة الاختلاف فيما بينها. هل يعني هذا شيئا آخر سوى أن اللغة العربية ستضطر إلى تشتيت نفسها في اتجاهات متعددة مما سينتهي بها إلى التبعثر الكامل لأن العاميات مجتمعة ستكون قادرة على ابتلاعها.

لا ريب أن تواصلا بهذا المعنى والاتجاه بين العاميات والفصحى سيؤدي إلى تفاقم معضلة اللغة الإعلامية وإلى خلق مشكلات جديدة على صعيد اللغة بشكل عام، لأن العاميات ستحافظ على بقائها بقوة استمرارية العلاقات الإنسانية الأولية، ولأن اللغة العربية الفصحى ستصبح "لغات عربية فصحى" لا قواعد لها ولا أطر.

١٨- فريال مهنا / "نحو بلاغة إعلامية معاصر" / منشورات جامعة دمشق، الجزء الأول، ١٩٩٣، ص ص ٧٨_٨٠

٣- تكمن خطورة دخول العاميات إلى قلب اللغة العربية في أن ذلك يبدو لأول وهلة، حلا توفيقيا معقولا، لا سيما أن الموضوع يطرح وكأن هناك عامية واحدة في العالم العربي، إلا أن التمعن في هذه التوفيقية يجعلنا ندرك محاذيرها، خاصة وأنها تعرض استنادا إلى معطيات غير واقعية، وتقدم ببساطة لا تتناسب وحجم المشكلة ولا تقدر عواقبها.

إذن ما العمل ؟

الحقيقة أنه لا بدل عن البقاء في نطاق الفصحى والمحافظة على نقائها من أية شوائب عامية، ولا بديل عن محاولة تعميمها على مختلف الأنشطة الإعلامية، من خلال العمل على إزالة الأسباب والدوافع التي تؤدي إلى تفضيل العاميات والجنوح نحو استخدامها.

لعل الحل الأكثر معقولية يتجلى في أن يمكّن الإعلام الجماهيري اللغة العربية من أن تستوعب الحضارة، متحررة من كل موروث يثقل خطواتها ويعيق محاكاتها لإنجازات العصر الحاضر ويعرقل مواكبتها لمعطيات الحياة في الزمن الراهن، دون المساس بجوهرها وأصالتها.

إن الإعلام الجماهيري، بديناميكيته وإمكاناته وتقنياته، قادر على تحديث اللغة العربية الفصحى وعصرنتها وجعلها لغة مألوفة مندمجة في الحياة اليومية.

والإعلام الجماهيري ليس بحاجة إلى العاميات ليقوم بهذا العمل، إذ ما عليه سوى الغوص في أعماق اللغة العربية واستخراج ما يلزمه لصناعة لغة إعلامية حية، متحركة، تضاهي أكثر اللغات الإعلامية تقدما، مستخدما مرونة اللغة العربية وقدراتها الفائقة على التأقلم والطاقات الكبيرة التي تختزنها في داخلها.

وإذا تعذر إيجاد الكلمة المناسبة أو اللفظ الدقيق لكل جديد يفرزه التطور في أي ميدان من ميادين الحياة المعاصرة، فلا بأس من أن تدخل اللغة الإعلامية مفردات جديدة تساير متطلبات العصر، إما كما هي أو من خلال إخضاعها

لقواعد العربية إن أمكن ذلك. والطريقة الثانية أفضل، بطبيعة الحال شريطة أن تؤدي الكلمة المعنى بدقة. هذا يعني أن يتوجب على الإعلام إدخال "ألفظ الحضارة" كما قال العقاد، وليس ألفاظ العاميات التي تعد أكثر تخلفا بكثير من اللغة الفصحى، ليس في العربية فحسب، وإنما في جميع لغات العالم والتي لا يجوز الاستعانة بها للحاق بركب الحضارة.

إن اقتراب الإعلام الجماهيري من عامة الناس ومن الحياة العملية واليومية لا يعني أبدا هبوط الفصحى إلى العاميات وإنما يعني أن يلبي هذا الإعلام حاجات السواد وأن يتمثل مشكلاته وأن يسهم في إيجاد حلول لهذه المشكلات وأن يرقى به من العامية إلى الفصحى.

وهناك فرق بين اللغة الفصحى واللغة الصعبة، بل عن العاميات هي "اللغات" الصعبة، إذ أنها تحدث أحيانا كثيرة انفصاما في الرمز اللغوي بين المرسل والمتلقي تماما كأية لغة أجنبية لا يفهمها من لا يلم بها.

اللغة الإعلامية وحرية التعبير(١٩)

إن كل الأسباب والدوافع التي ذكرت في مجال الجنوح نحو تغليب العاميات في الإعلام العربي المسموع والتلفزي تكاد لا تضاهي مجتمعة أهم سبب وكل الحلول التي طرحت لتعليم العربية الفصحى ضعيفة الجدوى إذا لم يتوفر هذا السبب الأهم ألا وهو حرية التعبير وتكريس الإعلام الجماهيري مصدرا مستقلا من مصادر المجتمع في البلدان العربية.

قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن هذا الموضوع يقع خارج أبحاث الإعلامية، إذا يتصل فقط بالوشائج القائمة بين الإعلام كظاهرة اجتماعية وبين الظواهر الاجتماعية الأخرى ويرتبط حصرا بفعالية إنجاز الإعلام لوظائفه داخل لنطاق النظم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية السائدة، ويقتصر على دراسة آلية العلاقة بين الإعلام وبين الفصحى تحديدا، تشكل في حد ذاتها موضوعا يصعب عدم التعرض له في هذا المقام.

الإعلام الحر وحرية الإعلام

قبل أن نخوض في حيثيات هذه العلاقة لابد من توضيح الفرق بين حرية الإعلام، وبين الإعلام الحر، لأن هذين المفهومين ما زالا محل لبس. إذ كثيرا ما يجري الخلط بينهما انطلاقا من الاعتقاد أن حرية الإعلام لا يمكن أن تمارس إلا عبر إعلام حر.

إن هذا الاعتقاد يؤدي بصورة حتمية إلى جعل حرية الإعلام أمرا يستحيل تحقيقه في أي مكان وزمان، إذ ليس ثمة إعلام حر في أي بقعة من العالم.

١٩- د. فريال مهنا / أستاذة سوسيولوجيا / الإعلام ـ قسم الصحافة / جامعة دمشق.

فالإعلام نشاط إنساني جماعي مؤسسي ذو انتماء محدد يعبر عن نفسه داخل المجتمع متفاعلا مع مختلف الأنشطة الأخرى ضمن شروط اجتماعية وسياسية وفكرية تجسد، في كل حقبة طبيعة هذا الانتماء واتجاهاته وتحولاته. معنى ذلك أن هذا النوع من النشاط الإنساني سواء أكان يجري ضمن جدران إعلام رسمي خاضع بكليته لسلطة سياسية مدنية أو عسكرية أو مختلطة، شرعية أو غير شرعية أو يتحرك في نطاق إعلام السوق جزئيا أو كليا، وسواء أكان مملوكا لمؤسسات أو أفراد أو جماعات أو دول، لا يمكن أن يوجد إلا في حالة انتمائية.

هذا يعني أنه لا وجود للإعلام في حالة حرة خارج عن أطر الصراعات القائمة بين مصالح اقتصادية وسياسية وفكرية وثقافية متناقضة أو متنافسة أو حتى متعايشة داخل المجتمع الواحد ومتحالفة على الصعيدين الإقليمي والدولي.

هذا عن "الإعلام الحر". أما حرية الإعلام فهو موضوع آخر تماما إذ يرتبط بطبيعة النظام السياسي القائم ويخضع للتركيبة الاجتماعية والمفاهيم التشريعية التي يعمل الإعلام داخلها وبموجبها.

إذن المسألة تكمن في معرفة كيفية تموضع هذا الإعلام المنتمي داخل مجتمعات مختلفة من حيث أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ومتباينة من حيث واقعها الدستوري والتشريعي.

لا يحتاج أحد إلى جهد كبير لكي يلاحظ أن حرية الإعلام تنعدم في تلك المجتمعات التي تحتكر فيها السلطة السياسية كل مناحي الحياة الإعلامية وفروعها وتسخرها، ليس فقط لتصفية أي نشاط أو عمل قد يهدد استئثارها بكل مقدرات المجتمع ولقمع أي رأي أو اتجاه أو موقف قد ينال من امتيازات هذا الاحتكار، وإنما أيضا لمقاومة أي طرح مخالف للأطروحات الرسمية التي تكرسها هذه السلطة في كل مرحلة، حتى وإن كان الطرح يصب في قنوات غير معارضة لتلك السلطة كجوهر وانتماء، بل معترضة على مبدأ الاحتكار السلطوي ومناوئة لأرباب هذه السلطة في سعيهم لخنق أي محاولة يمكن أن تضعها في حالة واجهة

أو تنافس مع قوى وتيارات سياسية واجتماعية أخرى، أو يمكن أن تعرضها لأي نقد من شأنه أن يحسن أداؤها في ظل الرأي والرأي الآخر خارج قوقعة الاحتكار السلطوي المطلق.

أما إعلام السوق: فقد استطاع أن يرسخ منطلقات أساسية تفسح في المجال لتجول آراء وأفكار متنوعة وظهور مواقف مخلفة وبروز اتجاهات متعارضة داخل المجتمع ليس في بعض جوانب الحياة المجتمعية الجزئية وإنما في كل مجالات النشاط السياسي والفكري والثقافي، أي في كل ما يتعلق بتلك التوجهات والقرارات التي تحدد في المحصلة حاضر الأمة ومستقبلها داخليا وخارجيا.

ورغم أن طبيعة التطور الرأسمالي أفقدت إعلام السوق خلال العقود المنصرمة طابعه التنافسي البحت الذي انطلق منه ودفعته نحو التعنقد والاختلاف والتلون والتباين في الآراء والمواقف والاتجاهات والعقائد استمر في جريانه من خلال:

١) بقاء تنافس حاد بين الاحتكارات الإعلامية المتعددة جعلته الشروط الموضوعية القائمة في المجتمع والقوانين الذاتية الرادعة تنافسا غير قابل البتة للتحول إلى احتكار مطلق ووحيد.

٢) تفاقم التنافس بين إعلام الدولة وإعلام الخاص بجميع أشكاله الاحتكارية وغير الاحتكارية، وخاصة في ظل التطور الثقافي المتسارع لوسائل إعلام المسموعة والتلفزية.

٣) نمو إعلام خاص خارج قبضة ترروستات الإعلام العملاقة تديره أحزاب وقوى سياسية واجتماعية وثقافية في مواجهة الاحتكار الإعلامي الخاص والإعلام الرسمي.

ما علاقة ذلك كله باللغة الإعلامية؟

لقد برهنت تجربة عقود طويلة في النصف الثاني لهذا القرن أن احتكار السلطة السياسية لجميع الإعلام، مهما اختلفت طبيعة هذه السلطة وانتماءاتها ومهما تنوعت ذرائعها العقائدية والفكرية وتلونت مبرراتها التاريخية والوطنية والقومية، قد أدى إلى تخلف مزمن في بنية اللغة الإعلامية وخلل كبير في وظائفها نتيجة انحباسها داخل قوالب لغوية أوقفت تفاعلها مع متطلبات التطور العاصف الذي شهدته وسائل الإعلام الجماهيري قاطبة وجمدت بالتالي أية إمكانية لتأقلم اللغة الإعلامية مع التبدلات العميقة التي طرأت على بنية الاتصال الجماهيري في إطار المتغيرات الاجتماعية التي أوجدت أشكالا جديدة لحاجات الناس المادية والروحية في مجالات حياتية عديدة منها الإعلام.

كما بينت التجربة خلال الحقبة الزمنية نفسها أن إعلام السوق، رغم ابتعاده عن منطلقاته الفكرية والفلسفية الأصلية بفعل قوانين موضوعية وعوامل ذاتية، قد أضفى على اللغة الإعلامية مرونة جعلته ليس فقط قادرا على مواكبة المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وإنما أيضا على الإسهام في تحديد مجرى هذه التقانية ومع مقومات الحضارة الراهنة مما حقق لها نموا مطردا.

لقد حرصت أغلبية الدول العربية على عدم خوض تجربة التنافس الإعلامي، وخاصة في المسموع والتلفزي، وتبنت نموذج إعلام الدولة الذي أسسته مجتمعات اتبعت طريقا مناقضا تماما لمفاهيم التطور الرأسمالية رغم أن العديد من الأنظمة العربية استقى نماذج تطور مجتمعاته الاقتصادي من الغرب الرأسمالي.

وقد انطلقت الدول العربية في اختيار نظامها الإعلامي هذا من أن احتكار الدولة للإعلام الجماهيري يشكل ضرورة حتمية لأن المجتمعات العربية تعيش حقبة تخلف شامل وتواجه ظروفا فرضها واقع تجزئة واستعمار استيطاني مما يتطلب انتزاع الإعلام من الأفراد والجماعات وانفراد الدولة بالمسؤولية الإعلامية جميعا على اعتبار أن الشأن الإعلامي يرتبط بوظائف ومهمات اجتماعية وثقافية

تقع في مجال عمل الدولة ولا يجوز تركها نهبا للمبادرة الخاصة كغيرها من الأنشطة، إذ أن الإعلام يجب أن يلعب دوره كاملا في عملية التنمية الشاملة وفي تحقيق طموحات الأمة في هذه المرحلة التاريخية الاستثنائية.

إلا أن ما أطلق عليه إعلام الدولة فقد على صعيد الممارسة العلمية، كل خصائصه ومميزاته متحولا في غياب نظام ديمقراطي مستقر إلى إعلام مسخر بكليته لخدمة أحد أطراف هذه الدولة، أو بالأحرى أقوى أطراف هذه الدولة أي السلطة السياسية القائمة تماما كما حصل في تلك المجتمعات التي منها نسخت الأقطار العربية هذه التجربة الإعلامية.

لا يتسع هذا البحث لعرض تفصيلي يتناول العلاقة بين الإعلام والنظم السياسية العربية، المهم في هذا المجال معرفة طبيعة التأثير الذي مارسته وتمارسه تجربة احتكار السلطة للإعلام على اللغة العربية الإعلامية.

تظهر التجربة الإعلامية العربية المعاصرة أن احتكار السلطة السياسية لكل الإعلام قد عطل إمكانية النهوض باللغة العربية في مرحلة حرجة من حياة المجتمعات العربية إذا لا بد من أن تتجه هذه اللغة بخطوات حثيثة نحو العصرنة والعقلنة والانتقاء فكر وموضوعا وشكلا، وعوضا عن أن تكون أداة فاعلة في عملية التنمية الداخلية ووسيلة ناجعة لمواجهة تحديات خارجية غرقت في تخلف مطبق ووهنت بنيتها واختلت وظائفها وشلت حركتها في حقبة تشهد انتشارا متعارما لوسائل البث الجماعي وتطورا نوعيا في آليات العمل الإعلامي الجماهيري.

وإذا حاولنا الاقتراب من تحليل هذه الظاهرة وتحليل مسبباتها لجد أن الحالة التي وصلت إليها لغة إعلام السلطة تعود إلى أن هذه الأخيرة قد فرضت أنماطا تعبيرية جاهزة وجمدتها محرمة أي خروج عن حرفيتها خوفا من أن يؤدي ذلك إلى ظهور تدريجي لنماذج لغوية إعلامية تجعل الزمام يفلت من يديها.

وبما أن هذه السلطة كأي سلطة تهتم برعاية مصالح مرتبطة مباشرة بعوامل تقويتها وديمومتها فإنها تحصر أنماطها اللغوية الإعلامية فيما يحقق لها هذه التقوية والديمومة واضعة اللغة الإعلامية داخل حوض مغلق على آية قنوات تجد مياهه أو تعرضه ولو جزئيا لتيارات التعبير الإعلامي المعاصر.

بدهي أن هذا التجمد لا يقدر على تجسيد سمات وملامح لغة إعلامية فصحى راهنة مشرعة الآفاق.

فهذه اللغة التي لا خلاف على وجوب اتصافها بالموضوعية تستحيل لغة ذاتية مسخرة لصياغة مضامين ذرائعية وتفكير تبريري شبه غيبي يضع السلطة في موقع المعصوم في كل زمان ومكان وظرف وموضع مساءلة أو يعرضها لنقاش، حتى وإن كان ثمة احتمال أن يؤدي هذا النقاش في نهاية المطاف إلى دعم توجهات السلطة أي أن السلطة المحتكرة تحظر على الإعلام لعب دور وسيط وحفّاز يجعل القرار حصيلة تفاعل وتواصل بين مختلف أركان المجتمع لا حصيلة إرادة وحيدة.

واللغة الإعلامية التي يفترض أن تتميز بالعقلانية لتحقيق مصداقيتها تغدو في هذا الضرب من الإعلام الاحتكاري لغة تنفي العقل وتتجاهل المنطق وتزدري طرائق الإقناع الطوعية مكتفية بالتعامل مع انفعالات بشرية معينة تكرس في نهاية المطاف اغترابا إعلاميا كاملا.

واللغة الإعلامية التي تحقق جدواها وقدرتها على التأثير من خلال اعتمادها بصورة جوهرية على مبدأ الحوار بجميع أشكاله ومظاهره وأساليبه تتضاءل وتنكمش في الإعلام الرسمي العربي لتمسي مجرد مونولوج يردد لأزمة وحيدة ويجتر الإيقاع نفسه في إطار الأنماط التي أصابها التلف.

لابد من التأكيد في هذا السياق أن الحوار الذي يجب أن تحتضنه اللغة الإعلامية هو بالضرورة حوار يتضمن الرأي والرأي الآخر، الموقف والموقف المضاد، الرؤية والرؤية المعارضة، ليس فيما يتعلق بأمور هامشية

وموضوعات ثانوية ومسائل جزئية فحسب، وإنما أيضا وخاصة في كل ما يتصل بقضايا المجتمع السياسية والمصيرية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية.

لذلك نرى أن لغة إعلامية فصحى يغيب عنها حوار من هذا النوع لا تصلح للإسهام في أية تنمية ولا تستطيع التصدي لأفكار وثقافات وعقائد خارجية لم يعد بإمكان السلطة السياسية أن تحجبها عن رعاياها أو تمنع دخولها وتجوالها داخل المجتمع بفضل تقنيات إعلامية حديثة هدمت الأسوار وأزالت الحدود بين الدول والأمم محول العالم بأسره إلى قرية إعلامية كما يقول الكندي ماكلوهان.

لقد برهنت التجربة العلمية لا الدراسة النظرية للواقع الإعلامي العربي وبشكل غير قابل للطعن أن احتكار طرف واحد للإعلام الجماهيري، بمعزل عن طبيعة هذا الطرف وتركيبه السياسية والعقائدية، يؤدي حتميا إلى تشكل لغة إعلامية أحادية الطابع والحركة والاتجاه والصبغة والبعد، أي لغة عاجزة موضوعيا عن احتواء منهج الحوار الذي يعد عنصرا أساسيا وجوهريا في أي بناء لغوي إعلامي يريد أن يتقايس مع الحاضر والآتي ويرغب في أن يتعامل بشكل جدي ومؤثر مع وعي اجتماعي يتكون عبر عملية تفاعلية مستمرة بين شروط سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية يعيشها الأفراد والجماعات داخل المجتمعات العربية وبيت احتكاك هؤلاء الأفراد والجماعات يوميا بمعطيات حضارات أخرى قريبة وبعيدة يحملها إعلام جماهيري لم تعد تقف في طريقه أية عوائق جغرافية أو زمنية.

كل ذلك يعني بكلمات أخرى أن لغة المونولوج، مهما بلغت من التطور تبقى لغة قاصرة عن استيعاب أحداث الحياة ووقائعها بكل ما تنطوي عليه من تنوع واختلاف وتناقض، وتظل لغة ممتنعة على أي انفتاح باتجاه المتغيرات وعصية على أي إغناء أو تأقلم أو ارتقاء في حين أن اللغة الإعلامية الحوارية هي وحدها القادرة على اقتناء مفاتيح التطور.

على صعيد آخر نلاحظ أن لغة الإعلام الرسمي، وحيدة الخلية، رهينة نمطيتها لا تستطيع التصرف إلا بقدر ضئيل من مفردات اللغة الإعلامية المعاصرة وتعبيراتها ومصطلحاتها إذا أنها أسيرة عبودية تعبيرية تعمق تخلفها وتقهقرها في زمن يشهد سطوة لا مثيل لها للغة إعلامية جمعية تمارس حرية التعبير موضوعا وشكلا، مدلولا وصياغة، وتتمتع بقدرة فائقة إلى استنباط أساليب فعالة لاستيعاب صيغ الحضارة ومفاهيم التطور الذي أصبح تواتره لا يحسب بالقرون أو العقود أو السنين أو حتى الأشهر، بل بالأيام والساعات.

وإذا كانت اللغة العلمية التقنية قادرة ضمن شروط مادية ملائمة، على التحرك بحرية كبيرة في مجال علوم مجردة، وإذا كانت اللغة الفكرية والأدبية والفنية البعيدة عن اليومي والمباشر تستطيع إلى حد ما التملص من قبضة الرقابة المتعددة المستويات، فإن اللغة الإعلامية التي تعد الأكثر استعدادا والأسبق إلى تمثل التقدم المادي والفكري والثقافي، ولو بأشكاله الأولية والمبسطة وتعد الأقدر على الإسهام في عملية التطور بسبب تعاملها المباشر والمستمر مع أدوات هذا التطور، هي في الوقت نفسه اللغة التي تتحمل العبء الأكبر للنظام الإعلامي الاحتكاري لأنها تقع في بؤرة المحظورات والمحرمات والتحديدات.

قد يقال إن احتكار السلطة للإعلام الجماهيري هو خيار لا مفر منه في مرحلة تخوض فيها المجتمعات العربية النامية أقسى معاركها التنموية وتواجه فيها مخاطر داخلية وإقليمية لم يسبق لها مثيل قد تؤدي باستقرارها بل قد تهدد وجودها.

غير أن الواقع الماثل أمامنا اليوم يدحض هذا الطرح، فتلك المجتمعات التي استولى فيها الطرف الأقوى في المجتمع على كل الإعلام فارضا مضامين إلزامية وقوالب تعبيرية متحجرة يعيش الآن تداعيا في نظامه السياسي وانهيارا في نظامه الاقتصادي والاجتماعي تحت وطأة حكم شمولي استأثر لكل أدوات التعبير وصنع بنيات مادية وفكرية قائمة على القسر الذي ارتسم قانونا عاما خلال عقود طويلة من الزمن.

إن هذا الحدث يقدم لنا دليلا ماديا على أن المجتمعات النامية بشكل عام والمجتمعات العربية بشكل خاص هي اليوم أحوج ما تكون إلى نظام إعلامي تعددي يغني اللغة الإعلامية ويوفر لها مناخا تستطيع من خلاله امتلاك أدوات تأثيرية حقيقية قادرة على حماية تلك المجتمعات من النكسات والإخفاق والانهيار الذي عرفته الأنظمة الشمولية عقب سنين طويلة من العناء والتضحيات والحرمان المادي والروحي في سبيل خلق قاعدة مادية متينة يقوم عليها بناء حضاري وصف بأنه متفوق!

وقد يقال أيضا إن اللغة العربية الإعلامية كبنية فوقية ستبقى متخلفة ما دامت المجتمعات العربية السيرة هذا التخلف إذ من غير المعقول فصل أية لغة عن الواقع المادي ووضعها في دوائر تطورية مستقلة.

إن وجود بعض الإعلام العربي خارج حقل الاحتكار يدحض هذه الأطروحة، فهذا الإعلام الذي ما زال قليلة يعمل داخل مساحة ضيقة من المنطقة العربية بعد أن هاجر معظمه بحثا عن هامش حرية في بقاع بعيدة، استطاع أن يرتقي مقدما لغة إعلامية فصحى قادرة على الخوض بكفاءة في مسائل أساسية وشؤون جوهرية وقضايا مصيرية بأساليب تعبيرية علمية، موضوعية عصرية خالية من أدواء اللغة الرسمية ومتحررة من أثقالها وقيودها.

هذا يدل على أن الطرف المحتكر للإعلام هو الذي يجمد عمل القوانين الداخلية الذاتية لتطور اللغة العربية الإعلامية وهو الذي يقف حائلا دون إسهام هذه اللغة في تحريك عوامل تطورية أخرى مادية وفكرية أو تسريع وتيرتها.

ولا نستطيع أن نزعم في هذا المجال أن العلة تكمن في تخلف وسائل الإعلام الرسمية العربية، فلقد حرصت البيروقراطيات الإعلامية في معظم الدول العربية على تزويد مؤسساتها الإعلامية المطبوعة والمسموعة والتلفزية بوسائل تقنية ومعدات وأجهزة فنية أرضية وفضائية لا تقل تطورا عن وسائل إعلام أكثر دول العالم تقدما في هذا المضمار.

لابد من التأكيد مرة أخرى في هذا لسياق أن فعل القوانين الموضوعية للتطور لا قيمة له البتة في غياب وعي اجتماعي فعلي متكون عبر آليات ديمقراطية، لا وعي جبري أو مفترض أو وهمي، وفي غياب إرادة حرة لا مسلوبة أو مصادرة، وفي غياب قناعة طوعية لا قناعة ناجمة عن إرغام، وفي غياب قبول حقيقي لا قبول صوري.

لهذا كله نجد أن اللغة الإعلامية مؤهلة أكثر من أي لغة أخرى للإسهام في تشكيل إرادة حرة وقناعة طوعية وفي إنضاج وعي حقيقي قادر على التقاط الحركة المادية العامة في المجتمع وتوظيفها في تحقيق التطور ضمن صيغ سياسية واقتصادية متقدمة، وذلك لأن حدود هذه اللغة لا تقف عند مخاطبة الخاصة بل هي قادرة على أن تتوجه مباشرة محمولة في عربة الإعلام الجماهيري، إلى تلك الكثرة التي تشكل أداة التطور الحاسمة والتي بدونها تبقى مفاهيم التطور العلمي والتقني والاقتصادي والاجتماعي والفكري مجرد اجترار في أذهان النخبة وأوراقها ومجرد أوهام في عقول الطليعة.

من هنا تنبع إذن أهمية اللغة الإعلامية الفصحى التي تسهم في صنع عقلية جماهيرية واعية فعلا ومهيأة طوعا لاستيعاب معطيات القرن الحادي والعشرين.

ولقد أصبح من المسلم به، عبر تجارب ملموسة أن قدرة اللغة الإعلامية على تحقيق هذه الأهداف مرتبطة ارتباطا وثيقا بإخراج هذه اللغة من سجن الأطر الإعلامية التقليدية وتحريرها من أغلال الاحتكار وتحويلها إى أداة اقتناع حر وواع.

معروف أن اللغة الإعلامية الفاعلة والمؤثرة يجب أن تصاغ صياغة مصطنعة غير منمقة غير متشدقة غير مغالية غير مكرورة، بعيدة عن الجمل الشعارية والمقولبات الفارغة.

أين لغة الإعلام الرسمي العربي من هذا كله؟

- إذا عمدنا إلى تحليل نصوص إعلامية رسمية مطبوعة أو مسموعة أو تلفزية ليس أسهل من أن نلاحظ أن هذه اللغة:
- لا تمت إلى التجميل والتصنيع بصلة، وإنما تمت إلى التحذلق والتكلف
- وصاحب هذه اللغة لا يجد سبيلا إلى إثبات براعته إلا أن يمد معانيه بكل وسيلة ممكنة
- ولا يرى مانعا في أثناء هذا الامتداد "من اللجوء إلى المبالغات والتهويلات والاعتداد بكثرة العبارات حتى ليخيل إلى الإنسان أنه يقرأ ويسمع أساليب كتبت لتحفظ لا لتعبر عن معنى، فالمعاني فقدت قيمتها ولم يعد لها أهمية، إنما الأهمية كلها للألفاظ وما تطرز به من وشي وحلي.
- وللعبارات المرصوصة ما يؤدي إلى ترسيخ الأساليب المحفوظة التي تورث وتكرر وتردد.. دون أن تفصح عن فكرة محددة
- وهناك مقدمات يقدم بها المحرر" لا تعبر عن معان واضحة وإنما عن صورة جامدة مبتورة.
- وابحث ما شئت في عصرنا هذا فلن تجد في لغة الإعلام الرسمي جديدا أو ما يشبه الجديد إنما تجد إعلاما.. مكررا، معادا، قد كررت أساليبه وأعيدت عباراته مئات المرات بل آلاف المرات، ولا جديد فيه إلا ما يتصنع له الكاتب.[٢٠]

بطبيعة الحال، لا يتعرض الدكتور شوقي ضيف للنثر الإعلامي العربي في القرن الواحد والعشرين، بل يصف أدب العرب عامة ونثرهم خاصة في نهايات القرن الرابع والقرن الخامس الهجريين وما بعدهما.

٢٠- شوقي ضيف / الفن ومذاهبه في النثر العربي / دار المعارف بمصر، ١٩٦٥، ص ٢٢٩-٢٣٠.

التطابق ملفت بين سمات نثر كتب خلال قرون سحيقة خلت لم تكن الأكثر إشراقا في تاريخ الأدب العربي وبين نصوص يصنعها إعلام رسمي في عصر الأقمار الاصطناعية ولا يجوز له ما يجوز للأدب من تحليق وتنميق وغلو وذاتية الخ..

إن مفهوم الإعلام الرسمي لأصالة والتراث النثري العربي لا يتجلى في النهل من قمم هذا التراث بل في تمثل تراث القاع الذي يلبي متطلبات النظام الإعلامي العربي، والذي يعد هذا الأخير استمرارا معاصرا له.

لذلك نرى أن لغة الإعلام الرسمي تشكل مرتعا خصبا للكلمات المكرورة والنعوت المجترة والجمل المصوغة التي تصب في كليشهات متسمرة حافلة بالتطرف والإغراق تتدافع في خضمها ألفاظ مصطنعة وعبارات جوفاء وأشكال تعبيرية حفيظة شعارية تمجيدية وصور لغوية خشبية، وتتزاحم فيها طقوس تمجيدية وأخرى هجائية أو رثائية وأساليب إملائية تلقينية استكراهية يصيغها إعلام اختلت وظائفه الفيزيولوجية واضطربت بنياته الطبيعية في إطار يكرس أمية المتلقي ودونية ثقافته، متجاهلا ذكاءه الفطري مهملا تجربته الحياتية، طامسا حسه السليم، مغرقا عقله وذهنه في خمول عميق مفترضا أن هذا المتلقي شخص قاصر، منعزل لا إنسان عادي، بالغ عاقل متلهف لتنمية معرفته ورفع مستوى وعيه الاجتماعي ومتصل بوسائل بث جماهيرية لم يعد بمقدور أي سلطة وقف انتشارها.

إن غياب هوامش حرية ذات مغزى، غير خاضعة للأمزجة الإدارية والبيروقراطية للإعلام الجماهيري العربي سيؤدي تدريجيا وبصورة لا هوادة فيها إلى تكريس اقتران لا يهم إن كان متعمدا أو غير متعمد بين طبيعة النظام الإعلامي العربي وبين عدم صلاحية الفصحى للغة إعلامية مواكبة ومتساوقة مع الحضارة الراهنة، وسيقضي إلى تبرير منطقي للتخلي عن لغة عربية فصحى قابلة بطبيعتها إن أتيح لها أن تتحول إلى لغة إعلامية مفتوحة الآفاق على تيارات اللغة

الإعلامية العالمية الراهنة والمستقبلية وممتنعة على غزو العاميات، تفرض نفسها من خلال التكيف والتأقلم المستمرين مع خصائص الإعلام الجماهيري الراهن.

لذلك كله فإن عملية الربط بين حرية التعبير في الإعلام وضرورة إعادة إعلام الدولة إلى الدولة أي إلى المجتمع بكليته وبين سيادة الفصحى في اللغة الإعلامية، يعد عاملا حاسما في إحداث تغييرات بنيوية ووظيفية عميقة في اللغة الإعلامية العربية، تغير مضامينها وتبدل ملامحها وسماتها وطرائق تعبيرها وأساليب صنعها، بما يجعلها شديدة القرب من السواد، مرنة متداولة خفيفة الوطأة غنية في مفرداتها واشتقاقاتها، متحررة من قوالبها الأستاذية، خلاقة في حفاظها على أصول اللغة الفصحى وقواعدها دون تزمت أو تعصب ناقلين، فكما أن للشعر والأدب ضروراتهما أيضا للإعلام ضروراته ومتطلباته في العصر الحالي، كل ذلك من شأنه أن يضع اللغة الإعلامية الفصحى في مناخات صحية قادرة على إيجاد أفضل السبل للتصدي لرياح العاميات القوية التي تمثل ذرائع مقنعة للهروب من لغة إعلامية فصحى أصبحت اليوم أقرب إلى المستحثات.

على أية حال يحتاج هذا الموضوع أبحاثا تفصيلية مستقلة تتحرى بشكل منهجي وواقعي إمكانيات تأسيس أنظمة إعلامية عربية قادرة على استنباط أدوات جديدة لتأهيل اللغة الإعلامية الفصحى بما يلبي احتياجات الواقع العربي ويتساوق بشكل خلاق مع ضرورات العصر.

ولا ريب أن عملية التحري والبحث والاستنباط لا يمكن أن تتحقق إلا في أجواء حرية تعبير حقيقية، تغني الحوار والنقاش بين اللغويين والإعلاميين على كل المستويات وتخرج الإمكانات الخلاقة الكامنة في المجتمع المدني النخبوي إلى حيز الوجود، وصولا إلى بناء لغة إعلامية فصحى تنافس العاميات باقتدار وتستطيع أن تغزو معاقلها في جميع الصناعات الإعلامية بلا استثناء.

الاستعمال اللغوي في وسائل الإعلام[٢١]

إن القضايا التي يثيرها الاستعمال اللغوي في الإذاعة والتلفزيون تشبه شبها كبيرا القضايا التي يثيرها الاستعمال اللغوي في الصحف، وخاصة الصحف اليومية وقد بدأ المثقفون العرب يعنون بالمسألة في إطارها العام منذ أواسط النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي نتيجة ظهور الصحافة المكتوبة وانتشارها.

ولقد شغلتهم مسألة اللغة التي تستعمل في الصحف لما لاحظوه فيها من خروج عن النماذج التي عرفوها من الاستعمال الفصيح، وقد خصوها بالمقالات المفردة وبالكتب التي تندرج في باب من التأليف قديم في العربية يعرف بالتصويب اللغوي. ومن أول الكتب التي ألفها المحدثون في تصويب لغة الصحف كتاب "لغة الجرائد" للشيخ إبراهيم اليازجي. والكتاب في أصله جملة من المقالات المتتابعة نشرها اليازجي في مجلة اسمها "الضياء" في أعدادها الصادرة خلال النصف الأول من سنة١٨٩٩. وقد وجدت هذه "الحركة التصويبية" خلال القرن العشرين سندا قويا وخاصة بتكوين المجامع، وأهمها مجمعا اللغة العربية بدمشق الذي أسس سنة ١٩١٩، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي أسس سنة ١٩٣٢، وقد جعل المجمعان من أهم أهدافهما "الدفاع عن سلامة اللغة العربية". وكان جل أعضائهما من المحافظين المدافعين عن صفاء اللغة العربية الفصيحة والدافعين لكدر العجمة والعامية عنها.

ولكن مسألة اللغة في وسائل الإعلام قد ازدادت تعقيدا بإنشاء الإذاعات الوطنية ثم إنشاء التلفزيونات التي فتح فيها الباب لاستعمال العاميات مع العربية

٢١- إبراهيم بن مراد / كلية الآداب بمنوبة / جامعة تونس الأولى

الفصيحة. وقد خالف استعمال العاميات في هذه الوسائل استعمالها في الجرائد. فإن استعمالها في الإذاعات والتلفزيونات يعد رسميا لأنه يرد على ألسنة رجل السياسة وعلماء الدين وكبار الكتاب والأدباء، أما الجرائد التي يكتب كلها أو جلها بالعامية فتعد جرائد "شعبية"، وهذه الصفة كافية وحدها لتهميشها وعدم الاهتمام بها بين المثقفين.

على أن هذا "النزول" إلى العامية في استعمال العربية في الإذاعات والتلفزيونات قد أدى إلى ظهور حالة أخرى، هي "التساهل" في استعمال العربية الفصيحة. وقد نتج عن هذا التساهل ظهور ما يعرف بالعربية "الوسطى". وهي عربية ليست بالعامية لكنها ليست بالفصيحة الخالصة. فإن فيها من مظاهر العدول عن النماذج الفصيحة في الاستعمال ما يجعلها "اللغة الثالثة" بين الفصيحة والعامية. ونريد في الفقرات التالية أن نحلل بعض خصائص هذه "اللغة الثالثة" من خلال النماذج المستعملة منها في البرامج الإذاعية التلفزيونية وأن نبين بعض أسبابها ونتائجها وخاصة في الاستعمال اللغوي العام.

خصائص الاستعمال اللغوي في وسائل الإعلام[٢٢]

لاشك أن كل استعمال لغوي يتأثر بالمقام الذي يرد فيه وبدرجة معرفة المستعمل الذي يتتجه باللغة. و"المقامات" التي تؤثر في الاستعمال اللغوي في الإذاعة والتلفزيون هي البرامج ذاتها، والمستعملون الذين تؤثر درجة معرفتهم باللغة في الاستعمال اللغوي هم منتجو البرامج، ومن يرافقهم في براجهم. وتعد البرامج "مقامات" نتيجة اختلاف أنواعها وأهدافها والجمهور المتوجه إليه بها.

ويمكن تصنيف تلك البرامج بحسب أنواعها وأهدافها إلى خمسة، وهي:

(١) البرامج الإخبارية.

(٢) البرامج الثقافية.

(٣) البرامج التنشيطية.

(٤) البرامج الدرامية.

(٥) برامج المنوعات.

وأشد هذه الأنواع عناية باستعمال المستوى الفصيح من العربية هما الأول والثاني، ويتلوهما النوع الثالث الذي يجد منتجوه غالبا في استعمال التعبير الفصيح. وأما النوعان(٤) و(٥) فإن الغالب عليهما استعمال العامية.

على ان استعمال المستوى الفصيح من العربية في الأنواع الثلاثة الأولى يتأثر تأثرا كبيرا -مثلما ذكرنا من قبل- بالثقافة اللغوية التي تكون لمنتجي البرامج، وهؤلاء صنفان كبيران: الأول يغلب على عناصره التجانس، ويمثله

٢٢- إبراهيم بن مراد / كلية الآداب بمنوبة / جامعة تونس الأولى

"الصحفيون" وهم إما صحفيون بالاختصاص لتخرجهم من معاهد الصحافة والإعلام، وإما صحفيون بالانتساب نتيجة ظروف المهنة، والصنف الثاني خليط من المساهمين في الإنتاج، تتفاوت مستوياتهم العلمية والثقافية تفاوتا كبيرا. لكن ينبغي أن نلاحظ أن ذوي المستويات العلمية والثقافية العالية (مثل الأساتذة الجامعيين والأدباء والكتاب الكبار) قليلو الإسهام في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني وهذا يعني أن المؤثرين حقا في الاستعمال اللغوي العربي الفصيح في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني هم الصحفيون المتخصصون وذوو المستويات العلمية المتوسطة من غير الصحفيين وهؤلاء جميعا هم الذين ينتجون البرامج الإخبارية إعدادا وتقديما ومنها نشرات الأخبار، والبرامج التنشيطية، وجزءا مهما من البرامج الثقافية.

ولا شك أن المنتجين من الصنفين يسعون جهدهم إلى استعمال لغة عربية سليمة، بل إن الرغبة في استعمال العربية السلمية قد تدفع البعض إلى تفضيل ما يتوهم أنه صحيح على ما هو صحيح حقا، ولكن السعي إلى استعمال العربية السليمة لم يمنع ظهور ما يسمى "لغة الصحافة" وهي -بإجماع ما ينشر في الصحف المكتوبة وما يبث في البرامج الإذاعية والتلفزيونية فيها- أوسع مما سماه إبراهيم اليازجي منذ قرن "لغة الجرائد".

وفي هذه "اللغة" -لغة الصحافة- ظواهر تخالف المنوال الفصيح القديم، وقد مكنتنا متابعتنا خلال السنوات العشر المنقضية لبرامج التلفزيون التونسي الإخبارية، وخاصة لنشرات الأخبار، ومقارنتها بما تبثه الفضائيات التلفزيونية العربية، من تبين جملة من تلك الظواهر وهي ظواهر ناتجة عن جملة من الأسباب، أهمها في نظرنا وأعمقها تأثيرا هو ما نسميه "الترجمة الحرفية" وهي النسخ أو النقل الحر في القوالب وأساليب في التعبير أجنبية، فهي إذن تدخل العربية -باعتبارها لغة موردا أو هدفا- من لغات مصادر وخاصة من الفرنسية والإنجليزية وهذا التدخل بين اللغات طبيعي في الحقيقة لأن التقارض بين اللغات مظهر طبيعي لا تخلص من أثره أي لغة مهما يكن أهلها

محافظين. ولكن غير الطبيعي في الاقتراض أن تدخل اللغة المقترضة من اللغة أو اللغات المقرضة ظواهر تخالف نظامها ولا تقبلها قواعد استعمالها. والظواهر التي تعنينا هنا هي الظواهر التركيبية والأسلوبية، لأن التركيب – والأسلوب مكون من مكوناته– ينتمي إلى ما نسميه "نظم اللغة الخصوصية" وهي الأصوات والأبنية الصرفية والتراكيب النحوية. وهذه النظم يغلب عليها الانغلاق وعدم قبول العناصر الأجنبية عنها. وهي تختلف في ذلك عن نظام المعجم الذي تكونه المفردات، فإن المفردات بحكم صلتها بتجربة الجماعة اللغوية لا تكون منغلقة لأنها تتطور وتتجدد نتيجة تطور تجربة الجماعة وتجددها.

ومن الظواهر التركيبية التي نريد أن ننبه إليها للتمثيل بها وليس لتحليلها -فإن المجال لا يسمح بذلك– الثلاث التالية:

ا) الجملة الاسمية تتغلب على الجملة الفعلية في الاستعمال:

والعربية تستعمل الجملتين لا محالة بخلاف اللغتين الفرنسية الإنجليزية اللتين تكتفيان باستعمال الجملة الاسمية. ولا شك أن غلبتها في هاتين اللغتين لا يبرر تغليبها في العربية، ومن الأساليب المقدمة لتغليب الجملة الفعلية أن الجملة الاسمية أجلب لانتباه المستمع أو المشاهد وأقدر على ترسيخ محتوى الخبر في ذهنه من الجملة الفعلية. وهذا وهم ليس له ما يبرره لغويا، فإن للجملة الفعلية مواضعها التي لا يمكن للجملة الاسمية أن تقوم مقامها فيها في الإخبار فإن الخبر التالي مثلا: "الحرب بين إريتريا وأثيوبيا قامت على أشدها" ليس فيه ما يبرر تفضيل الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لأن محتوى الخبر الذي يراد ترسيخه هو قيام الحرب على أشدها وليس الحرب ذاتها، ولذلك كان يجب استعمال الجملة الفعلية بأن يقال: "قامت الحرب على أشدها بين إريتريا وأثيوبيا".

٢) تعدية الأفعال:

فإن من الأفعال ما يعدى مباشرة إلى مفعول رغم أنه يتعدى في الاستعمال الفصيح بحرف الجر، ومثاله المشهور عندما فعل "صرح" الذي يرد في جمل مثل: "صرّح أنه سعد بلقاء الرئيس" عوض "صرح بأنه ..." ومن الأفعال ما يعدى إلى مفعولين تعدية مباشرة رغم أنه يتعدى في أصل استعماله إلى مفعول واحد تعدية مباشرة. ومثاله عندنا "أسندت منظمة كذا الرئيس جائزة". وسبق المفعول الثاني الذي ينبغي أن يتعدى إليه الفعل بحرف الجر على المفعول الأول الذي يتعدى إليه بنفسه. ولذلك فإن الصواب أن يقال: "أسندت منظمة كذا جائزة إلى الرئيس". ثم إن من الأفعال ما تفرض عليه قيود دلالية في التعدية فيستعمل في مواضع دون أخرى، ومنها فعل "أعلن" الذي يكون مفعوله مما يصح إعلانه مثل السر أو الخبر، ولكنه قد جرى في الاستعمال مسندا إلى ما لا يسند إليه مثل المدينة أو القرية ومتعديا إلى مفعولين في مثل قولهم "أعلنت الأمم المتحدة مدينة كذا منطقة آمنة"؛ وأثر الترجمة الحرفية في هذا التركيب ظاهر جلي.

على أن هذا الفعل نفسه -أي أعلن- يغلب استعماله أيضا متعديا بحرف الجر "عن" في مثل قولهم "أعلن الوزير عن نتائج الانتخابات". فنلاحظ الأخذ والرد في استعمال هذا الفعل، فهو إما متعد إلى المفعول بحرف الجر، وإما متعد إلى مفعولين تعدية مباشرة.

وباب التعدية واللزوم ودور حروف الجر في ذلك باب واسع في "العربية الفصحى".

٣) إضافة المضامين:

القاعدة في العربية ألا يفصل بين المضاف والمضاف إليه بل أن يتتابعا متلازمين. ولذلك سمي المضاف والمضاف إليه أي إلى المضاف الذي يتقدمه. لكن من الاستعمالات الشائعة بكثرة إضافة المضافين أو الثلاثة أو الأربعة إلى

المضاف إليه الواحد، ومثال أبلغه تحية وتقدير وإكبار أخيه الرئيس، والصواب أن يسند المضاف الثاني والمضاف الثالث إلى الضمير وأن يقال أبلغه تحية أخيه الرئيس وتقديره وإكباره.

ولا نريد أن نكثر من ذكر هذه النماذج المخطأة من الاستعمال فإن كتب التصويب اللغوي مليئة بها وإن لم تستوفها جميعا. وإنما نريد -بعد أن عرضنا المسألة ونبهنا إلى أبعادها وأشرنا إلى بعض ظواهرها- أن نعني بآثارها سواء في مستعملي اللغة أنفسهم - أي المتكلمين بالعربية أو في نظام اللغة.

تأثير لغة الصحافة في الاستعمال اللغوي[٢٣]

يعسر في الحقيقة أن نحدد درجة تأثير لغة الصحافة الإذاعية والتلفزيونية في مستعملي اللغة لأن ذلك يتطلب الاستقراء والإحصاء والاستنتاج، ثم إن هذه اللغة ليست العامل الوحيد المؤثر في مستعملي اللغة. فإن من أهم العوامل الأخرى ذات التأثير الحاسم في ملكة المتكلم اللغوية، المدرسة لكن تأثير المدرسة فيما نرى محدود لأنه يحدث في مرحلتي التعليم السياسي والإعدادي خاصة.

وقد تزاحم الظواهر الجديدة في هذه اللغة الصحفية المنوال الفصيح الذي تلقى المتعلم قواعده في المدرسة فتغير من مظاهره ما تغير وتحل مكان بعض أنماطه الفصيحة الصرفية والدلالية والتركيبية أنماطا جديدة، وأول المتأثرين بهذه الأنماط الجديدة، الآخذين بها، هم الصحفيون أنفسهم، لأنهم هم أيضا ذو ثقافة لغوية قائمة على المنوال الفصيح الذي تلقوا قواعده في المدرسة ثم زاحمت أنماطه القديمة الأنماط الجديدة، على أن هذا التأثير يمتد فيشمل أصنافا أخرى من مستعملي اللغة مثل تلاميذ المرحلة الثانوية وطلبة التعليم العالي والمدرسين والكتاب.

ولا شك أن من نتائج هذا التأثير في الأصناف التي ذكرنا ضعف الملكة اللغوية المكتسبة بالتعليم طبقا للمنوال الفصيح القديم. وهذا الضعف مؤد إلى انتشار الظواهر الشاذة في الاستعمال، وقد تصبح القاعدة نتيجة ذلك شذوذا ويصبح الشذوذ قاعدة. فمن الشاذ عن القاعدة مثلا أن نقول أعاق والمعاق عوض عاق والمعوق، وأن نقول ألفت عوض لفت والملفت عوض اللافت لأن فعلي عاق لفت متعديان بنفسهما إلى المفعول وليسا في حاجة إلى التعدية بالهمزة؛

٢٣- إبراهيم بن مراد / كلية الآداب بمنوبة / جامعة تونس الأولى

ومن الشاذ أيضا أن نقول "القضايا ذات الاهتمام المشترك" لأن القضايا لا اهتمام لها ولا تكون صاحبة شيء ولا تشترك في أمر؛ ومن الشاذ أيضا أن نقول "الحوار شمال –جنوب" و"محادثات مبارك- الأسد"؛ لأن الجملة الأولى قد اسقط منها الظرف "بين" و"الواو" التي تعطف بين المتحاورين، والجملة الثانية قد اسقط منها حرف العطف "و".

ولكن الاستعمال الحديث قد مكن لكل هذه الشواذ فأصبحت هي القاعدة في نظر المتأثرين بـ"اللغة الثالثة" وانقلاب الشاذ قاعدة مؤد إذا كثرت نماذجه وتعددت أنماطه في الاستعمال إلى التحول من منوال قديم –هو الفصيح المقعد- إلى منوال حديث غير مخضع للقاعدة. وهذا المنوال الحديث قد بدأ يتخذ حيزه في الاستعمال اللغوي، وبدأت مظاهر منه تستقر في أصناف من "اللغات" منها "لغة البرامج الإذاعية والتلفزيونية" و"لغة الجرائد" و"لغة التدريس" أيضا! وإذن فنحن اليوم –في مطلع القرن الحادي والعشرين- نشهد ظهور ملكة لغوية جديدة قد هيأت لها أسباب من أهمها ضعف تدريس اللغة –مادة ومنهجا- في مرحلتي التعليم الأساسي والإعدادي في البلاد العربية، وانتشار "اللغة الثالثة" التي تعد "لغة الصحافة" مكونا من مكوناتها. فهل تمثل "اللغة الثالثة" أو الملكة الجديدة خطرا على العربية؟

تأثير اللغة الثالثة في نظام اللغة[٢٤]

النظام اللغوي في اللغات الطبيعية يتأسس عادة على مكونين متكاملين: أولهما هو المكون المعجمي وقوامه المفردات وما يتعلق بها من أصوات وأبنية صرفية ودلالات؛ وثانيهما هو المكون النحوي وقوامه الجمل وما يتصل بها من أنماط التركيب والوظائف الإعرابية وعلامات الإعراب، والتصريف وما يتصل به من مقولات. ولقد مر المعجمي بتغييرات كثيرة خلال القرون الخمسة عشر المنقضية من حياة العربية، كما عرف المكون النحوي تغييرات مهمة وخاصة في التصريف وأنماط التركيب. أما ما لم يتغير فالإعراب وما يرتبط به من وظائف وعلامات. فإن الإعراب باق على ما حدده له من القواعد علماء البصرة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

وإذن فإن العربية طيلة عصور استعمالها لم تكن لغة جامدة متوقفة عن التطور، بل كانت لغة متطورة حية قادرة على التعبير عن حاجات الجماعة اللغوية التي تتكلمها.

على أن ما داخلها من تطور في معجمها ونحوها لم يخرج عن نظام اللغة العام فيها، بل كان كل تطور فيها يحدث بحسب ما يسمح به نظامها العام. أما ما خالف النظام فقد أهمل وأسقطه الاستعمال. وفي إطار التطور الخاضع للنظام أو غير الخاضع له يمكن أن ننزل القول في الظواهر اللغوية الجدية. ولقد اهتم مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتلك الظواهر إذ أنشأ في

٢٤- إبراهيم بن مراد / كلية الآداب بمنوبة / جامعة تونس الأولى

بدايات تأسيسه لجنة سماها "لجنة الألفاظ والأساليب"، وقد كانت وما زالت تتبع ما يطرأ من جديد في الاستعمال اللغوي، وأهم مصادرها في ذلك ما ينشر في الصحف وما يبث في البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وقد نظر المجمع -مثلا في لجنته التي ذكرنا وفي مؤتمراته التي تنظر في أعمال اللجنة- خلال ثلاث وخمسين سنة من حياته (١٣٤-١٩٨٧) في أكثر من ثلاثمائة استعمال حديث؛ منها المعجمي، ومنها الصرفي، ومنها التركيبي النحوي، وقد أقر صحة استعمال جلها وأيدها بتخريجات من المصادر القديمة فأصبحت - بذلك- من العربي الذي يخرج عن نظام اللغة ولا يخالف المنوال الفصيح.

على أن ما أقره المجمع من ألفاظ وأساليب حديثة يتطلب إبداء ملاحظتين:

١- أن عدد ما أقره ضعيف جدا إذا اعتبرنا الفترة التي غطاها وهي نصف قرن، فإن هذه الفترة قد شهدت ظهور الآلاف من المستحدثات في الألفاظ والأساليب، وذلك ما تشهد به بعض المعاجم التي ألفها المستشرقون لتدوين المولدات المعجمية والأسلوبية الحديثة، ولا شك أن البحث الدقيق المعمق يقتضي تتبع كل المولدات الجديدة التي ظهرت في اللغة العامة -أي غير لغة العلوم- للنظر في ما يستجيب له.

٢- أن عدم إقرار المجمع للألفاظ والأساليب الأخرى التي لم يعن بها ليس دالا على رفضه المطلق لها، فإن القرارات التي أصدرها المجمع لقبول ما قيل من ألفاظ وأساليب دالة على لين موقفه من المولدات الجديدة، فقد قبل تراكيب مثل "صاروخ أرض أرض" و"صاروخ جو جو" و"قطار القاهرة -الإسكندرية" و"محادثات مبارك- الأسد"، رغم أنها ضعيفة الصلة بالمنوال الفصيح.

وهذا الموقف اللين الذي وقفه المجمع من المستحدثات في الألفاظ والأساليب يتيح لنا أن نجيب عن السؤال الذي سبق طرحه حول الخطر الذي قد تمثله "اللغة الثالثة" على المنوال الفصيح. فإن جل ما دخل العربية -وخاصة من لغة البرامج الإذاعية والتلفزيونية ولغة الجرائد- ودوّن إما في كتب التصويب اللغوي وإما في قرارات مجمع القاهرة وإما في المعاجم الاستشراقية الحديثة لا يمس نظام الإعراب الذي يفسد التواصل بين أفراد الجماعة المستعملين للغة الواحدة، بل يمس نظام المعجم وبعض مظاهر التركيب مثل استعمال حروف الجر وتعدية الفعل وتصريف السماء، وهذه كلها مظاهر لم تستقر في المنوال الفصيح نفسه. ولذلك كله فإن "العربية الثالثة" التي تغذيها اليوم البرامج الإذاعية والتلفزيونية لا تمثل خطرا على المنوال العربي الفصيح ما دامت مستجيبة لنظام اللغة وما لم تمس النظام الإعرابي فيها.

اللهجات العامية في وسائل الإعلام الإلكترونية

استخدام اللهجات العامية في وسائل الاتصال الإلكتروني يعتبر ثورة وقفزة نوعية في المجال الإعلامي رغم ما يراه البعض من كون هذه القفزة تهجيناً و إفساداً للغة والثقافة. لهذا سنسعى في الصفحات القادمة لإلقاء الضوء على المشكلة في محاولة للتعرف على أبعادها وأخطارها.(٢٥)

الاتصال واللغة:

الاتصال هو عملية نفسية اجتماعية تقوم على تبادل الرموز بين الطرفين المتصلين بهدف تحقيق آثار محددة.

وتقسم الرموز من نوعين: رموز لفظية وأخرى غير لفظية، حيث تتألف اللغة من رموز لفظية فقط: فمثلا، إن كلمة (جريدة) التي تتألف من الألفاظ الصوتية، ترمز إلى شيء معروف متفق عليه دلاليا في المجتمع العربي.

أما الرموز غير اللفظية، فهي الإشارات وحركات الجسد ونبرة الصوت. حيث يرى البعض أن الرموز غير اللفظية تحمل ٧٥٪ من المعنى في أي فعل اتصالي. حيث يتنوع توظيف هذه الرموز في الاتصال الجماهيري – أو ما يعرف بالإتصال الإعلامي في الوطن العربي – بتنوع الوسيلة المستخدمة.

١ – في الصحافة والمواد الإعلامية المطبوعة، نستخدم الرموز اللفظية – كالأبجدية تحديدا بجميع لغاتها – لتدوين ما تعبر عنه أفكار وآراء ومقاصد المرسل.

٢٥– عصام سليمان الموسى / المدخل في الاتصال الجماهيري ١٩٩٨

٢ - وفي الإذاعة المسموعة، نقوم باستخدام الرموز اللفظية(الأبجدية) المقروءة، وما يصاحبها من نبرة أو حدة، أو رفع الصوت أو خفضه. أو إستشعار السعادة أو الحزن وهذا يدل على أن المستمع يستقبل نوعين من الرموز: وهما كما أوردناهما سابقاً رموز لفظية وأخرى غير لفظية، حيث يعمل عقله في تحليلها، ومثال على ذلك أن نبرة قراءة نشرة الأخبار يكون إيقاعها وطريقة إلقائها تختلف بحسب الخبر إن كان محزناً أم ساراً.

٣ وفي الإذاعة المرئية تُستخدم الرموز كما في الإذاعة، لكن بإضافة المستوى الثالث، وهو مستوى لغة وتعابير الجسد والإيحاءات الجسدية والتي نعني بها الإشارات والإيماءات التي تصدر عن المرسل، أو مقدم البرامج. فعندما نشاهد تصريحا سياسيا عبر شاشة التلفاز، فإننا نستمع إلى تعابير أبجدية تحمل نبرات، ونشاهد بالعين الحركات والإيماءات التي تصاحب تلك التعابير، سواء صدرت على الوجه أو العينين أو اليد أو الجسد. حيث يقوم العقل المتلقي على استقبال هذه الرموز بتحليلها وفهمها ومن ثم يقوم بتشكيلها في محصلته في مجمل رسالة المتلقي ومقاصده.

الفصحى والعامية:

أصبح المتلقي العربي لرسائل الإعلام الصحفية والإذاعية والتلفازية، والإلكترونية يواجه تحديا آخر في مجال تحليل الرموز، يتمثل باستقبال رموز لفظية بالفصيحة أحيانا وبالعامية أحيانا أخرى. وعن أية عامية نتحدث؟ والعاميات كثيرة في وطننا العربي فهنالك المصرية والسورية والأردنية والتونسية والخليجية....إلخ. كما ويزيد عدد اللهجات العامية العربية في مجموعها على عدد الدول العربية أضعافا. ذلك أن في كل بلد عربي العديد من اللهجات التي تنسب أحيانا إلى المدن، أو المقاطعات، متوزعة بين بادية وحضر وريف في كل دولة عربية. وقس على ذلك التنوع العامي الموجود في الأردن حيث تختلف

عامية الشمال عن الجنوب وتختلف عامية الوسط وتتنوع بشكل كبير بسبب الإختلاط بين جميع العاميات الأردنية.

ويصعب على المتلقي العربي بشكل عام فهم العامية الدارجة كما يتحدثها أهلها في بلد آخر، فقد يلجأ إلى الفصحى لمواجهة الموقف، ويكرر الجملة أو السؤال مرات عديدة كأنما يترجمه، وفي هذا إضاعة للجهد وهدر للوقت، وما زاد الطين بلة هذه الأيام كثرة دمج بعض الكلمات الإنجليزية أو الفرنسية أثناء الكلام حتى أن بعض المثقفين ممن يضنون أن في وصف بعض التعابير والمصطلحات بتعبيرها الأجنبي أمراً يدل على إظهار ثقافتهم للغير بينما هم يظلمون لغتهم ويساعدون على طمس ملامحها وأنظر إلى لغة أهل تونس والجزائر التي أصبحت أقرب إلى الفرنسية لتعي ما أود أن أوصله إليك من رسالة.

وفي هذا المقام لا بد من أن نتعرف أن بعض اللهجات العامية وأهمها وأكثرها إنتشاراً المصرية ، والسورية قد نجحت بفضل التلفاز والمسلسلات والسينما في أن تصبح لهجة مفهومة عند نسبة كبيرة من العرب. ففي مصر مثلاً يفرقون بين لهجة قاهرية، وأخرى صعيدية، وربما قبلية وبحرية. وقد أصبح المتلقي العربي خبيراً في كل تلك العاميات المصرية بسبب الكم الهائل الذي تلقاه من تنوع في تلك المسلسلات والأفلام .

اللغة ... والجهد:

يحتاج تعلم لغة ثانية جهدا عقليا كبيرا يبذله الإنسان المتعلم، حيث يتطلب منه قضاء وقت كبير جداص لإتقان تلك اللغة. فتعلمك لغة ثانية يفتح ثقافة أخرى أمامك ، لتتواصل معها، وتلجها ولوج الواثق فيها كما تتأثر بها ولكن هل نستطيع أن نعتبر اللهجات العامية لغات ثانية بالمعنى الحرفي. من المؤكد لا وذلك لأن لكل لغة نظامها الخاص بها من قواعد النحو والصرف واللفظ، أما اللهجة فإنها توجد ضمن حدود لغة ما ولكنها غير مقننة.

ولكن المشكلة الحقيقية في اللهجات العربية خصوصاً تظهر نتيجة تباين اللهجات الحاد: مثلا، حين يتحدث عربي من الأردن بلهجته المحلية مع عربي من مصر بلهجته المحلية هو الآخر، تكون النتيجة أنهما لا يفهمان بعضهما البعض مطلقا. لقد أصبح الوضع الاتصالي هنا مغلقا على الفهم. وتحل إشكالية الأردني والمصري إلا بلجوئهما للفصحى، وهي اللغة العربية الأم باعتبارها مصدرا لهذه اللهجات المتباينة. أو لجوء كل منهما إلى محاولة إستخدام كل ما يوجد لديه من معلومات عن لغة الشخص الآخر من خلال الأفلام والمسلسلات فقد تجد الردني بدأ بتكلم العامية المصرية المكسرة لكي يحاول إيصال رسالته .

وفي الحقيقة يبذل العربي هذه الأيام جهد مضاعف في تعلم اللفظية العربية مما يسبب الإحباط للعزيمة: فهو يتعلم في بداية حياته لهجة الأسرة - وهي اللهجة العامية السائدة في المنزل والمحيط والجوار. وغالباً ما تكون لهجة الأم هي المسيطرة بحكم أنها أكثر من يحاوره بسبب إنشغال الأب وحين يبلغ الطفل السادسة أو السابعة من العمر يرسل به إلى المدرسة ، فيبدأ تعلم اللغة الأم الفصيحة، حتى يكمل دراسته. ويتم ذلك بشكل مواز لتعلم لغة أجنبية (إنجليزية أو فرنسية بحسب نظام الدولة).

ولكن استعمال الفصحى سيقتصر فقط على حصة اللغة العربية فقط، فيكون رسوخها ضعيفا في النفس، وهكذا تصبح اللغة الفصيحة عند العربي لغة فنية - مثل الأجنبية- يستخدمها فقط لأغراض خاصة.

ومع نمو الطفل العربي ، وبدء تعرضه لوسائل الإعلام المرئية باعتبار أن التلفاز وسيلة تعنى بتنمية مشاهدة الطفل منذ بداية التكوين،ومع ازدياد التعرض للتلفاز وبرامجه ومسلسلاته - أو ما يسمى بثقافة الترفيه المتسعة يوما عن يوم - ينتهي الأمر بالمتلقي العربي إلى أن يتعلم فهم (حزمة) من اللهجات العربية، أغلبها مأخوذة عن العربية الفصيحة ولكنها مشوهة . وفي هذا إضاعة للوقت

والجهد، ويبلغ طغيان العامية وقوتها وأثرها في النفس درجة تدفع بالإنسان لإيثارها على الفصيحة، حتى أنك تجد الطالب العربي الذي يتخرج من الجامعة، لا يتقن استعمال لغته الأم بحسب قواعدها الموضوعة .

للهجات العامية العديد من الإشكاليات:

تطغى على برامج الإعلام الإلكتروني استعمال اللغة العامية فيها، خاصة في البرامج الخفيفة، سواء كانت موجهة للسرة أو الطفل، أو الشباب أو الرياضي أو المزارع .. الخ، أما برامج الحوار الثقافي والإخباري فإنها تقدم بالفصحى المبسطة، أو شبه الفصحى.

ومع قدوم الفضائيات العربية – بواقع ٧٥٠ فضائية عربية تبث حوالي ٦٤٨٠٠٠٠٠ ساعة سنويا لا تنتج منها نفسها إلا حوالي ٤٨٠٠٠٠٠ ساعة بث – تتفاقم المشكلة.وتتمثل في محاولة هذه المحطات حشو ساعات بثها ببرامج الكلام (Talk Shows) ، تقدمها فتيات جذابات. يقول كاتب عمود يومي في الأردن، إن هذه الفضائيات قد استثمرت أجمل نساء العرب وأكثر مثقفيهم وهجا والتماعاً ويضيف أن هذه الفضائيات بارعة بالإلهاء النفسي، وتمتلئ هذه البرامج بأغان بلغاتها يرددها الشبان الصغار بكثرة.

إن قدوم الفضائيات وتركيزها على العامية وقدرتها على جذب أعداد غفيرة من المتلقين، فجر مشكلة العامية مرة اخرى، بعد أن انطفأ وهج الدعوات لها، تلك التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين في مصر ولبنان.

الصحافة واللغة[٢٦]

يعترف الباحثون بفضل الصحافة العربية على تطوير اللغة العربية الحديثة، وفي هذا الصدد يقول أديب مروة إن صحافة القرن التاسع عشر ومطلع العشرين كانت صحافة ذات رسالة: كانت تحمل سيفا لا قلما، وكانت في دور المجاهد لا في دور المنظم ولا في دور المصلح، ويضيف مبينا: "لقد حاربت الصحافة العربية الجهل والفقر والحجاب، ثم ناضلت لتحرير الأم والأمة، وكافحت لإصلاح اللغة وقد أدركتها الركاكة."[٢٧] وتاريخيا قام الرعيل الأول من رواد النهضة الصحفية بتعريب الألفاظ والمصطلحات وممارسة الاشتقاق والنحت، واستخدم السوابق اللغوية (Prefixes) مثل: لا شرعي، أو لا إنساني، والمركبات (مثل صواريخ جو - جو).[٢٨]

الإذاعة واللغة:

من ناحية أخرى فإن الوضع يختلف مع وسائل الإعلام الإلكترونية، ذلك أن الصحافة ي الأغلب الأعم تخاطب الصفوة المتعلمة، أما الإذاعة والتلفاز، وهي قنوات شعبية فإنها تخاطب إلى جانب الصفوة - الإنسان الأمي - الذي لا يقرأ ولا يكتب. وفي الوطن العربي تصل نسبة الأمية الإجمالية إلى حوالي ٤٥٪ وهي أعلى من ذلك بين النساء، حاضنات الأجيال المستقبل، وتأسيسا على هذا فإن الإذاعة والتلفاز تحصل تلقائيا على شريحة واسعة من المشاهدين من فئة الذين لا يقرءون ولا يكتبون، يضاف إلى هذا ما تتصف به هذه الوسائل من قدرة

٢٦- الدكتور عصام سليمان الموسى / جامعة اليرموك ـ قسم الصحافة / الأردن.

٢٧- الصحافة العربية: نشأتها وتطورها ص ١٤٣

٢٨- جواد عبد الساتر/ اللغة الإعلامية / ص ١٨

على الجذب تؤهلها لامتلاك قطاع واسع من المتلقين وأسرهم بجبالها، ونتيجة حتمية لهذا الوضع فإن النقد لاستخدامات اللهجات العامية في هذا القطاع بين مؤيد، وغير مؤيد.

يطربون العامية!

يعترف بعض المتلقين العرب بأنهم يطربون للعامية، وفي هذا الصدد يقول أحد الكتاب عن ندوة شعرية أذيعت عبر الفضائيات ما يلي: لقد سمعت ما سرني حقا وأنا مغرم بالشعر العامي والشعر البدوي النبطي، سمعت كلاما من القلب إلى القلب ... ويقول: هؤلاء يكتبون من روحهم (ربما يعني شعراء العامية)، ويقول ايضا: "الكتابة بالعامية ثورة".

وآخرون يرون أن وسائل الإعلام الإلكترونية تُدخل إلى قاموس مفرداتنا تعابير جديدة بعضها أجنبي، وبعضها محلي، وأنها تقرب بين اللهجات العربية فتجعل من الممكن للإنسان التفاهم مع أخيه العربي مهما نأت المسافات.

مثل هذه الآراء لا يمكن تجاهلها لأنها تصدر عن فئة مثقفة، تعكس واقعا لا يمكن نكرانه.

سلبيات العامية

بالمقابل يبرز بعض الدارسين الآخرين الجوانب السلبية لاستخدام العامية، وينبهون من مخاطرها ويذهب شلش إلى التحذير من أثر الإغراق باستعمال العامية إلى القول من أن وسائل الاتصال الجماهيري (كالراديو والتلفزيون والسينما) لها انعكاسات سلبية على اللغة لأنها تعمل على تهجين لغة فصيحة مبسطة مما يجعلها ضعيفة الأثر في بلورة لغة عربية فصيحة مشتركة. وهو بهذا كأنما ينسف فضل اللغة المبسطة – الثالثة – على الأمة العربية. هذه اللغة التي

طورتها وسائل الإعلام فجاءت وسطا بين الفصيحة والعامية، ودون هدر للقواعد الأساسية، وصارت رابطا يجمع العرب.

ويرى أحد الباحثين أن الإغراق في مشاهدة التلفاز يعمل على إيجاد "الإنسان التلفزيوني العربي" هذا الإنسان المتأثر بعامية اللغة، وخاصة الأغنية العامية، ويتعمق هذا التوجه حين نجد الفضائيات العربية الحديثة تعمد إلى توظيف (الجنس) كمتغير إضافي للتعبير غير اللفظي. إن إطلالة الصبايا الحسان باللباس الضيق الحديث، والتبرج الأخاذ يجذب إليه المتلقي للمتابعة الحثيثة.

ويذهب آخر أيضا لاعتبار أن استعمال اللهجات العامية بشكل مفرط سيكون "عاملا في تكريس التجزئة" الوطنية.[٢٩]

وينبه آخرون إلى أنه "صار من الضروري العمل على حماية اللغة العربية لضمان مستوى أدائها، وخصوصا في الداء المحلي في الإذاعة والتلفزيون"، خاصة وأن الخطر على اللغة يزداد "في عصر العولمة الذي يجعل الإنجليزية هي اللغة العالمية وتتسلل مفرداتها إلى اللغات الإنسانية وثقافتها.

إن السؤال الذي يطرح نفسه: هل ستنجح هذه الاستراتيجيات فعلا في إضعاف اللغة الفصيحة، وإحلال العامية محلها كلغة (قطرية) أو (إقليمية) على غرار ما حدث عند نشوء القوميات الأوروبية؟ إن هذا السؤال جدير بالمناقشة حقا، باعتباره أخطر النقاط السالبة جميعا التي تخطر على بال الإنسان نتيجة الأصوات المتصاعدة بالتحذير. وهم يستدلون بمقولة أعلن فيها مارشال ماكلوهان أن الطباعة كانت وراء ظهور القوميات الأوروبية.

وحين نرجع في التاريخ إلى منتصف القرن الخامس عشر للميلاد، نجد أن اختراع المطبعة قد إذن ببدء عصر اتصالي جديد: هو عصر الاتصال الجماهيري، وكان ذلك بداية عصر الإعلام المطبوع وأسهمت المطبوعات والصحف والكتب

٢٩- اللغة ووسائل الإعلام / محمد سيد / ص ٥١.

التي طبعت في المطبعة، وصارت بمتناول الناس، في انتشار المعرفة على نطاق واسع. وهذا الأمر أدى إلى كسر احتكار المعرفة الذي تميز به عصر الاتصال الثاني – الذي سبق المطبعة، والمعروف باسم عصر الكتابة – حين كانت المعرفة حكرا على السلطتين الدينية والسياسية، أما في عصر المطبعة فقد قاد تراكم المعرفة وانتشارها وفتح الجامعات والمدارس سلسلة من الحركات، كانت البداية توسع التجارة وظهور الاختراعات وتجمع الثروة، ثم ظهور حركة الإصلاح الديني وفصل الدين عن الدولة، وأدى ذلك إلى سقوط العالم القديم أمام المدفع والسفينة، وتفشي الاستعمار، واكتشاف العالم الجديد. كل ذلك أدى إلى ظهور ثورتين مهمتين:

- الأولى، الثورة الصناعية التي أحلت الآلة محل الإنسان في الإنتاج ومهدت لقدوم تكنولوجيا لاتصال الحديثة وقيام الثورة الثالثة للاتصال (المعروفة بثورة الاتصال الإلكتروني).
- والثانية، الثورة الفرنسية، التي أقرت مبدأ حرية التعبير لأول مرة.

وكان من أهم نتائج هذه المرحلة في أوروبا ظهور اللغات والقوميات المحلية، ولعبت الطباعة دروا في تعميق التجزئة. لا عجب بعد هذا أن نجد مفكرا جدليا مثل مارشال ماكلوهان يرى أن القوميات الأوروبية وليد طبيعي لاختراع المطبعة.

لكن هذا الأمر لم يحدث تماما كما فهمه البعض. ذلك أن ظهور القوميات الأوروبية على هذه الصورة كان نتيجة حتمية لعملية بدأتها الطباعة، ونجمت عن تفسخ الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وذلك بسبب حركة الإصلاح الديني أساسا وفصل الدين عن الدولة. وقد أسهمت الصحافة والكلمة المطبوعة في تعزيز الشعور القومي. لكن عملية توحيد اللغة استمرت في دولة مثل فرنسا حتى القرن التاسع عشر.

إن النظرية الاتصالية تؤكد في الحقيقة على أن التحولات الاجتماعية – كظهور القوميات – تصاحب تطوير أدوات اتصال قوية ومنافسة، وهذا ما ذهب

إليه ماكلوهان في مقولته لكن عصرنا الحالي الذي يستخدم تقانة جديدة، هي الإلكترونية، قد جاء بتحولات اجتماعية واقتصادية كانت العولمة من بشائرها، لذلك فإننا يجب أن ننظر إلى العولمة كالظاهرة الأعم الأشمل، وإلى القضائيات واستخدام العامية، كوسائل هذه الظاهرة ونتائجها، ويستخدم السياسيون والاقتصاديون والصحفيون تعبير العولمة لوصف نظام تتزايد فيه الانفتاحات السياسية والاقتصادية على بعضها البعض بما يؤدي إلى ارتباط الأسواق التجارية وتدخلها، وتتحقق العولمة بفضل استخدام الاتصال الحديثة المتطورة.

إذن ما يجب أن نتحوط منه هو العولمة أولا وأخيرا: وهذا يستدعي أن نقف من العولمة موقف الندية، لا موقف العاجز الذي لا يملك إلا الانحناء أمام ضغوطها واستراتيجياتها.

تطوير اللغة

يرى الباحث الكندي هارولد أنيس إن استخدام تقانة الاتصال الإلكتروني الحديثة مثل الكابل البحري، والتلغراف، والهاتف، قد أدى إلى تطوير اللغة الفصيحة الإنجليزية باتجاه تكثيفها، ذلك أن المراسل الصحفي كان يضطر لشحذ كتابته بصورة تدفعه لوضع أكبر كمية ممكنة من المعاني في أقل عدد ممكن من الكلمات. ونجم عن هذا أن تطورت اللغة الأمريكية الصحفية بهذا الاتجاه، إذا صار الصحافي يضغط أفكاره لتناسب أقل كم ممكن من الكلام. بالمقابل فإن اللغة العربية لم تتأثر تماما بهذا الوضع، إذ أن الأسلوب الإنشائي التقليدي لا يزال الغالب في كتابة الصحفية وحتى الإذاعية.

ويرجع هذا لسباب عديدجة، من بينها: ضعف التدريب والتكوين، واستمتاع الإنسان العربي بالإنشاء.

يقودنا هذا لأن نستنتج أن تكنولوجيا الاتصال، تماما كما أنها تؤثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فإنها أيضا تؤثر على الأسلوب واللغة،

وهذه بدروها تؤثر على العقل والإنسان نفسه، فاللغة هي وعاء الفكر واللغة.

-كما أسلفنا – نظام مقنن من الرموز، واللغة الفصيحة أو العامية، تخضع الواحدة منها لقانون محدد اقره المجتمع.وإذا كان المجتمع يفضل العامية ويرتاح إليها – ربما لأنها من القلب كما قال الأبنودي – فمعنى ذلك أنها مفهومة، ومن وجهة نظر علمية تُعتبر الطريقة الوحيدة التي نحكم بها على تميز اللغة واستقلال هويتها هي كونها مفهومة عند التخاطب، فعندما يتحدث شخصان ويفهمان بعضهما، فإنهما يتحدثان اللغة نفسها أو لهجة من لهجاتها.

من هنا فإن استخدام العامية لا يشكل خطرا على اللغة الفصيحة العربية – التي تبقى هي الأصل والمرجعية.

لكن لو نظرنا للأمر من ناحية ثقافية، فإن الخشية من ذلك هو فساد الفكر، وفساد الثقافة. وقد ذكر برنارد ليفن، وهي صحفي متمرس، أن فساد اللغة يؤدي إلى فساد الفكر".[٣٠]

وهذا ما تؤكده الدراسات الاتصالية التي تميز بين الثقافة الصفوية الراقية وبين الثقافة الجماهيرية، فالأولى تستخدم اللغة الفصيحة لتقدم فكرا طبيعيا رائدا راقيا. أما الثانية، فهي ثقافة في مجملها هابطة المستوى لا تمانع في استخدام اللغة الدارجة، وتقدم عبر قنوات الاتصال الجماهيري بصورة ترضي ذوق اكبر شريحة ممكنة، وهذا يقودنا لأن نستنتج أن الفضائيات العربية، باستخدام العامية، ومن بين أشياء أخرى، إنما تسعى لمخاطبة الشريحة الأكبر من المجتمع العربي واجتذابها إليها وإلى برامجها، وهذا أمر طبيعي جدا ... بل أمر مشروع.

أما لماذا يعتبر هذا أمرا مشروعا أو طبيعيا، فذلك لأن وسيلة الاتصال الجماهيري – أية وسيلة كانت – تسعى لجذب أكبر عدد ممكن من المتلقين.

٣٠– جواد عبد الستار / اللغة ووسائل الإعلام / ص ٢٩ .

ويقاس عادة نجاح الوسيلة بنجاحها في الوصول إلى الشريحة الأكبر. وذكرنا سابقا أن أكثر من نصف المجتمع العربي أمي محدود الثقافة. يضاف إلى ذلك أن الخصخصة تدفع القنوات للتنافس لاجتذاب الشريحة الأكبر. ولتحقيق الانتشار على أوسع نطاق، فإن الفضائيات والأرضيات صارت تستخدم استراتيجيات جديدة، منها العامية، لملاءمتها للبرامج الخفيفة في نظر معديها.

رغم هذا فإن الإغراق في استعمال العامية العربية يبقى أمر مرفوضا من دعاة الفكر القومي، ومن دعاة الاتقاء بالذوق العربي. إن بناء الإنسان العربي بناء معنويا هو مطلب قادة الفكر العربي ومثقفيه، ذلك أن هذا البناء سيكون بمثابة الدرع الواقي الذي يقي الشخصية العربية من أخطار العولمة والخصخصة ومضاعفاتهما، ومن أخطار المد الإعلامي الغربي (الأنجلو - أمريكي) الذي يغرق العالم بثقافة النفايات التي تعلم الهروب والاستهلاك "وأيدلوجية التسلية".

والكلمات السوقية التي تحفل بها مسلسلات الثقافة الجماهيرية التي تواجه بالنقد لهبوط مستواها.

لقد انتشرت اللغة الإنجليزية انتشارا واسعا في عالمنا الحالي بفضل الاستعمال البريطاني، وأصبحت اللغة الدولية المستعملة حاليا. وفي هذا الصدد يضيف هاكتن: "لقد أصبحت اللغة الإنجليزية اللغة العالمية الأولى بدون منازع في مجالي العلوم والتقنية، بل إن ما يزيد على ٨٠٪ من المعلومات المخزنة على جميع أجهزة الحاسوب (الكمبيوتر) مخزنة بالإنجليزية. وهكذا أصبحت اللغة الإنجليزية لغة عصر المعلومات ... واللغة الإنجليزية هي اللغة الثانية في مختلف أرجاء العالم، لكنها لا تحل محل تلك اللغات، بل أنها تعززها".

مؤخرا اعترفت الأكاديمية الفرنسية بسطوة الانجليزية، فسمحت بنشر الأبحاث بتلك اللغة بعد أن كانت مقصورة على الفرنسية، ورغم هذا فإن وزيرة الثقافة الفرنسية (كاترين تروتمان) ترفض "تنميط وابتذال الثقافة"

الأوروبية في مواجهة الهيمنة الأمريكية. [٣١] ولهذا نجد أن الفرنسيين والصينيين من أكثر شعوب العالم حرصا على مواجهة ابتذال الثقافة الجماهيرية (الأنجلو - أمريكية) المنشأ.

إن مظاهر ابتذال الثقافة الجماهيرية العربية، التي تقدمها وسائل الإعلام الإلكترونية، لا يختلف في واقع الأمر عن مثيلاتها في الغرب. لذا فإن الضرورة تستدعي طرح المشكلة أمام صانعي القرار مسؤولي الثقافة والإعلام، لتدارسها واتخاذ القرار بشأنها.

وهذا بالضبط ما يجب أن تقوم به مؤسسات الثقافية والإعلام العربية، الخاصة والعامة، على حد سواء. إن دفع قنوات الإعلام العربي باتجاه تبني ميثاق عربي يصر على استعمال لغة سليمة سيكون إنجازا يجب أن تسعة لتحقيقه مع بداية القرن القادم.

كما أن القائمين على اللغة يجب أن يدرسوا بجدية لماذا تواصل اللهجات المحلية توسعها على حساب الفصيحة، واتخاذ الخطوات الكفيلة لحل تلك الإشكالية ابتداء من الأسرة وانتهاء بوسائل الإعلام الإلكتروني. إن وضع حلول لهذه الأمور سيكون في الحق بداية لواقع جديد نصبو جميعا لولوجه، ذلك أننا نعيش في عصر لا نستطيع أن نغلق على أنفسنا ونتجاهل العالم المحيط بنا.

٣١- العرب اليوم / ١٩٩٩/١١/٣٠

اللغة العربية في الإعلام[٣٢]

لقد اعتبرت اللغة منذ وقت مبكر عنصرا محددا لماهية الإنسان مما جعل القدماء يستنبطون له تعريفات مستوحاة من الظاهرة اللغوية ذاتها أرسلت على مدى الأزمنة أقوالا مأثورة فقد رأى فيه أرسطو رأس حكماء اليونان (حيوانا ناطقا) بمعنى عاقل تأكيد للصلة الوثقى بين العقل والكلام وعرفه العرب المسلمون - انخراطا في نص القرآن وروحه - بأنه حيوان مبين[٣٣] وقرنوا تكريسا لقداسة اللغة عندهم نظرية الإعجاز القرآني بمقولة اللسان العربي المبين.

وأولى المفكرون العرب وفي مقدمتهم الجاحظ دلالة اللغة مكانة خاصة وعدوها أكمل أنواع الدلالات وأثرها تعبيرا عن حاجات الإنسان فتنزلت من وجوده منزلة الضرورة والحد المميز له عن سائر المخلوقات[٣٤] وارتقوا بالبيان العربي من مجاله التداوي الأصلي الذي يفيد الظهور والوضوح والفهم والإفهام إلى مرتبة النظام المعرفي القائم وعنوان التميز والتفرد. وقد ذهب إيمان العرب باللغة إلى حد اعتمادها مقياس يصنفون على أساسه الأجناس البشرية التي اعتنقت الإسلام ويميزون بينها وهو ما فعلوه مع العرب الخلص الفصحاء في مقابلتهم بالعجم.

وليست العجمة في مدلولها اللغوي الأصلي آلا نقيض الفصاحة بما هي إبهام وعجز عن الإبانة من جراء اللكنة في اللسان[٣٥]. وقد اضطلعت اللغة

٣٢- مجلة الإذاعات العربية (مجلة يصدرها اتحاد الدول العربية)، أ. بوبكر بلحاج، جامعة تونس الأولى.

٣٣- محمد عابد الجباري - بنية العقل العربي - الطبعة الثالثة ١٩٩٣ - ص ٢٠.

٣٤- حمادي صمود التفكير البلاغي عند العرب - منشورات الجامعة التونسية - ص ١٦٣.

٣٥- ابن منظور - لسان العرب - مادة عجم.

العربية الفصحى منذ أن فتح العرب أعينهم على العالم وكان ذلك قبيل الإسلام بوظيفة التأسيس لثقافة متنوعة المشارب استوعبت كل الروافد من مناهل التراث الإنساني الفارسية منها واليونانية والآشورية والبربرية وغيرها وصهرتها في وعاء واحد هو ما اعتاد الناس تسميته بالثقافة العربية الإسلامية.

وقد كان نشر اللغة العربية وما تحمله من ثقافة عند الفاتحين العرب الأوائل مساويا لما تسمح به لهم الحملات العسكرية والمناورات السياسية من سيطرة على الأراضي وبناء للمدن وقهر للأنظمة المعادية وإنقاذ للشعوب بدعوتها إلى الإسلام. فاللغة بما هي أداة لفهم القرآن الكريم أولا، ووسيلة للانصهار في جنس الحاكم والتشبع بقيمه ثانيا، وحاملة للثقافة وملكة فكر وعلم وإبداع ثالثا، كانت في تاريخ العرب بمختلف أحقابه عنصرا أساسيا من عناصر شخصيتهم وكنا جوهريا من مكونات هويتهم. وهي قبل ذلك وبعده عنوان توحدهم وتواصلهم السياسي وحصانتهم الفكرية ومجدهم الحضاري.

ولا جدال في أن اللغة العربية تقبل اليوم على أداء دور جديد حيوي بالنسبة إلى العالم العربي هو من قبيل سالف ما أدت ضمن منظومة العالم القديم. لقد أدت ذلك الدور سلفا في قطاعات السيف والقلم وفي مجالات الدين والسياسة وشؤون الثقافة والمعرفة من أدب وفقه وعلم وفلسفة وتاريخ وهي مدعوة حاضرا ومستقبلا إلى أن تؤدي هذا الدور في قطاع من أخص قطاعات الحضارة الحديثة وأطرفها وهو القطاع السمعي البصري وتحديدا البرامج الإذاعية والتلفزيونية في الوطن العربي. ولنا أن نتساءل في البدء: أي لغة نقصد؟ أهي كما يتبادر إلى الذهن اللغة القومية أي اللغة العربية الفصحى؟ أم هي اللهجات المحلية؟ ثم كيف تستطيع الإذاعة والتلفزيون تجذير ممارسة اللغة العربية لدى السامع أو المشاهد العربي؟ وما العلاقة بين المسألة اللغوية والمسألة الثقافية؟ وأخيرا أي ثقافة عربية غدا ؟

لا شك أن الثورة الاتصالية التي يشهدها العالم منذ عقود وما رافقها من سطوة وسائل الاتصال الحديثة وانبلاج عصر السماوات المفتوحة[٣٦]. يجعل من صناعة البرامج الإذاعية والتلفزيونية مسألة حيوية يتوقف عليها أحيانا مصير الأمم ويزداد الأمر خطرا كلما تعلق الشأن بأمم ذات حضارة عريقة قادت العالم واحتلت موقع الصدارة الحضارية وأدركت مدارج التفوق والتألق على مدى قرون كالأمة العربية. ويكمن الخطر في ان هذه الأمة أصبحت – وهل انفكت عن ذلك يوما – مستهدفة من قبل قوى الغروب المنافسة للعرب منذ الأول المتغمسة في (آتون الأخذ بالثأر التاريخي) الطامحة إلى سيطرة لا تنقطع وتسلط لا ينتهي. ويزداد الوضع تعقيدا عندما ندرك أن أشكال السيطرة الحديثة أقلعت عما مارسه غزاة الغرب السابقون من حملات عسكرية واستعمار سافر مباشر يوطن الأجنبي في أرض المحتل ويستنزف خيراته ويطمس شخصيته لتتقمص صيغا مستحدثا مقنعة تحت ستار ما كرسه الاستعمال العربي عن طريق التوليد الاشتقاقي بلفظه (عولمة).

ولئن راجت هذه اللفظة خاصة منذ سنة ١٩٩٧، فإن تباشير ولادتها لاحت كما هو معروف منذ الإعلان عن النظام العالمي الجديد إثر حرب الخليج وبمناسبة الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة الأمريكية سنة١٩٩٢ وواضح أن هذا النظام العالمي الجديد هو نظام وحيد القطب وأنه يتحسم رسميا في المركزية السياسية وانتصار الأنموذج الليبرالي في الاقتصاد المتشكل إجرائيا في اتفاقية تحرير التجارة الدولية وهو ما اختزلته عبارة العولمة الاقتصادية، ولكن الجانب المغيب أو المسكوت عنه في فلسفة النظام العالمي الجديد إنما هو إرادة التأسيس لكونية ثقافية تنفرد فيها الأمة الغالبة سياسيا واقتصاديا بقيادة بقية الأمم في قطاع الثقافة وجهاز القيم ومناهج الفكر. وبديهي أن هذه الرغبة في الانفراد بالسيطرة الثقافية والريادة العلمية والسبق المعرفي تخفي رغبة في إنشاء نمطية ذهنية مرجعية تفضي عندما تنضم إليها بقية مكونات العولمة إلى سيادة الغالب على المغلوب سيادة مطلقة. ولا شك

٣٦- عبد الحفيظ المرقام / مجلة الإذاعات العربية عدد ٤/ ١٩٩٩ فصل : قضايا الدراما التلفزيونية العربية – ص ٢٥.

أن اللغة معنية بهذا الصراع الحضاري لأنهـا أسّ الثقافـة في المقـام الأول ومجملـها وأداة التواصل الشعبي والرسمي.

وليست اللغة العربية في مأمن من خطر رياح العولمة العاتية الغازية بل لعلـها على راس اللغات المهددة بما تنذر به العولمة في كثير من جوانبها الجلية والخفية من تهميش وتذويب بل وإبادة ثقافية، خاصة في زمن أصبح يتحدث فيه الكثيرون عن نهاية الجغرافيا إشارة إلى زوال الحدود وإلغاء المسافات وتراجع قدرة الـدول علـى مراقبة دخول المعلومة وخروجها نتيجة ثورة الاتصال المذهلة وجلوس المـستمعين والمشاهدين إلى مئات المحطات يتلقونها عبر الأقمار الصناعية بفضل آخر صيحات أجهزة الالتقاط.

وإذا كان العرب قادة ومثقفين وشعوبا قادرين على التحكم في مصير لغـتهم وبقائها وعلـى اسـتمرار رواجهـا عـبر المنظومـة التربويـة في مراحلـها الإعداديـة والثانوية والجامعية وعبر مؤسسات البحث العلمي ومنتـديات الثقافـة وفـضاءات الفن والترفيه فإن تناولهم للمسألة اللغوية في المجال الحس البصري ينبغي أن يقـترن بجملة من المحاذير والتنبيهات. ذلك أن التقنيات الاتصالية الحديثة تـوفر للمـواطن العربي عروضا ثقافية وأطباقا عرفية بشتى لغات الـدنيا وخاصـة اللغـة الإنجليزيـة الغالبة على غاية من إتقان الإخراج ومهارة التعليب تقتحم بيته بدون استئذان وقد تشد انتباهه بصفو دائمة مما ينجر عنه تولية وجهـه عـن بـرامج القنـوات الإذاعيـة والتلفزيونية القطرية العربية. ولا يـستبعد أن يفـضي عـزوف المـستمع أو المشاهد العربي وخاصة الأطفال والشبان عن الإنتاج العربـي إلى تهمـيش الثقافـة العربيـة واللغة العربية من قبل العرب أنفسهم.

وينبغي التنبيه في هذا المضمار إلى ان اللغة العربية سادت على مدى أكثر مـن ستة عشر قرنا من الثقافة والتراث والوجدان وهي اللغة القوميـة لكثـر مـن ٢٧٠ مليون نسمة ولحوالي ٩٠٠ مليون مسلم من غير العرب يعتبرونها لغتهم المرجعيـة على صعيد المعتقد الديني إذ هي القرآن المـبين والحـديث والفقـه. فاللغـة العربيـة الفصحى هي إذا عنصر الوحدة والتوحيد بـين إطـار وشـعوب تتنـاغم وتتكامـل

وتتخاطب اليوم في الدين والأدب والفن والسياسة وغيرها من شؤون الفكر والحياة بدون حاجز ويفضل هذه الآلة السحرية الجامعة.

فالوعي بسلطان اللغة العربية بصفتها لغة تاريخ واحد وتراث عريق وثقافة قومية ومصير مشترك خاصة في هذه الحقبة العاصفة من تاريخ البشرية ينبغي أن يكون من بديهيات القناعات العربية المعاصرة. وإن لنا في تجارب بعض الشعوب عبرا يحسن أن تذكر.

فالرابطة اللغوية المجسمة في اللغة الإنجليزية هي التي جمعت مثلا في الولايات المتحدة الأمريكية أجناسا كان كل شيء يفرق بينها وينفر بعضها من بعض، ولتحت من شتات الأعراق هوية قومية صلبة انتصبت قطبا يقود العالمين. وكذا كان الأمر في الجمهوريات الروسية والصين وغيرها من الدول والشعوب حيث اضطلعت اللغة بوظيفة التوحيد بين أقوام لا يجمع بينهم أحيانا أي شيء.

وإن في ما أقبلت عليه البلاد مشرقا ومغربا من تخطيط لإنجاز التعريب تعريب الإدارة وتعريب التعليم وتعريب الشارع لخطوة في نشر الوعي بوجوب سيادة اللغة العربية في كل أرجاء الوطن العربي وهو علاوة على ذلك يشكل أرضية مناسبة لتحقيق خطوات أخرى مماثلة لمزيد تأكيد حضور اللغة الفصحى في وسائل الإعلام الإذاعية والتلفزيونية. وإذا كان هذا الحضور واقعا ملموسا اليوم في مختلف محطات الإرسال العربية فإن المأمول أن يتطور من صيغة المبادرات الظرفية والفردية إلى صورة المخطط القومي الهادف.

وقد أدركت المجموعة العربية في تخطيطها للعمل العربي المشترك أهمية الرهان فأفصحت عنه في وثيقة الخطة الشاملة للثقافة العربية الصادرة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بقولها:(إن امتلاك السيادة الثقافية داخليا وخارجيا يتوقف في الأساس على سيادة اللغة العربية في وطنها وبين أبنائها أولا).

ويترتب عن هذا الإدراك العربي لأهمية المسألة العاطفية والفكرية العمل على الانتقال من التنظير إلى التطبيق ومن الموقف إلى الإجراء وتكليف الإذاعة

والتلفزيون في سائر الأقطار العربية بوظيفة معاضدة دور الأسرة والمدرسة والصحف السيارة في ارتقاء باللغة العربية من لغة رسمية منبرية شبه حية إلى لغة حيوية يومية أي لغة جماهيرية. وأنه لا أحد ينكر أن هناك جهودا تبذل في الوقت الراهن، فنشرات الأخبار والبرامج الثقافية وجل البرامج العلمية تكتب وتقال وتقرأ في كل القنوات العربية بالفصحى. ولا أحد يمكن أن يدعي أن فهم هذه البرامج قد يستغلق بسبب اللغة فالجماهير العربية – بادية وريفا ومدينة تتابع نشرات الأنباء التلفزيونية وتدرك إجمالا مضامينها وتلميحاتها بدليل تفاعلها التلقائي أحيانا مع بعض الطرائف أو المفاجآت الإعلامية أو الأحداث التي هزت الساحة السياسية العربية أو الوقائع آلتي من شأنها أن تحرك سواكن الوجدان العربي كمأزق حرب الخليج أن مآسي مدينة ساريفو المسلمة الشهيدة أو تطورات حرب الشيشتان حيث يضطهد حماة الإسلام في تلك الأصقاع.

كما يتابع الناس بمختلف مستوياتهم التعلمية من العالم المختص إلى الأمي حلقات طبية شيقة دأبت على بثها الإذاعة والتلفزيون في الجمهورية التونسية منذ سنوات يدعى إليها أساتلة في الطب الحديث في مواضيع علمية مستعصية أحيانا تتناول بعض الأمراض وطرق علاجها ووسائل الوقاية منها وتستعمل فيها اللغة العربية الميسرة ولا نعتقد أن أحد تذمر من سوء فهم أو ارتج عليه خطاب أو فرط في الرسالة الدلالية التي يطمح البرنامج إلى تمريرها.

أما الأطفال فإنهم في كامل أرجاء الوطن العربي يجلسون أما الشاشة الصغيرة بانتظام لملاحقة مغامرات أبطالهم المفضلين ضمن حلقات برنامج الصور المتحركة الذي يبث هو أيضا وأشباهه من البرامج الموجهة إلى الأطفال والشباب كبرنامج دروس البكالوريا في الإذاعة والتلفزيون بتونس من متممات المؤسسة التربوية في تلقين العربية وتيسير استعمالها بين أطفال اليوم رجال الغد وضمان حركيتها التداولية بين الجماهير العريضة من مختلف الأعمار والشرائح.

ويمكن أن توسع دائرة الشواهد إلى المسلسلات التاريخية التي أنتجتها أقلام عربية مصرية أو سورية أو تونسية أو غيرها والتي اقتصر جلها على

اللغة العربية الفصحى وحقق بعضها نجاحا إعلاميا وجماهيريا سجلته أشواق الانتظار وحرقة الترقب وشجون المحاورة والتعليق اللاحقة للفرجة. فمسلسلات(العبابيد) أو (تاج من شوك) أو (الجوارح) أو (الكواسر) أو (هارون الرشيد) أو (ابو دلامة) أو (جحج) أو (بنت الخزاف) مسلسلات شدت المتفرج العربي من الخليج إلى المحيط وتجاوزت باقتصارها على الفصحى حاجز اللهجة القطرية فتمتعت تبعا لذلك بالإجماع العربي. إن استلهام الدراما التلفزيونية من التاريخ العربي القريب والبعيد يمدك بالمعلومة التاريخية ممزوجة بنصيب من الخيال الضروري لكل عمل إبداعي ويوفر الزاد الثقافي ولكنه أيضا يصقل عبر النص النموذج ملكة اللغة وقدراتها التعبيرية. والمأمول في هذا السياق أن تحرص الأجهزة الإذاعية والتلفزيونية العربية في نطاق مخطط عمل مشترك واعتمادا على النخب والكفاءات على مزيد استخدام التراث العربي في الدراما التلفزيون ونقصد بذلك مثلا نوادر بخلاء الجاحظ ومقامات الحريري التي يمكن أن تستغل منطلقات لمسلسلات اجتماعية وفكاهية راقية أو بصماتها في الحضارة الكونية كالطبيب القيرواني ابن الجزار أو ابن القيس مكتشف الدورة الدموية. إنها نماذج لو استثمرت الاستثمار الأجود لكانت فرصا لبرز أهم محطات الريادة والتألق في الحضارة العربية مما يساهم في التنشئة على الثقة في النفس المستمدة من الثقة في الماضي عبر الكشف عن فترات القوة في تاريخنا المشترك وتلك إحدى الوظائف الرئيسة للثقافة العربية اليوم وغدا ولكانت كذلك ضربا من الحلقات التكوينية في مجال اللغة من خلال نصوص إبداعية ممتازة. هذا فضلا عما توفره للمستمع وخاصة للمتفرج من متعة وترفيه.

وما دمنا نسعى إلى مزيد دعم الوظيفة التكوينية في الأداء اللغوي لأجهزة المذياع والتلفزيون خاصة في صفوف الأطفال والشبان، فإننا نشير إلى أن حصص نقل المقابلات الرياضية في تلك الأجهزة جديرة بأن تصبح مدرسة لتلقين اللغة لو قررت مواقع النفوذ العربية أن تعوض فيها العربية الفصحى مختلف العاميات

المحلية وعملت على إعداد المنشطين الأكفاء في المجال. ومعلوم أن هذه الحصص الرياضية تتمتع لدى الشباب خاصة بنسب إصغاء ومشاهدة عالية وأنها اعتبارا لجمعها بين الجد والهزل يمكن ان تصبح مصداقا للقول المأثور (علموا الأطفال وهو يلعبون) ولعله يحسن في هذا السياق مباركة الإذاعة والتلفزيون المصري من إنجاز برنامج تعليم اللغة العربية للناطقين بها (لغة العرب) لصالح الهيئات الإذاعية الأعضاء في اتحاد الإذاعات العربية [٣٧].

والأمل أن يتواصل استنباط تصورات أخرى ملائمة تدعم دور القنوات العربية في نشر لغة الضاد في صلب لجان عربية مختلطة تشرك الإعلاميين وأعلام اللغة وأهل الرأي في القطاع.

إن الغاية القصوى التي نرومها أن تضطلع الوسائل السمعية البصرية بمهمة كسر الحاجز النفسي وتبديد الوهم المسيطر على العقول العربية ومفاده أن اللغة العربية الفصحى فقد تكون لغة المدرسة والمدرجات ولغة رجل السياسة في المحافل الرسمية ولغة الصحافة ولغة الأديب والشاعر ولكنها ليست لغة العلوم والتقنيات ولا لغة الناس في واقعهم وحياتهم اليومية، فتلك مجالات لها أدوات تواصل مخصوصة هي اللغات الأجنبية أو اللهجات العربية المحلية.

أما اللغات الأجنبية فلا سبيل إلى رفضها في مجتمعات العربية وثوابت الكيان كمؤسس مركزي للشخصية ولكنها تنفر الانغلاق والاختناق الفكري والثقافي وترنو منذ أصولها إلى الانفتاح على ثقافات شعوب أخرى وعلومها عبر إتقان لغاتها الوطنية. ألا أن الازدواجية العربية لا يمكن أن تنقلب من موقع إثراء وخصوبة إلى شل من الارتباك اللغوي والتذبذب الثقافي وعقم الإنتاج.

ثم إن اللغة العربية الفصحى ما كانت يوما عاجزة منذ عصورها الوسطى عن إدراك المفاهيم المستحدثة أو مضامين العلوم والتقنيات الحديثة وعن التعبير عنها. وقد أثبتت قنوات الإذاعة والتلفزيون العربية من خلال برامجها العلمية

٣٧- مجلة الإذاعات العربية عدد ٤ -.١٩٩٩- ص ١٠٣-١٠٤.

المتنوعة قدرة اللغة القومية المعروفة بطاقاتها التوليدية الرفيعة على التعبير عن أدق المفاهيم والطف المعارف وأحدثها في ميادين الطب والهندسة والاتصال والفضاء ومختلف فروع التقنيات. والمرغوب في هذا المجال تحديدا مزيد تفعيل الترابط بين الجامعة ومراكز البحث العلمي في الوطن العربي وبين القنوات الإعلامية العربية - الإذاعة والتلفزيون ت وذلك بإحداث قناة جامعية عربية إذاعية وتلفزيونية قارة يدعى إليها علماء عرب من شتى التخصصات لإلقاء محاضرات وإدارة فضاءات حوار حول مواضيع علمية مختلفة كعلوم الوراثة والتغذية أو قضايا فكرية شائكة كقضية الاستنساخ أو زرع الأعضاء أو مسائل تهم المصير العربي المشترك كمسألة المياه أو الجغرافيا العربية للتعريف بحدود الوطن العربي الكبير وتضاريسيه وثرواته الطبيعية.

ويحسن أن نثري مضامين هذه القناة الجامعية العربية بقناة ثقافية عربية تكون منبرا تطرح فيه النخب العربية والشباب الطلابي أفكارهم ورؤاهم وتصوراتهم في مجالات الثقافات القطرية والثقافة العربية ماضيا وحاضرا ومستقبلا. وإن فضائل هذه القنوات أحدثت تكريس تقاليد الشراكة تصورا وبرمجة إسهام في تدريب الشعوب العربية وخاصة فئاتها المتعطشة للثقافة على مباشرة اللغة العربية عبر الإصغاء المتوتر للنموذج المختار وفي نحت شخصية العربي الجيد المنغمس في مشاغل العصر وطوارئ الحداثة. إن رفع مستوى الشعوب لا يكون بالتبسيط المخل والتعديل نحو الأسفل بقدر ما يكون بالتبسيط الموزون والتعديل نحو الأرفع أي بنحت ثقافة وسطى إلى جانب الثقافة العالمة تحملها لغة وسطى ليست لغة التوحيدي أو مسكويه أوالسيوطي بل هي لغة عربية مشتركة أوجدتها وسائل الإعلام وبعض الكتب والمؤتمرات العربية والأغاني والأفلام ويتزايد قربها من اللغة المكتوبة لدى الطبقة المثقفة. هي لغة تخترق اللهجات القطرية وتطفو عليها وتتجاوز حدود محليتها الضيقة وهي تحترم الإعراب وتستخدم اللفظة الفصيحة والتركيبة التقليدية السليمة وقد تتقبل بعض الصيغ والبنى النحوية والصرفية المكرسة. ولعل هذه اللغة الفصحى الميسرة المطورة التي تبدو بصدد التبلور

والانتشار في أرجاء الوطن العربي بين المثقفين والمبدعين وقادة السياسة بل حتى في رحاب المدرسة والجامعة هي لغة المستقبل وعامل توحد لغوي تدريجي جديد بين العرب لا يمس جوهر اللغة الفصحى وإنما يطوره بحسب ضوابط السلامة اللغوية وبحكم مقتضيات الزمن الجديد. وواضح أن دور الأجهزة الإذاعية والتلفزيونية العربية وإعدادها باستمرار لمجابهة حاجيات العصر المتفاقمة المتشابكة هو تحديث الخطاب الفصيح وتعصير اللغة العربية وتنمية طاقاتها التنافسية لا التخلي عنها لصالح لهجة قطرية أو لغة أجنبية. بيد أن مساندة هذا التوجه التعصيري للغة الفصحى لا يعني إنكار قيمة العاميات العربية، فاللهجة العامية رافد من روافد اللغة الأم وجزء من كياننا وأداة تعبير حي وتلقائي لتداولها في البيت والمطبخ والسوق والشارع وفي ساعات الفرح والشدة ونتطق بها أبطال مسلسلاتنا الاجتماعية والفكاهية ونجوم طربنا وقد يتوسل بها الساسة في خطبهم وبياناتهم \لكنها من رؤية سياسية وحضارية ينبغي أن تبقى محددة بسياقها الطبيعي بحيث لا تصبح بديلا عن اللغة القومية في مقامات استعمالها وخاصة في مقامات العلم والفكر والثقافة والإبداع بشتى ضروبه وعلى مستوى المؤسسات الرسمية والشعبية العربية وفي طليعتها مؤسسة الإذاعة والتلفزيون.

فالموقف اللغوي ليس إلا تواصلا للموقف السياسي والحضاري وهو يقتضي اختيارا عربيا مصيريا من جنس الحتمية التاريخية وهو أن اللغة العربية الفصحى لغة مرجعيات الهوية من تراث وفكر وروح هي أيضا لغة الحاضر والمستقبل بالنسبة إلى العرب كافة (والتفريط في اللسان القومي تفريط في الهوية وكسر لهيكل تماسك المجتمع ووحدته).

ولا بد من التذكير في هذا الموقع أن الغرب الاستعماري عندما أراد تفكيك الهوية العربية واغتيال الأمة العربية عمد تحت ستار الاستشراق إلى إحياء اللهجات في المعاهد والتشجيع على دراستها وتدريسها في المعاهد والجامعات الأوروبية متعللا في ذلك بوهم علمي كان من باب الحق الذي يراد به الباطل وهو أن اللغة العربية الفصحى في خضم التفكك الجغرا سياسي العربي سيؤول أمرها إلى

الاندثار كما آل أمر اللغة اللاتينية قبلها. لكن الغرب الاستعماري فوجئ بأنه حفز العرب للصمود واكتشاف منعة البقاء من حيث أراد أن يعمل فيهم معاول الهدم وكأنه بهذه الحملة الشرسة ضد لغتهم بعث فيه وعيا جديدا بقداستها وكمالها فكانت الصحوة اللغوية الثقافية التي صاحبت كل حركات التحرير في الوطن العربي منذ مطلع القرن العشرين شاهدا على عمق الالتحام بين السياسي واللغوي الثقافي في النضال العربي من أجل الاستقلال والحرية.

بيد أن الاستعمار تغلب في أواخر القرن الذي ينتهي في صور أخرى مقنعة تحمل عنوان النظام العالمي الجيد أو العولمة، وهو نظام يخفي وراء انفراد الأقوى بالقرار السياسي وسلطة المال نزعة جموحا إلى بسط نمط من الكونية الثقافية قائمة على الثقافة الأقوى أي الثقافة التي تملك قدرات أكبر على الانتشار والرواج بالسرعة القصوى خاصة عبر الأثير والفضائيات. وهي الثقافة التي تنجح في شد الجمهور خاصة جمهور الناشئة من خلال تلك الأجهزة وسوقه بدون وعي أحيانا وبفضل جمال الاخراج ومهارة التغليف وأساليب الإيهام إلى الانخراط في المنظومة الثقافية واللغوية الغازية. وليست مقولة (الاستثناء الثقافي) التي تمسكت بها السلطات الفرنسية أثناء المفاوضات التي جرت بمناسبة اتفاقية التجارة الدولية إلا ترجمانا عن الوعي الدفين لدى بعض الدول العظمى بجسامة المسألة الثقافية والمسألة اللغوية المترتبة عنها. وأن الوضع يصبح أفدح إذا تعلق الأمر بشأن أمة طالما حيكت ضدها المناورات وعاشت شتى أصناف الإجحاف والجحود بسبب تفوقها التليد وطاقاتها الراهنة الكامنة الخفية أو الجلية الظاهرة وهي الأمة العربية. إن هذه الأمة بغض النظر عن أنظمتها السياسية ومحلياتها الضيقة وأوضاع أقطارها الداخلية مدعوة اليوم وغدا إلى إعادة الروح لثوابتها القومية ثوابت الهوية وأسطول القيم الموروث ومخزون التراث العريق والى الانصراف مع ذلك إلى كسب العلوم وإقحام اللغة القومية في خضم النضال من أجل إرساء قواعد المجتمع المدني مجتمع النماء والديمقراطية والقانون وحقوق الإنسان والحرية الفكرية والتسامح والمعرفة.

إنها الحرب معلنة في سياق ما عرف عندهم بصراع الحضارات وعلينا نحن العرب أن نقابل نعرة الصراع بذهنية حوار الأنداد وعقلية الإقصاء بإرادة المشارة الفاعلة في بناء الثقافة الكونية الجديدة ثقافة الحياة ولا رفاه لا ثقافة الموت والإبادة، وترسيخ التكافؤ الحضاري والفكري التعددي. هي معركة من أجل البقاء والفعل الحضاري والريادة المتجددة. وأنه من واجب الأمة العربية ومسؤولية قياداتها السياسية العلمية والفكرية أن تتكتل في صلب جبهة قومية حضارية تتجاوز التنافس العربي الداخلي لتتحالف بكامل قواها لنحت ثقافة قومية عربية جديدة تنطلق من الموروث المشترك وفي طليعته اللغة العربية لتعانق مستجدات الحداثة وما بعد الحداثة فتنتقل من موقع المهادنة والدفاع إلى موقع الهجوم والتحدي وتفرض نفسها على الساحة الإقليمية والعالمية بغزارة الإنتاج وجودته وطرافته وتنوعه وبتمسكها بمرجعيات الوفاق والسلام. وبديهي أنه على العرب أن يتقنوا استخدام أسلحة العصر الفتاكة والترغيب فيها وعلى رأسها سلاح الإعلام وخاصة منه الإذاعة والتلفزيون وأن يقلعوا في هذا المجال عن حلول التوريد السهلة لصالح حدود الفردية العقيمة وتضمن الاستمرار الخصب والتفوق الجماعي في حلبات المنافسة الكونية الصاخبة، أنهم بفضل ذلك السلاح وبفضل غيره من الأسلحة الأخرى الناجعة وخاصة منها سلاح العلم قد يدركون ساحل النجاة نجاتهم كجنس وكأرض وثقافة ولجاة لغتهم القومية باعتبارها إحدى تشكيلات الإنسان العربي على مر الدهور وبلسم حصانته (وأم المرجعيات) [٣٨]على الإطلاق. وهي علاوة على كل ذلك لسان الإرادة القومية وعنوان التوازن النفسي والأمن الثقافي وسر السيادة العربية على الدوام.

٣٨- عبد السلام المسدي العولمة والعولمة المضادة / شركة مطابع تونس / ص ٣٨٨

العلاقة بين اللغة والتعبير الإعلامي[٣٩]

إن موضوع العلاقة بين اللغة والتعبير الإعلامي يتطلب نوعا من الاتفاق حول المصطلحات السياسية ذلك أن رقعة الخلاف قد اتسعت بين الدلالة المعاصرة وبين الدلالة القاموسية القديمة، ومن أبرز الشواهد على ذلك مصطلح (اللغة) على حد تعبير أستاذنا الدكتور عبد الحميد يونس، فنحن جميعا نتفق اليوم على أن هذا المصطلح إنما يعني في المقام الأول أهم وسيلة من وسائل الاتصال بين الناس، وهي اللسان ومع ذلك فإن اللغة كانت عند الأقدمين ترادف ما نستعمله الآن من مصطلح (اللهجة) فاللسان العربي هو اللغة العربية بالمفهوم المتبع، وقد تبلبل هذا اللسان فاستوعب لهجات مختلفة عرفت كل واحدة منها بأنها لغة، كان يقال لغة مضر أو لغة تميم " أما الآن فإننا نقول اللغة الإنجليزية، أو اللغة العربية، ونعني بذلك الكيان اللغوي لكل أمة من هذه الأمم على اختلاف اللهجات في التلفظ والدلالة جميعا.

وإذا كان المعنى الخاص قد غلب على المعنى العام فيما يتصل بمصطلح اللغة، فإن التعبير الإعلامي وهو أضيق في الدلالة من اللغة، يتطلب منا أن نستشف علاقة اللغة بوسيلة الإعلام، وهنا نذكر قول "هوبز" الفيلسوف الإنجليزي: (مثل الكلمات بالنسبة للعقلاء كمثل محل دفع النقود، فإنهم لا يفعلون أكثر من تقديرها وعدها – ولكنها بالنسبة للبلهاء النقود نفسها).

ذلك أن اللغة نسق من الإشارات موجود في أي مجتمع ومن أجل هذا المجتمع، فهي من أهم وسائل الاتصال، ولذلك يجب أن نعرف كيف نعالجها وكيف نستخدمها في وسائل الإعلام من خلال فهمنا لبنائها المعقد، وليست

٣٩- مقال للدكتور / عبد العزيز شرف / القاهرة

الكملات – وهي أصغر وحدات اللغة – أشياء غامضة خفية تحيط بها الأسرار والألغاز، وإنما هي أحداث في الزمان والمكان أو كما يقول ليونيل روبي" فإن لها بعدا ماديا كما أنها ترمز إلى معان كأشياء مادية: اللغة تقال وتكتب، والكلمة المجهورة تسبق الكلمة المدونة لأن الناس تكلموا قبل أن يكتبوا.

"والكلمة المجهورة كشيء مادي هي صوت أو جرس أو جلبة تحدث بوساطة اهتزازات عضلات زورك، وحركة هذه العضلات تحدث ذبذبات في الهواء داخل فمك، وهذه الحركات تحدث خلال المنطقة التي تتحدث فيها – وهذه الذبذبات في الهواء المحيط ترتطم بطبلتي أذن الشخص الذي تتحدث إليه فتحدث حركات في جهازه العصبي ومخه، وعندئذ يسمع كلماتك".

وهنا يحدثنا "روبي" ساخرا من ذلك الكذوب المحتال البارون فون مونشهاوزن الشهير، عن أسطورته التي تزعم أن رجلا رفع عقيرته محييا صديقا له على الجانب الآخر من نهر البرودة ويقول البارون أن البرد كان شديدا جدا لدرجة أن الكلمات تجمدت قبل أن تعبر النهر وتصل إلى الشاطئ الآخر، وأن هذه الكلمات لم تسمع حتى جاء الربيع فساحت مع ذوبان الثلج، وانطلقت إلى غايتها!.

والبعد المعنوي للكلمة أهم من بعدها المادي، فعندما نقول أن الكلمات لها معان، فإن ذلك يعني أن الناس اتفقوا على أن كلمة معينة مثل "الغلالة" بتدل على الثوب الرقيق الذي يلبس تحت ثوب ضيق، وهنا تتضح علاقة اللغة بالتعبير الإعلامي، حين يكون الهدف منها هو نقل المعلومات.

وإذا كان مفهوم الإعلام قد ظل زمنا طويلا غير محدد، فإن نظرية ظهرت في الأعوام الأخيرة تسمح لنا بأن نقوم موضوعيا كمية المعلومات التي تضمنها أي رسالة سواء أكانت الرسالة تقريرا عن موضوع ما أم قصيدة للعقاد أم حديثا تلفونيا أم مقطوعة موسيقية لعبد الوهاب أم تنبؤ بحالة الطقس أم اكتشافا يحقق ثورة في ميدان العلوم، وتمسى هذه النظرة باسم نظرية الإعلام التي انبثقت من مشكلات عملية خالصة، فوضع العالم الأمريكي كلودشانون عام ١٩٤٨ أساس

نظرية الاحتمالات في الإعلام، ويعده بدء الكثير في تطبيقها في مجالات واسعة من العلوم.

وكان أساس نظرية المعلومات الرياضية هو مفهوم عدم التحدد أو الانطروب Entropy، ويذهب أكندراتوف إلى أن شانون هو صاحب الفضل في إدخال مبدأ القياس الكمي للمعلومات التي يحتويها اختيارنا لأحداث بعينها من بين سلسلة كبيرة من أحداث تقع وفق احتمالات مختلفة. ووسائل الاتصال تفيد في نقل المعنى، فهي ليست مجرد مركبات من أحرف أو رموز اصطلاحية، أن أول أهداف الاتصال اللغوي هو نقل المعنى، والسياق هو الذي يعين قيمة الكلمة إذا أن الكلمة كما يقول فندريس توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة (حضورية).

وإزاء انتشار وسائل الإعلام واستخدام الكلمة مجهورة ومدونة، يبرز هذا السؤال: هل اللغة وسيلة واضحة يمكن الاعتماد عليها في اتصال الناس بعضهم بعضا؟ كيف نتأكد من أن ملايين الناس قد وعوا قصد المرسل ومعناه وما رغب في توصيله إليهم؟

يمكننا أن نستعمل قول العالم النمساوي بوهلر أن الكلام دليل للرسالة وتنبيه للسامع، ويظهرنا ستيفن أولمان على وظائف أساسية للكلام الإنساني وهي أن الكلام: معبر وموصل ومؤثر، ويتوقف الأمر على ما إذا كان الموضوع ينظر إليه من زاوية المرسل أو الرسالة أو المستقبل.

والكلمات – في وسائل الإعلام – لها صورتان من الوجود: وجود بالقوة، ووجود بالفعل، فكل كلمة – كما يقول أولمان أيضا – تسمع أو تنطق تترك في أثرها مجموعة من الانطباعات في ذهن كل من المتكلم والسامع، يشترك فيها

الأول بطريق ايجابي، وخاصة في وسائل الإعلام بوصفه بادئا بالاتصال، والثاني بطريق سلبي بوصفه مستقبلا (بكسر الباء).

ويشكل المعنى المشكلة الجوهرية في علم الإعلام اللغوي، ويمكننا أن نفيد هنا من تحليل الأستاذين "أوجدن" و"رتشاردز" في كتابهما: "معنى المعنى" والذي يتمثل في مثلهما المشهور حيث يذهبان إلى وجود عوامل ثلاثة تتضمنها أية علاقة رمزية.

أولها: الرمز نفسه.. وثانيها: المحتوى العقلي الذي يحضر في ذهن السامع حين يسمع الكلمة، وهذا المحتوى العقلي قد يكون صورة بصرية، أو صورة مهزوزة أو حتى مجرد عملية من عمليات الربط الذهني، طبقا للحالة المعينة، وهذا ما سماه هذان العالمان: "بالفكرة" أو الربط الذهني Reference وهناك أخيرا الشيء نفسه الذي ارتبط ذهنيا بشيء آخر، وهذا الشيء قد سمياه المرتبط ذهنيا Referent. وقد وضحت العلاقة بين هذه المصطلحات الثلاثة بصورة مثلث هكذا:

وربما يسعفنا النموذج التالي في أن يقع على بعض الملاحظ حول علاقة اللغة والإدراك وعلاقتهما معا بعلمية الإعلام ككل.

وعملية الاتصال اللغوي في الإعلام ما يدل عليها المصطلح تنطوي على القراءة والكتابة والكلام، من خلال تحقيق جمع المعلومات ونقلها، ولا يمكن للإعلامي أن يقوم بالمعجزات عند استخدامه لوسيلة الإعلام، إلا أن عليه أن يفهم أسلوب الاتصال اللغوي فهما صحيحا وينبغي أن يكون في مقدوره مساعدة جمهور المستقبلين على فهمه ايضا، فمن الواضح أن عملية الإعلام تتم عن طريق اللغة، وقد ذكر "جون لوك" أن الكلمات تثير الشك والغموض، ومعنى أغلبها غير مؤكد، بحيث أننا لو شغلنا أنفسنا بالكلمات وبقينا نحوم حول أسماء الأشياء فلن يكون غريبا أن تضل الكلمات السبيل، فالمستقبل قارئا وسامعا يعرف القليل عن أهمية معاني الكلمات وعن أهمية الارتباك الناشئ عن تفسير كلمات الآخرين، فيكون إذن على الإعلامي أن يساعد المستقبل على إدراك أسلوب الاتصال.

وفي البداية يحتاج المصطلحان: اتصال واتصالات إلى إيضاح، فالاتصال، والاتصالات هي الوسائل التكنولوجية المستخدمة لتنفيذ هذه العلمية، والاتصال - إذن - هو حقيقة أساسية للوجود الإنساني والعلمية الاجتماعية. بل إن الاتصال هو حامل العلمية الاجتماعية، وهو الذي يجعل التفاعل بين الجنس البشري ممكنا، ويمكن الناس من أن يصبحوا كائنات اجتماعية، وفي عملية الاتصال نهدف إلى إحداث تجاوب مع الشخص المتصل به، وبعبارة أخرى نحاول أن نشاركه في استيعاب المعلومات أو في نقل فكرة أو اتجاه.

ووفقا لما ورد بقاموس ويبستر عن تعريف الاتصال، نجد أنه يمثل عملية يتم فيها تبادل المفاهيم بين الأفراد، وذلك باستخدام نظام الرموز المعروفة.

فالاتصال يضمن تفاعلات متبادلة أو لها يتمثل في إرسال واستقبال الرسائل وثانيها في تحرير وفهم تلك الرسائل، والثالث في المشاركة والتناغم مع أفكارها، وهذه التفاعلات يمكن تشبيهها بالمراحل المتداخلة التي تتضمنها الهندسة وعلما النفس والاجتماع، فمن الناحية الهندسية نجد الوسائل يصد بها إرسال واستقبال الإشارات، وهكذا على نحو ما يفصله ارفنج لوج وغيره من العلماء.

وإذا حللنا علمية الإعلام في الاتصال بالجماهير وجدنا أنها تشتمل على خمسة عناصر رئيسة هي: المرسل الذي يصوغ فكرته في رموز معينة، ويبعث بها إلى المستقبل إلى فك هذه الرموز ويفسر معناها، ثم يستجيب لها معبرا عن رده أو انطباعه برسالة جديدة يصوغها في رموز، ويبعث لها إلى المرسل الأول الذي يستقبلها ويحل رموزها ويستجيب لها، وهكذا تدور دورة الاتصال وتشكل أهم خصائص المجتمع المتفاعل.

والواقع أن عملية الإعلام تجري في سلسلة ذات حلقات متماسكة ويؤدي ضعف أي حلقة فيها إلى ضعف السلسلة كلها، فالمرسل والمستقبل والرسالة ووسيلة الإعلام حلقات متصلة متكاملة في علمية الإعلام.

فالمصدر أو المرسل أو المحرر، ينبغي - كما يقول ابن وهب، أن يكونوا (أصح ديانة وأمل أمانة وأظهر صيانة لأنهم مأمونون على الدماء والأموال). وهو يقول هذا الكلام في صدد حديثه عن "صاحب الخبر" في الحضارة الإسلامية، حيث يمثله بأنه "عين الوزير أو المجتمع" التي ينظر إليها في رعيته، ورائده في مصالح من تحت يده، فليس ينبغي أن يتقدمه أحد في الصدق والثقة والأمانة غير القضاة ومن جرى مجراهم (ومتى نصب الوزير لرفع الأخبار من يخالف هذه الصفة، فقد غش نفسه، وأضاع الحزم في سياسته وخان الأمانة في رعيته.. وعلى الوزير أن يوسع على صاحب الخبر في رزقه ويشتري بذلك دينه وأمانته، ويعلمه إنه إنما فعل ذلك به من بين نظرائه لئلا تشره نفسه إلى أموال الرعية، ولا يحتاج إلى استتكالها والتكسب منها).

وقد عني الباحثون المحدثون بدراسة هذا العنصر في عملية الإعلام، ويرجع الفضل إلى عالم النفس النمساوي الأصل الأمريكي الجنسية "كرت لوين" في تطوير ما أصبح يعرف بنظرية الحاجب الإعلامي Gatekeeper حيث تصل المادة الإعلامية إلى الجمهور في حلتها الطويلة عبر نقاط أو "بوابات" يتم فيها اتخاذ قرارات بشأن ما يدخل وما يخرج، وكلما طالت مراحل رحلة الأخبار حتى تظهر في إحدى وسائل الإعلام، ازدادت المواقع التي يصبح فيها من سلطة فرد أو عدة أفراد تقرير ما إذا كانت الرسالة ستنقل بنفس الشكل أو بعد إدخال بعض التعديلات عليها، لذلك نؤثر تعريب هذا المصطلح "بالحاجب الإعلامي" وليس "بحارس البوابة" كما يحب بعض الفضلاء، لأن الدلالة العربية لكلمة "الحاجب" تقربنا من المفهوم الحديث، فالحاجب كما يقول ابن وهب: (هو المؤتمن على الأعراض، وأداء الأمانة في الأعراض أوجب منها في الأموال، لأن الأموال وقاية للأعراض، فكذلك ينبغي لوسائل الإعلام أن تجعل (حجابها) ممن صحت عقولهم وغريزتهم حين خلقهم، ولانت كلمتهم وهؤلاء الحجاب هو الإعلاميون العاملون في الوسائل المختلفة، ذلك أن الرسالة تمر بمراحل كثيرة وهي تنتقل مكن المصدر إلى المستقبل ومن أجل ذلك عنيت الدراسة الحديثة بتناول تأثير

الظروف المحيطة برجال الإعلام، وتأثير النواحي المهنية عليهم، والجوانب الفنية والمادية لعملهم).

والمرسل في نموذج الإعلام الإسلامي يجب أن يختار بعناية - كما يقول ابن وهب - حتى يكون أفضل في عقله وضبطه وأدبه وعارضته ودينه ومروءته، فقد كان يقال: "ثلاثة يدل على أهلها: الهدية على المهدى، والرسول على المرسل، والكتاب على الكاتب".

وكان يقال: "رسول الرجل مكان رأيه وكتابه مكان عقله، وكذلك رأيه وكتابه مكان عقله، وكذلك جعل الله عز وجل - رسله أفضل خلقه" وأخبر أنه اصطفاهم على العالمين، فقال في سورة الأنعام الآية: ١٢٤، (الله أعلم حيث يجعل رسالته).

وعلى المرسل أو الرسول في عملية الإعلام أن "يؤدي ما حمل - كما قال عز وجل - (فإنما عليه ما حمل) سورة النور، ٥٤، وكما قال: (فهل على الرسول إلى البلاغ المبين) سورة النحل، ٣٥". وإنما وجب عليه البلاغ، لأن الرسالة أمانة، فعليه تأديتها لأن الله عز وجل يقول: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) سورة النساء، ٥٨. وليس للرسول أن يزيد في الرسالة ولا أن ينتقص منها، لأن في ذلك خيانة للأمانة، إلا أن يكون المصدر فوض إليه أن يتكلم عنه بما يرى، فقد قال الشاعر:

وإن كنـــــت في حاجـــــة مرســــــلا

فأرســــــل حكيمـــــا ولا توصــــــه

ويذهب ابن وهب إلى أن المرسل - المصدر "عليه أن يتخير من الرسل من لا يكون فيه من العيوب التي يذكرها وهي: الحدة والحسد والغفلة والعجلة فإن صاحبها يضع الأشياء في غير مواضعها، ويسبق بها أوقات فرصتها وقد قيل: (رب عجلة تهب ريثا)".

وفي كتابنا الكريم آيات ينبغي أن يتمثلها المرسل في الإعلام الحدث لما ترسمه من مثل عليا، قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ سورة النحل، ١٢٥.

فالإعلام يقوم في الأصل على الإقناع والنظرية الإسلامية في الإعلام تنهى عن الاكراه، قال تعالى: ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بينا وبينكم، الله يجمع بيننا واليه المصير﴾ سورة الشورى، ١٤ـ١٥. ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ، والله بصير بالعباد﴾ سورة آل عمران، ٢٠.﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكم منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾ سورة آل عمران، ١٠٣ - ١٠٤. ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا، إن عليك إلا البلاغ﴾ سورة الشورى، ٤٨. ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ سورة سبأ ٢٨.

كما نص القرآن الكريم في آيات كثيرة على الأخلاق التي يجب أن يتميز بها رجل الإعلام بوجه عام، والتي يتميز بها الرسول (ص) بوجه خاص، ومن هذه الأخلاق: الصبر، وحسن المعاملة والجدل بالتي هي أحسن، والإعراض عن الجاهلين والمنافقين والبعد عن الغلظة، قال تعالى: ﴿فبما رحمة نلت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ سورة آل عمران، ١٥٩.

فإن تمتع المرسل في عملية الإعلام بهذه الأخلاق الحميدة، وكان إلى جانب ذلك متمتعا بمهارات اتصالية إعلامية بلغ لوسائل الإعلام مرادها في الاتصال، حيث تنتقل الرسالة الإعلامية من المصدر إلى الجماهير خلال المرسل ووسيلة الاتصال التي يهيمن عليها المسؤول كرئيس التحير مثلا، لكي يتلقاها بعض

الناس مباشرة، أو يتلقاها بعض القادة وحاملو المعلومات، لنقلها إلى أصدقائهم أو أتباعهم على النحو التالي:

فلا بد للمرسل أن يضع رسالته في شكل معين أو صيغة معينة من الرموز اللغوية ومن الطبيعي أن تحتاج هذه الكلمات إلى أجهزة نقل أو وسائل إعلام كالصحف والإذاعات والتلفزيونات والسينما لكي تنتشر بسرعة، ويتوقف ذلك بطبيعة الحال على مدى التناغم بين المرسل والمستقبل، فإذا كان المرسل ضعيفا في استخدام الرموز اللغوية والتعبير بها، أو ليست لديه المعلومات الكافية عن موضوعه، فإن ذلك يؤثر على الاتصال بالطريقة الفعالة، وإذا لم تحرر الرسالة بالطريقة الفعالة، فإنها تقف في سبيل نجاح الاتصال، وعنصر الرسالة في عملية الإعلام هو العنصر المحوري في دراستنا للتحرير الإعلامي بوجه عام، وفي دراستنا لعلاقة الإعلام باللغة بوجه خاص، وهو عنصر غير منفصل كما يبين مما تقدم عن بقية العناصر الأخرى، ولكنه وثيق الصلة بالمرسل والمستقبل ومعرفة الهدف وفعالية وسيلة الإعلام، وقدرة القارئ أو المستمع أو المشاهد على تلقي الرموز اللغوية، ومن أجل ذلك نجد أن نماذج علمية الآلام تستهدف المعاونة في تحليل الرسالة للوصول إلى فهم عملية الاتصال معنية بالإفادة من الحواس الخمس، في فهم وإدراك مضمون الرسالة.

وإذا كنا ندرك ارتباط الإعلام بالحياة، فإننا نجد أن التأكيد فيه مواز من ناحية علاقة مهارات الاتصال بالحياة، وقد وجد من الدراسات الحديثة، أنه يمكن معاونة المحرر الإعلامي على محاولة التأكيد على نواحي الاتصال الأكثر حاجة، فالمحرر الكفء لا يغفل دول اللغة في نظرية الاعلام، كما لا يهمل إثارة الاهتمام لأنه يدرك أن القابلية على جمع المعلومات والمواقف ونقلها أمر حيوي لجمهور الوسائل الإعلامية على اختلافها، وهذا الجمهور يحتاج إلى القراءة الدقيقة المتمثلة، ويحتاج إلى المشاركة في الكلام المذاع، وليس في مقدور وجل الإعلام أن يخترع المعجزات عند استخدام أسلوب الاتصال، إلا أنه عليه أن يفهم هذا الأسلوب فهما

صحيحا، وينبغي أن يكون كالمدرس من حيث مساعدته للجمهور على فهمه أيضا، كما ينبغي أن يؤكد على التعاون في الاتصال كما هي الحال في المناقشة كذلك، فمن الواضح أننا نتصل بعضنا البعض عن طريق الكلمات.

وإذا كانت 'الوسيلة هي الرسالة' كما يقول 'ماكلوهان' فإننا نقول بتحديد أكثر أن اللغة هي الوسيلة، وهذا يعني أن النتائج الفردية والاجتماعية لأية وسيلة من وسائل الإعلام تتوقف على تغير المقياس اللغوي الذي تحدثه كل تكنولوجيا جديدة، ومن أجل ذلك يذهب ماكلوهان إلى أن مضمون أي وسيلة هو دائما وسيلة أخرى، فمضمون الكتابة هو الكلام، وعلى نفس النحو فإن الكلمة المكتوبة هي المطبوع، والمطبوع هو مضمون التلغراف، والواقع أنه من مميزات وسائل الإعلام أم مضمونها يخفي طبيعتها، ولذلك فإن منهج دراسة الوسائل لا ينظر فقط إلى 'المضمون' بل إلى الوسيلة في ذاتها، وإلى القالب الثقافي الذي تعمل في داخله.

ومن أجل ذلك اشتد الإحساس بالحاجة إلى لغة فنية جديدة أو بلاغة جديدة يعد ظهور السينما الصامتة، كما يقول الدكتور يونس: 'إذا كان من المفروض أن يتحول المسموع إلى منظور، وأن يستغني المتذوق عن الكلام، بما يشاهده من الإشارات والحركات من الصور ومن الرموز، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد أحس القوامون على الصورة المتحركة الصامتة، بأن جماهير المشاهدين لا يقنعون بالمنظور على هذا النحو، وكان من الضروري أن تتوسل البلاغة الجديدة المنظورة بالكتابة، فسجل الحوار لكي يستكمل المتذوق متعته من هذه البلاغة الجديدة'.

ويقول الدكتور يونس: 'إن الإحساس بوطأة الصورة الصامتة واقترانها بالكلام المدون قد خف، عندما تم التزاوج بين الصورة والصوت، وظهرت السينما الناطقة، وتحول تسجيل الصورة من الأشكال والرموز والحركات والأمارات الدالة بذاتها على المشاعر والمواقف، إلى اتجاه شبه واقعي، لأن الفن الجديد يتوسل

بالصوت والصورة معا، ولم يعد المتذوق في حاجة إلى القراءة ببصره، ولم يعد كذلك إلى القراءة بينه وبين نفسه، بتفسير لتفاصيل الحركة، واستحدثت الإذاعة اللاسلكية آثارا حاسمة أيضا في عالم الفنون، وغيرت من مناهج البلاغة والتقويم، وأصبحت كالسينما تعتمد على أساليب خاصة في الكتابة إليها، مع فارق واضح بينها وبين الصورة المتحررة الناطقة، من ناحية الجماهير التي تفيد من البلاغة الجديدة، ذلك لأن السينما تشبه المسرح، من حيث أن الجمهور يحتشد في صعيد واحد، لتلقي الفن والتفاعل معه، أي أن العقلية الجماعية تتغلب إلى حد ما على العقلية الفردية، ويقتضي ذلك توقيتا محكما للعروض، كما يقتضي إطارا معينا وسياقا زمنيا، لا ينبغي تجاوزه إلا بالجد المعقول.

أما الإذاعة فالمستمعون إليها فرادى، ولو اجتمعوا في أماكن اختاروها ولم تفرض عليهم، ومعنى هذه الحقيقة، كما يذهب إلى ذلك الدكتور يونس، أن الفرد تغلب عليه عقليته ولا يذوب تماما في العقلية الجماعية لجمهور المشاهدين، ولذلك يتسم الحديث الإذاعي بأنه موجود إلى أفراد. أنه يختلف عن الخطبة، ويختلف عن الحوار في المسرحية أو الفيلم، مع الاعتراف بمقتضيات التحول من بلاغة لها قواعدها وأصولها إلى أخرى لها شخصيات أخرى.

والتلفزيون يعتمد على ما يسمى بالشاشة الصغيرة، وهو يجمع المسموع إلى المنظور، ويستغل الصورة والصوت، وأنه يفضل الإذاعة من هذه الناحية، ويشبه السينما من ناحية المنهج، ولكنه يختلف عنها في أن ما يعرض يقدم إلى الناس حيث هم فينتقل إليهم، ولا يكلفهم مشقة الانتقال إليه، وهو يوجه إلى الأفراد في إطارهم الاجتماعي والقومي، ولكنهم بحكم ارتكازه على المنظور في المقام الأول يقتضي من المتلقين له موقفا سلبيا، فهو ليس كالراديو ينقل الثقافة حتى للعاملين في المصانع والمزارع والدكاكين.. أنه يتطلب استغراقا كاملا أو شبه كامل، لتتم الإفادة من عروضه، والتلفزيون على خطره وكان - كما يذهب إلى ذلك الدكتور يونس أيضا - قد حول الناس من

الحركة إلى السكون، إلا أن الإذاعة والتلفزيون ينتميان إلى عائلة وسائل الإعلام السمعية والبصرية، بمعنى أنه في استطاعة الاثنين أن يرسلا أصواتا وصورا تحمل رسائل متنوعة الأشكال هادفة إلى الكثير من الأعراض.

وقد كان لاختراع الراديو الترانزيستور وانتشاره الواسع وبسعر زهيد نسبيا أثره الهام في جعل استقبال برامج الإذاعة من السهولة بمكان حتى في المناطق الفقيرة التي لا يوجد بها تيار كهربائي، وكما جاء في أحد تقارير اليونسكو كان للسعر أجهزة الراديو الترانستور أثره الفعال في انتشار الراديو، أما فيما يختص بالتلفزيون فإننا نجد أنه قد بدا يأخذ مكانه في بيوت العالم وأخذت أجهزة الإرسال التلفزيوني تنتشر في كل ركن من هذا العالم، ونجد أن البلاد الصناعية بها أكثر من شبكة تلفزيونية واحدة، كما نجد أن سكان المناطق الآهلة بالسكان في هذه البلاد المتقدمة يستطيعون أن يديروا مفاتيح أجهزتهم ليحصلوا على برامج خمس قنوات أو حتى عشر.

وأخذت النواحي الفنية في الإرسال التلفزيوني تتطور، وفي إطار الموجات الكهربائية الأرضية وباستخدام الإرسال العالي الذبذبات أخذ التلفزيون يزداد انتشارا وتجوب الأجواء الآن أقمار صناعية إذاعية منها الطائر المبكر "مولنيا وانتلسات" وهذه الأقمار تقوم بإرسال البرامج الإذاعية والتلفزيونية داخل القارات وعبرها إلى قارات أخرى.

وإذا كان اختراع الإذاعة قد جذب اهتمام المفكرين مثل برنادشو، فإن التطور المذهل في وسائل الإعلام يقتضينا أن نوصل البلاغة الجديدة، من خلال دراسة طبيعة الجماهير التي تتلقى الاعلام، والوحدات والأنماط التي تتألف منها، وأن ندرك أن الكتابة ليست إلا وسيلة لتحويل المسموع إلى مرئي، ثم إعادته بالاصطلاح أو الرمز إلى مرئي أيضا، ومن أجل ذلك نقول أن اللغة هي وسيلة الإعلام" أو المنهج الذي تنقل به الرسالة من المرسل إلى المستقبل، فاللغة اللسانية والإشارات والصور، والسينما كلها وسائل لنقل الرسالة.

كذلك فإن الحواس الإنسانية - التي تعتبر وسائل الاتصال والإعلام امتدادا لها تفرض - كما يقول "ماكلوهان" تبعية محددة على طاقتنا الذاتية، وهي التي تتحكم في إدراكنا وفي تجارب كل منا.

نظريات الإتصال الإعلامي اللغوي

يتضمن علم الإتصال الجماهيري (.. الدراسة العلمية لوسائل الإتصال الجماهيرية ، شاملة الرسائل التي تبثها ، الجماهير التي تهدف إليها ، وتأثيراتها على هذه الجماهير . وتقليدياً شمل الإطار الأكاديمي للاتصال الجماهيري ، دراسة كل من الصحافة ، الإتصالات السلكية واللاسلكية ، الإعلان ، العلاقات العامة ، وبعض الأقسام الفرعية للإتصال اللفظي ، وهذه المجالات عنيت بشكل شائع بالرسائل الموصلة بشكل مباشر عبر وسيلة – غالباً هي وسيلة إتصال جماهيرية – مثل التلفزيون ، الراديو ، الجرائد ، أو المجلات .

والإتصال الجماهيري كعلم هو حديث نسبياً في بنائه النظري بالمقارنة بعلوم إجتماعية وسلوكية مثل علم النفس ، علم الإجتماع ، علم السياسة ، والإقتصاد وحتى الآن نجد عديداً من الأساتذة والباحثين في المجال ما زالوا يتجادلون حول طبيعته ومفهومه وعلميته مع التأكيد المستمر على أنه علم .

ما مفهوم الاتصال Communication:

يعود أصل كلمة COMMUNICATION في اللغات الأوروبية– والتي اقتبست أو ترجمت إلى اللغات الأخرى وشاعت في العالم– إلى جذور الكلمة اللاتينية COMMUNIS التي تعني 'الشيء المشترك'، ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة COMMUNE التي كانت تعني في القرنين العاشر والحادي عشر 'الجماعة المدنية'

المعنى الاصطلاحي: تبليغ رسالة شفوية، أو خطية، أو معلومات أو أفكار أو آراء عن طريق الكلام المنطوق أو الكتابة أو الإشارات.

هذه العملية تتم عن طريق الوسائل التكنولوجية المعروفة عبر سلسلات تفاعلات متبادلة مترابطة: مرسل - مستقبل - رسالة - وسيلة اتصال. وهي عملية يتم فيها تبادل المفاهيم بين الأفراد وذلك باستخدام نظام الرموز المعروفة.

المعنى الجماهيري: فهو تزويد الجماهير بالأخبار والمعلومات والآراء بهدف التأثير فيها بأسلوب غير مباشر.

مع أن الاتصال قديم قدم المجتمع البشري، وهو قائم منذ أن وعى الإنسان حقيقة وجوده، فبدأ من الإشارات وانتهى باكتشاف اللغة وصولاً إلى ما نراه اليوم من وسائل الإعلام الحديثة، فصار يقال: إن لغة الإعلام هي التي تصوغ الحضارة.

وسائل الاتصال:

هي الطريقة التي يمكن بها إيصال فكرة أو رأي إلى عدد من المستقبلين، كالجرائد، الراديو، التلفزيون، السينما، وكل وسيلة تحمل نوعا خاصاً بها من الرسائل تختلف عن الأخرى، وقد تهدف إلى الترفيه أو التثقيف أو الإعلام.

والسؤال الذي يلح هو كيف تصبح اللغة وسيلة اتصال؟

عملية الاتصال لا تقوم على المرسل والمستقبل فقط، ولا تنجح إلا بالرسالة، فهي تمثل الوسيلة أو بالأصح هي اللغة، إذن اللغة هي وسيلة الاتصال القائمة عليها عملية الاتصال الجماهيري.

لكل كلمة رمز، فهي ليست مصطلحات رمزية مجردة، لكنها ضمن التركيب اللغوي تكون قائمة على نقل المعنى، فالكلمة ضمن السياق الكلامي يختلف مدلولها الرمزي في كل مرة، فيكون لها بعدان: بعد مادي، وبعد معنوي، فيهتم رجل الإعلام الجماهيري بالبعد المعنوي للكلمة؛ لأن همه الوحيد هو فهم الجمهور العام "فعندما نتصل بغيرنا نحاول أن نقيم مشاركة مع من نتصل به".

من هنا تظهر أهمية اللغة باعتبارها أهم وسيلة اتصال فهي الأساس القائم عليها جميع وسائل الاتصال الأخرى، فلا بد من إيجاد لغة، جديدة، ومبسطة ومنسجمة مع حاجة كل وسيلة إعلامية.

ثانياً: التأثر والتأثير المتبادلان بين اللغة ووسائل الإعلام الجماهيرية:

نرى بأن هذا العصر كان مشهودا بالتطورات الكبيرة في وسائل الإعلام [صحف، إذاعة، تلفاز، سينما] كما شهد هذا العصر تحولاً في اللغة، خاصة بلغة الإعلام، عملت هذه اللغة على إنجاح وسائل الإعلام حتى واكبت العصر، ودلت على قدرة هذه اللغة بوصفها أداة متميزة من أدوات الاتصال، وعلى تأثيرها في مشاعر الناس وفي سلوكهم ومعتقداتهم، ولقد تأثرت اللغة بوسائل الاتصال،حتى جعلت المهتمين باللغة يقولون: إن ما وصلنا إليه من أسلوب سهل مشرف في هذه اللغة يعود بفضل إلى الصحافة اليوم ولا يعود لأي أحد آخر.

سبب تطور اللغة:

امتزاج الحدث الصحافي بالازدواجية اللغوية. نشأت لغة جديدة تختلف عن لغة الأدب والعلم.

آراء البعض حول تأثر اللغة بوسائل الإعلام:

١ . اعتبارها حدثا لغويا ثالثا بعد الحدث القرآني وبعد حدث النثر الفني.
٢ . اعتبارها خطراً على اللغة، بحيث وصلت إلى شذوذ عن أصولها، هذا الرأي يناقضه صاحبه فيقول بأنه انتعاش للغة.

مدى تأثر اللغة بالصحافة:

بالحقيقة إن الصحافة طوعت اللغة، وجعلتها مرنة، تفي بمتطلبات العصر،

كما تستوعب التطورات العظيمة المصاحبة للنهضة فنلاحظ شيوع الألفاظ الجديدة، ومصطلحات حديثة، وتوسيع آفاق اللغة، وتطورات أساليب اللغة في العلوم، الفنون، الاجتماع، السياسة.

لكن بقدر ما أثرت الصحافة في اللغة إيجابا، كان لها تأثير سلبي، فبسبب ضعف الكوادر واتساع هذه الوسيلة وغياب العنصر المثقف المهني فيها، أدى إلى ضعف لغوي أدائي وإعلامي انعكس على الصحف نفسها، وسبب ضعفاً في أبوابها، فهي تعتبر منبرا إعلاميا جماهيريا وثقافيا وسياسيا وديمقراطيا، لكن كل من يكتب بها نسي ذلك فراح يكتب بأسلوب أدبي، ذاتي، بعيدة عن اللغة الإعلامية الجماهيرية الفصيحة المبسطة، فقدت الصحيفة هذا المنبر.

فالإغراق في استخدام العامية، وتهجين الفصحى مما جعلها ضعيفة في بلورة فصحى مشتركة. فيظن معد والبرامج أنه حينما يسهل اللغة الفصحى تصبح لهجة عامية دارجة كي يفهم الجمهور، لكنه يحاول عبثا فتظل على الجمهور صعبة.

أنواع الاتصال

مع أن التلفاز وسيلة إعلام مميزة، لكنها ذات تكلفة عالية بالنسبة للإذاعة، فالإذاعة أكثر قدرة ووفرة، وأقل تكلفة، وهي من أهم وسائل الإعلام الجماهيرية، لقدرتها على الإيصال السريع، وهي تسهم في تشكيل الرأي العام واحترامه، وتتحقق التقارب الذهني بين الجماهير والسلطة، وتغني عملية الإصغاء؛ لأنها تعتمد على الأذن، وتخلق التخيل المباشر. وتزداد أهمية الإذاعة إذا ما أدركنا أن الجماهير العربية، جماهير سمعية، وذلك بسبب نسبة الأمية العالية بين صفوفها، لكن ما تزال ظروف تحسين الاستماع وتحسين اللغة دون مستوى الطموح، الأمر الذي يستدعي تطوير الأجهزة تكنولوجياً، واستثمار

الطاقات المبدعة، وتشكيل أقسام للبحوث ولجان استشارية، من خارج المؤسسات الإعلامية.

السينما: شبيهة بالإذاعتين (الصوتية والمرئية)، لكن هنا تغلب عليه روح الجماعة فيتأثر بها، علماً بأن التلفاز تجتمع فيه الصورة والصوت، وهو أقرب إلى السينما، لكنه يعتمد على المنظور في المقام الأول.

أسباب ضعف توجهات وسائل الإعلام الجماهيرية:

كون تبادل البرامج الإذاعية والتلفزيونية، يكاد يكون جغرافيا مقتصراً على بلدان الخليج من جهة، وبلدان المغرب العربي من جهة أخرى، فما زال على العرب أن تبحث عن وسائل إعلامية جماهيرية بلغة عربية فصيحة مشتركة، لتصل إلى تكامل الحياة القومية وإثراء القيم الإنسانية.

ثالثاً: الفصحى المشتركة لغة الحضارة الإعلامية

الإعلام فن حضاري، ولغته لغة جديدة، وهي تعد نظاماً إعلامياً، فمشكلة اللغة، بحد ذاتها في فاعلية وسائل الإعلام الجماهيرية، فمثلا: البلدان التي تتعامل بأكثر من لغة واحدة، تواجه الجهات المسؤولة صعوبة في تعميم الإعلام الجماهيري، أما البلدان التي تتعامل بلغة قومية، فالمشكلة تكاد تنحصر إلى حد ما، وقد بشّر "ويلز" قبل عدة عقود بلغة جديدة، وبلاغة جديدة، وعبّر أن حاجة العصر تستلزم لغة إعلامية جديدة.

ذهب بعض الباحثين إلى أن الناس تبني حضارتها وفق عالم اللغة، فهؤلاء يخضعون إلى عالم اللغة التي هي وسيلة تعبير لهم، والواقع يرتكز لا شعوريا على العادات الغوية للجماعة ولا تحيط بالنطاق المادي، والحياة الاقتصادية فقط.

إن وسائل الإعلام الجماهيري بما فيها اللغة، أصبح لها تأثير عظيم على عقول الناس، وعلى سلوكهم، وتغيير مداركهم، ومواقفهم الخاصة، وتشكيل

آرائهم، فهي تجعلهم ينزعون إلى التجديد وإلى تحمل المسؤولية، والإسهام في عمليات التنمية القومية، على جميع الصعد.

إلى ماذا يهدف الإعلام الجماهيري ؟

- الوصول إلى جميع قطاعات المجتمع، والتواصل معها، والتأثير فيها وصولاً إلى تكاملها.
- توحيد مشاعرها، عبر مشاركة إيجابية قطرياً، قومياً، واللغة هي الوحيدة المكونة إلى هذا، وهي الحلقة الأساسية في سلسلة الحلقات في وسائل الاتصال.

ظهر الإعداد لفصحى مشتركة، فهي أقرب من غيرها إلى إحداث التكامل، لأنها مفهومة من قبل العامة؛ هذا على الصعيد القطري، وهي عبارة عن وسيلة تقارب بين مستويات اللغة: العلمية، الأدبية، والعملية.

أما على الصعيد القومي، فإن لغة الإعلام، الفصيحة، المشتركة، المبسطة، والمعبرة هي اللغة الوسط، لتعميم الإعلام وتأثيره، لكي يقوم بدوره في عملية التواصل، وفي إلغاء عنصر المكان، وتنمية الوعي القومي كماً ونوعاً.

فالتوسع في اللغة الفصيحة انتقل إلى استعمال اللهجات العامية بشكل مفرط، مرتبطة بالإقليمية، وإذا تفشت واستمرت فهذا على حساب الفصحى، مع أن التطور الإعلامي يؤثر على الوطن العربي، وعلى اللغة العربية، إيجابياً.

المشاركة الواسعة المنشودة من الإعلام الجماهيري لا تتحقق إلا بلغة مشتركة، الفصحى المشتركة، ولاسيما أنَّ العرب يبثون إلى الجماهير العربية من القمر الصناعي، فهذا يتطلب منهم الاهتمام باللغة الفصيحة لأنها الوسيلة الأولى للتواصل مع هذه الجماهير العربية المتنوعة اللهجات، لذا تمسي الفصيحة اللغة الإعلامية الأوسع، والمستخدمة، وهي لغة الحضارة، وهي سهلة، أليفة، معبرة، مفهومة، وهذا لا يؤثر في اللهجات الشعبية والعامية المحلية.

لا بد من طرح السؤال الآتي: هل وفر الإعلام أرضية للغة الفصحى؟

الإعلام من واجبه أن يسعى حثيثاً نحو تعميم اللغة، فتعميمها والالتزام بها، يعني الالتزام بالمجتمع القومي الأوسع، وبالعروبة، وهذا غير مستلهم إلا من خلال اللغة.

فكما قال "هردر": بأن قلب الشعب ينبض بلغته، وأن روح الشعب مكنونة في لغة الآباء والأجداد".

ننتهي من العرض الآنف إلى أنّ:

- ضعف لغة الإعلام الجماهيري في عملية التكامل القومي، بسبب شيوع اللهجات العامية.
- اختلال التوازن بين اللغة المعتمدة، وبين التقدم التكنولوجي الماثل، الحاصل في وسائل الاتصال.
- غياب الخطط المفصلة، والمنسجمة مع الأهداف.
- ضعف العلاقة بين الاختصاصين والمبدعين من جهة، وبين وسائل الإعلام من جهة أخرى.

أشهر نظريات الإتصال

١- نظريات التأثير المباشر:

- "هارولد لازويل"قال بنظرية الرصاصة السحرية أو الحقنة تحت الجلد.- تفترض أن الأشخاص ليسوا إلا مجتمع جماهيري من مجموعة من الأشخاص المنعزلين (تأثرت بفكر فرويد).
- وسائل الإعلام تمثل فيه مصادر قوية للتأثير والناس يقبلونها ويفهمونها بشكل متماثل، كل شخص يتلقى المعلومات بشكل فردي، ويستجيب بشكل فردي.

- لم تكن نظرية واقعية بسبب التبسيط الشديد، وافتراض أن للإعلام تأثيرات عنيفة ومفاجئة.
- أهميتها أنها كانت بداية بحوث تأثير الإعلام.

٢- نظريات التأثير الانتقائي :

أ- نظرية الاختلافات الفردية:

- تقول ببساطة أن الأشخاص المختلفين يستجيبون بشكل مختلف للرسائل الإعلامية وفقًا لاتجاهاتهم، وبنيتهم النفسية، وصفاتهم الموروثة أو المكتسبة.
- وسائل الإعلام تستقبل وتفسر بشكل إنتقائي .
- وذلك بسبب إختلاف الإدراك الذي يفكر به،كل شخص .
- والذي يرجع إلى إختلاف التنظيم الذي لدى كل شخص من المعتقدات ، والقيم ، والاتجاهات ... - ولأن الإدراك انتقائي فالتذكر والإستجابة انتقائيين.
- وبالتالي فتأثير وسائل الإعلام ليس متماثلا .

ب- نظرية الفئات الإجتماعية :

- الناس ينقسمون إلى فئات إجتماعية والسلوك الإتصالي يتشابه داخل كل فئة.
- موقع الفرد في البناء الإجتماعي يؤثر على إستقباله.
- الفئة قد تتحدد بناء على : السن، الجنس، الدخل، التعليم، الوظيفة.
- أنماط اللإستجابة تتشابه في داخل كل فئة .
- لذا فتأثير وسائل الإعلام ليس قوي، ولا متماثل ، ولكنه يختلف بتأثير الفئات الاجتماعية .

ج- نظرية العلاقات الإجتماعية:

- جمهور وسائل الإعلام ليسوا مجرد أفراد منعزلين ، أو أفراد مجتمعين في فئات اجتماعية، ولكنهم مرتبطون ببعضهم البعض في اتحادات، وعائلات، ونوادي.
- دراسات على إنتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٤٠ أكدت أن المناقشات السياسية كان لها أكبر الأثر على قرارات الناس أعلى من أثر التعرض للراديو والصحافة.
- الذين يزيد تعرضهم لوسائل الإعلام يمكن أن يؤثروا في الأقل تعرضًا لها.
- العلاقات يجب أن توضع في الإعتبار.
- بدأت تلك النظرية تبعد جدا عن فكرة المجتمع الجماهيري والنظريات الأولى.

٣- نظريات التأثير غير المباشر:

أ- نظرية التأثير المعتمد على تقديم النموذج :

تقول أن تعرض الفرد لنماذج السلوك التي تعرضها وسائل الإعلام تقدم للفرد مصدر من مصادر التعلم الإجتماعي ، مما يدفعه لتبني هذه النماذج في سلوكه اليومي . (الحلم الأمريكي من خلال السينما- فتيات الإعلانات) .

ب- نظرية المعنى :

يمكن لوسائل الإعلام أن تقدم معانٍ جديدة لكلمات اللغة، وتضيف عناصر جديدة للمعاني القديمة. وبما أن اللغة عامل حاسم في الإدراك والتفسير والقرارات فإن وسائل الإعلام يصبح لها دور حاسم في تشكيل السلوك بشكل غير مباشر. (الثورة- النكسة- الفتح العربي) .

العولمة الاعلامية وتأثيرها على لغة الاعلام[٤٠]

إن لغة الإعلام في عصر العولمة لا تستقر على حال، فهي في تطور مستمر لا يكون دائماً في خدمة اللغة، ومع ذلك فإننا لا نملك أن نعزل أنفسنا عن تيار العولمة، أو ننأى بلغتنا عن (الإعلام العولمي).ومهما كان حكمنا على العولمة، ومهما يكن رأينا فيها، فإنها تتيح فرصاً كثيرة لكل من يرغب في تطوير لغته، حيث تقدم الاقمار الآصطناعية والصحون اللاقطة والإنترنت والبريد الإلكتروني والحاسوب، كل ما من شأنه نشر اللغة العرب والحفاظ عليها بل والارتقاء بها.

ولكن في ظل هذه الثورةالعلمية والتقنية الواسعة في مجال وسائل الاتصال تظل الاخطار محدقة بلغة الضاد نتاج ما يقدم لهذا الجيل من ثقافات عربية.. ركيكة.. وسطحية بلهجات عامية محلّية أو عربية هجينة تأثرت بالأنكليزية أو الفرنسية عبر الوسائط الإعلامية مثل التليفزيون والفيديو والإنترنت. الامر الذي من شأنه أن يدخل الفاظاً خاطئة أو جديدة على اللغة ويقدمها للناشئة كلغة صحيحة ومعتمدة لا غبار عليها وما ذلك إلا نتيجة ثقة المجتمعات وانبهارها بكل ما يقدم في وسائل الاعلام.

اللغة كائن حي يخضع لقانون النمو

إنّ التطوّر أصلٌ أصيلٌ في حياة اللغة بما هي كائن اجتماعي، وأساس التطور هو الوجود البسيط أولاً، ثم النماء المترقي ثانياً، وخلال هذا الانتقال يتكون الكائن مترقياً، ويتغير تغيرات مندرجة[٤١].

٤٠- مقالة للدكتور شكري الفلاحي

٤١- أمين الخولي / مشكلات حياتنا اللغوية / ص : ٤٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، القاهرة.

إننا لا نفهم التطور بمعنى القطيعة مع التراث، والاقتلاع من الجذور، وتجاوز الأصول والثوابت. ولذلك فإنَّ الرأي الذي نعتمده في هذه القضية، هو تطور اللغة في إطار خصائصها وضوابطها، وبمنهجية يضعها اللغويون.

للتطور اللغوي مستويات..

المستوى الأول: تطوير اللغة من الداخل، من خلال الاشتقاق والنحت والتجوز والتوليد والتعريب، وهذا الضرب من التطوّر بطيء بطبيعته.

أما المستوى الثاني: فهو تطوير اللغة من الخارج، ونقصد به التأثيرات الضاغطة التي تفرض التصرّف في اللغة قلباً وتحويراً، وحذفاً وإضافة، وإفساداً وتشويهاً وهذا الضرب من التطور قَسْريٌّ وقهريٌّ، لأنه مفروض بقوة الواقع، أو تحت تأثير غزو فكري يستصحب غزواً لغوياً.

ولم تعرف اللغة العربية عبر تاريخها الطويل ما تعرفه اليوم من سرعة في النموّ، واندفاع في التطوّر لأسباب متعددة، لعلَّ أقواها تأثيراً، النفوذ الواسع الذي تمتلكه وتمارسه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

كما أن العلاقة بين اللغة والإعلام لا تسير دائماً في خطوط متوازية، فالطرفان لا يتبادلان التأثير، نظراً إلى انعدام التكافؤ بينهما فقلما تفرض اللغة نفسها على الإعلام، وإنما الإعلام هو الذي يهيمن على اللغة، ويقتحم حرمها، وينال من مكوّناتها ومقوماتها، فتصبح أمام عنفوانه وطغيانه، طيّعة لينة، تسير في ركابه، وتخضع لإرادته، وتخدم أهدافه، ولا تملك إزاءه سلطة ولا نفوذاً.

ونتيجة لأسباب وعوامل كثيرة، اقتصادية وسياسية وثقافية، انتهى الأمر إلى ضعف اللغة العربية وهيمنة اللهجات العامية المحلية عليها، وقد ترتّب على هذا الوضع الذي وصلت إليه اللغة العربية، أن دخلت عصر الإعلام

الواسع الانتشار، وهي تعاني من ضعف المناعة، مما أدّى إلى هجوم مكتسح وغزو جارف لما يطلق عليه (لغة الإعلام)، على اللغة الفصحى، فوقع تداخل بين اللغتين الفصيحة والعامية، تولّدت عنه لغة ثالثة هجينة ما لبثت أن انتشرت على نطاق واسع والتي صارت لغة الإعلام المعتمدة.

وقد تميزت هذه اللغة بأنها واسعة الانتشار انتقل بها الحرف العربي إلى آفاق بعيدة، ولكن الخطورة هنا، تكمن في أنها تحل محل الفصحى، وتنتشر بما هي عليه من ضعف وفساد باعتبارها اللغة العربية التي ترقى فوق الشك والريبة. وبذلك تكتسب هذه اللغة الجديدة (مشروعية الاعتماد)، ويخلو لها المجال، فتصير لغة الحياة التي لا تزاحمها لغة أخرى من جنسها أو من غير جنسها وهنا تكمن الخطورة.

ولكن هذه الخطورة لا تمنع من معالجة الخلل وتطهير البيئة اللغوية من التلوث، وإفساح المجال أمام تنمية لغوية يُعاد فيها الاعتبار إلى الفصحى، وتستقيم فيها حال اللغة، بحيث تقوم العلاقة بينها وبين الإعلام على أساس سليم، فيتبادلان التأثير في اعتدال وفي حدود معقولة، فلا يطغى طرف على آخر،بحيث تبقى اللغة محتفظة بشخصيتها، ويظل الإعلام يؤدي وظيفته في التنوير والتثقيف والترفيه النظيف، فيتكامل الطرفان ويتسجمان، فتصبح اللغة في خدمة الإعلام، ويصبح الإعلام داعماً لمركز اللغة وما تدريس مادة باسم اللغة الاعلامية لطلاب كلية الاعلام في جامعة صنعاء إلا خطوة عملية مهمة في طريق خلق هذا التوازن في ظل عشوائية العولمة.

و في هذا الصدد يطمئننا الدكتورعبد الهادي التازي[٤٢] بأن اللغة العربية كانت لتبقى، ولن تستطيع حضارة من الحضارات أن تُبعدها عن الساحة ما دمنا نعمل نحن على تطويرها وازدهارها وحسن استعمالها. وما دمنا جادّين

٤٢- صراع اللُغات في وسائل الإعلام / مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة / ع ٩٣

في ملاحقة الجديد من القول لإغنائها بـذلك الجديـد، وكلّنـا يعـرف أنهـا أي اللغة العربية قادرة على استيعاب كل المميـزات وكـل الخـصوصيات وقـادرة كذلك على أن تسهم هي بدورها في مساعدة اللغـات الحـضارية الأخـرى... الأمر يتطلب فقط أن نقوم بالخطوات الأولى وأن نؤمن بأنَّ وجود غيْرنا معنـا لا يمكن أن ينال من عزيمتنا وتصميمنا.

اللغة الإعلامية الحديثة والمفردات الجافة

قد يرى البعض أن تمسُّك النخب الثقافية والأكاديمية والإعلامية بأصول اللغة العربية التراثية إلى حد كبير ومبالغ فيه، فرض على وسائل الإعلام العربية الرسمية اعتماد لغة إعلامية خطابية فضفاضة، لكن الحقيقة أن انكماش تلك اللغة (أي الإعلامية) ضمن قوالب تحريرية صارمة لا مجال للخروج عنها فرضتها النخب السياسية العربية على وسائل الإعلام، قد أصاب بنية اللغة الإعلامية بخلل وظيفي كبير وأضحت تلك القوالب أشبه بمكابح أوقفت عجلة هذه اللغة وحالت دون تفاعلها ومسايرتها للتطور المهني المتسارع الذي تعيشه مهنة الإعلام، وأجهضت إمكانية التأقلم مع التغييرات المادية والحسية التي يعيشها المتلقي.

وبالنظر إلى اللغة الإعلامية للإعلام الرسمي لجدها عموما باستثناءات قليلة قد غرقت في أنماط تعبيرية مسبقة الصنع وضعت في قوارير وغُلفت بشعار (يمنع الاستبدال والتغيير)، وتنحو تلك الأنماط نحو لغة ضيقة مملة ومنفرة بدل أن تسعى إلى لغة مشرَعة الأبواب والنوافذ تطل على الحدث والظاهرة والقضية بكلمات مؤثرة ذكية وعاقلة تحقق الغاية والهدف المرجو منها، والسؤال ماهي مشكلة اللغة في الإعلام الرسمي؟ إن الإجابة على هذا السؤال تقتضي توضيح جملة نقاط أساسية، الأولى هي أن هذه اللغة التي يجب أن تكون موضوعية تحاكي الواقع بمجمل أضلعه وزواياه تتحول في معظم الإعلام الرسمي إلى لغة تفسيرية تبريرية لما تصنعه السلطة بحيث تحتضن مفرداتها توجيها معبأ، يمنع مسبقاً أي نقاش أو تباحث لأي قرار أو فعل تقوم به السلطة، متجاهلة المنطق ومكتفية

بالتعاطي مع انفعالات فطرية كامنة في أعماق المتلقي ونرى هذا السلوك الإعلامي واضحاً في العديد من الدول العربية مثل مصر وسوريا .

النقطة الثانية تنطلق من مبدأ (الأقوى) السابق الذكر الذي يفرض على الإعلام الرسمي أن يأخذ مصالح السلطة بعين الاهتمام الواسعة فيجنب نفسه المساءلة والمحاسبة دون الاحتكام إلى رغبات الجمهور المتلقي وضرورة تزويده بالحقائق بلا مبالغة أو تهويل وبالتالي تصبح صدقية تلك اللغة قابلة للخدش والتلاعب والمزايدة، والدليل على ذلك أن تصبح الصفحة الأولى في الصحف، والستون دقيقة الأولى من ساعة الأخبار الرئيسية في التلفزيون والإذاعة مكرسة لتغطية نشاطات المسؤولين حتى لو كانت تلك النشاطات تأتي في آخر أجندة الجمهور، يضاف إلى ذلك أن لغة تلك الأخبار بمفرداتها الصاروخية تقدم هؤلاء المسؤولين كأبطال في الشجاعة والإنقاذية والديناميكية وسرعة الحل.. وغير ذلك من الصفات الأسطورية الأخرى.

النقطة الثالثة والأخيرة هي أن لغة الإعلام الرسمي (إعلام السلطة) لا تستطيع التحرك إلا في نطاق ضيق وهوامش محدودة من المفردات الإعلامية الجديدة لأنها بالأصل محكومة بقائمة طويلة من الشعارات والمصطلحات التي تُرسخ تأخرها عن عربة الخطاب الإعلامي العصري المتسم بالحوارية، والكلمة الرشيقة الخفيفة الوطأة على نفس المتلقي والقادرة على التحليق في وفضاءات ومفاهيم حديثة دون أن تسقط، وقد يردّ بعض المتخوفون بأن خروج اللغة الإعلامية عن مفرداتها الأصيلة الموروثة منذ عقود مضت وانفتاحها على أساليب تحريرية ملائمة للغة العصر سينسف تلك اللغة من جذورها ويفقدها خصوصيتها والتزامها بقضايا الوطن، وهنا نوضح أن اعتماد صيغ لغوية متحررة ومعبرة ومقنعة مستندة إلى بلاغة اللغة العربية وغناها الفكري والإنساني لا يلغي دورها المجتمعي الذي لا تؤديه بالشكل المطلوب أصلاً، ومن غير المعقول أن تبقى اللغة الإعلامية للإعلام الرسمي

تقوم على مفردات عمرها يناهز أربعة عقود، ولا يفوتنا التنويه إلى أن الساحة الإعلامية العربية اليوم حبلى بأمثلة حية عن إعلام خاص مسؤول وملتزم يخوض معركته الإعلامية بأساليب تعبيرية غاية في الإقناع والتأثير، أساليب خالية من المفردات الطنانة التي لا طائل منها.

العلاقة بين الرسالة الإعلامية واللغة

إذا كانت اللغة من الناحية الشعورية والوجدانية تمثل روح الأمة، ومن الناحية الثقافية تمثل الوعاء والوسيلة الناقلة للأفكار والتقاليد والخبرات عبر الأجيال المتعاقبة على تاريخ الأمة، وكانت من الناحية السياسية هي معالم الحدود الحقيقية للرقعة الجغرافية الوطنية والقومية، ومن الناحية السيادية هي أهم أسس الهوية ومكونات الشخصية والوحدة الوطنية، لأية مجموعة بشرية، تعيش في انسجام على وجه الكرة الأرضية.. إذا كانت اللغة كذلك فلأنها تعتبر بدون منازع أفضل وسيلة للتخاطب بين الأفراد، والتعبير عن أفكارهم.

ويتيح كلاً من اللغة والكلام مجالا فسيحا للاستعمالات اللغوية غير البريئة من الطابع الشخصي مهما حاول مستخدم اللغة النأي عنه، ومهما تطلَّب الموضوع المعَالجَ من موضوعية صارمة، مع الإقرار بتفوق الموضوعات ذوات الطابع الإنساني على الأخريات المندرجة في الإطار العلمي الدقيق. تلك الثنائية القائمة على اعتبار اللغة معايير نظرية، وخيارات أسلوبية، يراعيها المتكلم بوصفه مختارا واعيا لبعض تلك الأساليب دون غيرها، مع الالتزام الدائم بمعايير الصحة والسلامة اللغوية في مستوياتها جميعا.

ولا جدال في أن الحقل المعرفي الذي يتناوله المتكلم له متطلباته الأسلوبية كذلك، ولكنها ليست بحال من الأحوال آليةً، أو ملغيةً للسمات الشخصية لمنشيء الرسالة اللغوية، أو لمتلقيها أيضا.

وإذا قارنا هذا الكلام إلى لغة الإعلام فإننا لا نلفيها بمعزل عما سبق؛ فهي حصيلة العلاقة بين اللغة والكلام من جهة، والرسالة الإعلامية والمتلقي لها من جهة أخرى؛ وتتولد سماتها من تلك التفاعلية والتبادلية بين تلك الأطراف؛ بما تشتمل عليه من ثبوتية، أو تغيُّر.

ولسنا بحاجة إلى إثبات قيمة العلاقة بين الرسالة الإعلامية؛ بأهدافها التي لعل أهمها التأثير، المفتقر _من حيث الشكل_ إلى الوضوح والإثارة، واللغة بوصفها المعياري النظري. كما لسنا مضطرين إلى الإسهاب في بيان الخيارات الأسلوبية، والمناجم اللفظية المتجددة التي تنطوي عليها اللغة العربية، بما يرفد الإعلام باحتياجاته الضرورية.

ويبقى بعد ذلك دور الإعلامي المشتبك مع اللغة، أن لا يحرم الرسالة الإعلامية من تلك الخيارات؛ فتتسع الهوة بين كلامه الفعلي بأساليبه المحدودة، واللغة النظرية ذات الثراء والتنوع. وليست تلك الإفادة الدائمة من كماليات الرسالة الإعلامية، بل إنها منها في الصميم. ذلك أن اللغة الإعلامية لا تستهدف النقل الساذج للمضامين بقدر ما تبغيا النقل الفعال الجاذب، وهنا يكتسب التجديد اللغوي والأسلوبي صفة الضروري اللازم؛ حتى لا يتورط الإعلامي في فخ الابتذال والاستهلاك والمحاكاة دون النهل من المصادر الأولى للغة والأدب؛ الأمر الذي يدخل الطرافة على مادة الرسالة الإعلامية، والدهشة إلى المتلقي؛ بما تمثله من خرق للمألوف، وانزياح عن المعتاد من الاستعمالات.

ولا أعني بذلك الجنوح باللغة والأسلوب نحو الإغراب المخل ما يهمل شواغل الإعلام من اتساع دائرة التأثير والانتشار. وهذا إن وقع فإنه دليل إضافي على القصور، وداع جديد إلى تقريب المسافة بين المشتغل بالإعلام ولغته وبلاغتها وأدبها؛ ما ينمي لديه الذائقة اللغوية الفنية التي تمكنه من تمييز الأنماط اللغوية غير المبتذلة والعصرية السائغة في آن معا.

وبمناسبة الحديث عن المفردة من حيث خصائصها في الصيانة أو الابتذال، وفي الحقيقة أو المجاز، فإن الكلمات التي ترتفع في فترة ما عن الابتذال، ليست بالضرورة بقادرة على الاحتفاظ بتلك الصفة؛ ولذلك تجد في عبارات اللغويين القدماء قولهم، عن لفظة معينة، أنها مما ابتذلتها العامة.كما تجد ابن جني، وهو القائل بكثرة المجاز في اللغة، يذكر كثيرا من المفردات والاستعمالات التي لا ننتبه إلى

مجازيتها، تجده يلفت الانتباه إلى أنها كانت تستعمل مجازيا، ولكن بمرور الوقت، وكثرة الاستعمال لحقت بالحقيقة... وهذا لا يكشف سرا عن طبيعة اللغة بعامة والمفردات بخاصة في رحلتها وتطورها، وهو ما يجب أن يواكبه تطور مماثل في الخطابات التي تنشغل بالجدة والحيوية، وليس الإعلاميُّ أبعدَها عن ذلك الهاجس.

ولا يخفى أن هذا الاكتساب متوقف بعد المعايشة والتذوق على الشخصية الإنسانية وقدرتها على الاستخدام الناجح.

وهنا قد نواجه بسؤال عن مكان هذا الطرح من موضوعية الإعلام الذي لا يسمح بهامش تتيحه الإبداعات الأدبية، يتمثل في الصورة الأدبية، والاتكاء على المجاز والرمز وغير ذلك، مما تضيق أمامه اللغة الإعلامية المعنية بالمقام الأول بالدقة والتحديد، بعيدا عن العبارات المفتوحة والدلالات المحتملة.

وهذا صحيح في جانب منه، يصدق على المضامين المحددة من مثل الجوانب القانونية والاقتصادية، وهذه لا تحتمل المجاز بالطبع، ولكنها لا تعادي التجديد في الصياغة كذلك. وفوق ذلك فإن المساحة المعرفية والاجتماعية الواسعة التي يغطيها الإعلام تتجاوز تلك المجالات الأقرب إلى الصفة العلمية، لينتقل إلى مشاهد من التحولات المجتمعية، والتقلبات المزاجية الاجتماعية، والملامح الحيوية العامة ما تستدعي اللغة غير القاطعة، وتتعانق واللغة الجمالية؛ بما تمثله من مناشط إنسانية الطابع.

بالرغم مما يقال عن اللغة الإعلامية، أنها تميل إلى (النمذجة والتبسيط) فإننا لا نستطيع أن نتخيل عملا إنسانيا يتصف بالجمود والآلية والنمطية التي لا تراعي طبيعة الإنسان المتطلعة دوما إلى التجديد مهما اتسع نطاقه، أو لم يتسع. إن الخطاب العادي النمطي ربما مر على المتلقي دون أن يثير فيه التفكير، وإن الصياغة اللغوية الآلية لا تعمل على إثارة مخيلة المتلقي، ولا تسهم في تكوين تصوراته عن المضمون المنقول.

ومما يؤيد صعوبة خضوع لغة الإعلام إلى الموضوعية الصارمة، كون الرسالة الإعلامية بالضرورة تحمل قدرا من الرؤية الذاتية لمنشئها، وهو بوعي، أو بلا وعي، ينحاز إلى خطاب لغوي يتسق وتلك الرؤية المحملة بنوع من المضامين. وبالتالي يحمل خطابه تأثيرات معينة على المتلقي.

ولذلك أكد (بيريلمان) الباحث البلجيكي ذو الأصل البولندي على ربط شكل القول بمضمونه، أي ربط مظهره بمادته، وعدم الفصل بينهما.. إذ إنّ هناك أشكالاً للقول لها تأثير جمالي، من مثل (الاتساق)، أو الانسجام، و(الإيقاع)، أو الجرس وغير ذلك من الخواص الشكلية.. فهذه الأشكال تمارس تأثيراً على (الجمهور) بما تثيره فيه من (عواطف) الإعجاب، أو البهجة، أو الحزن، أو السرور، أو مما يلفت انتباهه إليه، أو تثير فكره فيه.

وليس أدل على بعد اللغة الإعلامية عن الحشم العلمي تلك التناقضات في إطلاق أوصاف "الإرهاب" أو "المقاومة" و"الاستشهادية" أو "الانتحارية" و"التطرف" أو "الاعتدال" وغيرها الكثير في حقول الاقتصاد والاجتماع والدين. وهي محكومة بتوجهات تلك الوسيلة الإعلامية وفكرها. وليس أدل على انحياز اللغة المستخدمة إلى أهداف الوسيلة الإعلامية وتوجهاتها كذلك من استخدام بعض الأساليب التي تشي بعناية خاصة بمعنى من المعاني، ومن ذلك أسلوب التكرار الذي يؤدي إلى زيادة- الحضور-، أي جعل الموضوع حاضراً في الذهن؛ والصورة البلاغية التي تحمل المقاصد إلى الناس. وقد قامت في الآونة الأخيرة بحوث علمية لغوية تتعلق بالتراكيب النحوية وصلتها بالمجتمع، وحركيته.

وبناء على ما سبق فإن اللغة العربية بوصفها الأداة اللصيقة بالإعلام العربي، وبما تمنحه له من سمات التجدد وخصائص الجاذبية، فضلا عن الدقة والتحديد، وبما تقوم به بين عناصر الأمة وهويتها الثقافية، جديرة بمزيد من التفعيل؛ ما ينعكس إيجابا على الإعلام وعليها في وقت معا[٤٣].

٤٣- مقالة للدكتور أسامة عثمان

هل قضت الوسائل الإعلامية على اللغة العربية وأماتتها

واللغة من أبرز خصائص الهوية التي يحتاج الإنسان وتحتاج أي أمة للمحافظة عليها. انظر كيف حافظ الإسرائيليون على لغتهم العبرية مع أنهم كانوا مشتتين في الأرض ومضطهدين في أغلب الأحوال ولم يكن لهم كيان يمثلهم أو أرض تجمعهم ومع هذا كله حافظوا على لغتهم واعتزوا بها واعتنوا أن يعلموها أولادهم برغم نشأتهم في بلاد لا يتكلمون بها.

ولقد ضج كثير من المخلصين في بلادنا من إهمال اللغة العربية وانحطاط مستوى تعلمها والنطق بها والتعامل بها حتى صار كثير من الناس يحرصون على تعلم أولادهم اللغات الأجنبية ولا يلقوا بالا لأهمية تعلمهم لغتهم الأصلية في تعبير فاضح عن ضعف هويتهم وشعورهم بالنقص. وقد ساهمت عوامل كثيرة في انتشار اللهجات العامية وانحسار اللغة العربية الفصحى، من أهمها ضعف التعليم وعدم وجود الإرادة العامة لدى الحكومات العربية للمحافظة على العربية وكأنها لا ترى أهمية لذلك.

ثم حدث في السنوات الأخيرة انتشار واسع لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة بشكل غير مسبوق، وأصبحت هذه الوسائل تؤثر في مستوى اللغة العربية أكثر من المدارس وأسرع من مجامع اللغة العربية.

وبداية لابد أن نتفق على أن الأمر لم يعد فصحى وعامية فقط، بل صارت اللغة الفصحى درجات مختلفة يمكن التمييز بينها. فهناك الفصحى التي يتكلم بها علماء الدين وخطباء المساجد وبعض الدعاة وتستخدم في الأفلام والمسلسلات التاريخية والدينية وهذه أقرب ما تكون للفصحى القديمة بمفرداتها وأناقتها وتراكيبها اللغوية وأصواتها ونبراتها وتنغيمها.

تأتي بعد ذلك فصحى أخرى تنتشر في وسائل الإعلام والفضائيات، وتُقرأ بها نشرات الأخبار وتُستخدم في الحوارات الثقافية والسياسية والبرامج الوثائقية والمقالات والتحقيقات الصحفية والبيانات والتصريحات الرسمية، وهي لغة تشبه الفصحى القديمة وتحاول أن تتشبث بقواعد النحو والصرف ولكنها تتوسع عنها في معجم مفرداتها، إذ تحاول أن تعَرب المصطلحات والألفاظ التي ترد علينا يوميا بسبب تقارب العالم وشدة اتصاله.

ثم تأتي بعدها درجة ثالثة أقرب للعامية والسوقية، علاقتها بالفصحى القديمة ضعيفة واستعدادها لابتذال اللغة قريب، وهذه تستخدم في البرامج الخفيفة والرياضية والأغاني والبرامج التفاعلية مع جمهور المشاهدين والمستمعين.

يرى البعض أن وسائل الإعلام قضت على اللغة العربية وأماتتها وأتت بمسخ جديد بين العربية والعامية، وهذا القول فيه تبسيط مخل وغفلة عن الواقع، إذ أن إهمال اللغة العربية قد بدأ قبل أن تدخل وسائل الإعلام بهذا الشكل المؤثر بسنوات طويلة. بل يرى كثير من المتخصصين أن وسائل الإعلام المختلفة كان لها دور إيجابي أيضا في تطور اللغة العربية وإحيائها. والأهم من ذلك أنها من الممكن أن تكون وسيلة متاحة لإصلاح ما أفسدناه عبر عقود طويلة، إذا انتبهنا لأهمية هذه الوسائل وأحسنا الاستفادة من انتشارها المتسارع ومن انجذاب ملايين الناس لها ليل نهار.

إن حرصنا على إعادة إحياء اللغة العربية والمحافظة عليها يمكن أن يتفق ويتقاطع مع مصالح أخرى لوسائل الإعلام. خذ مثلا أفلام الكرتون للأطفال التي يحرص أكثر منتجيها على أن تكون بالفصحى لغرض اقتصادي وتسويقي بحت، وهو أن تروج في كل البلاد العربية. انظر كيف أثرت هذه البرامج على الصغار في قبولهم لمفردات العربية وأصواتها وتراكيبها، وكيف يمكن أن تنتقل نفس التجربة لمجالات أخرى إذا توافرت لها أسباب مماثلة وتعاملنا معها بواقعية ووعي.

فاللغة العربية تعيش مأزقاً أوضح مايكون في وسائل الإعلام على اعتبار أنها تمثل الواجهة التي تعكس مختلف التفاعلات الثقافية والقيمية في أي مجتمع ، ولأنها

كذلك فإنها تؤدي أخطر الأدوار في الارتقاء باللغة العربية أو الحط من شأنها، ذلك أن التأثير الهائل الذي أخذت تلك الوسائل تمارسه في حياة الناس أصبح يضعها في مقدمة العوامل المؤسِّسة والمشكِّلة للإدراك العام.

ومن مفارقات زماننا أن اللغة العربية كانت تعامل باحترام كبير حين كانت الأمية سائدة في مجتمعاتنا، حيث شملت ما متوسطه ٨٠ ٪ من السكان، وحين كانت أوضاعنا الثقافية ووسائل الطباعة والنشر والاتصال أكثر تواضعاً بكثير مما هي عليه الآن، ولكن حين تراجعت نسبة الأمية، وعمت المدارس والجامعات، وتقدمت وسائل الطباعة والنشر، لقيت اللغة العربية ذلك المصير البائس الذي صرنا بصدده.

ومشكلة اللغة العربية في وسائل الإعلام لها ثلاثة مظاهر، هي: شيوع الأخطاء النحوية في العربية الفصحى المستخدمة، والتي هي ركيكة في الأساس، وشيوع الكتابة بالعامية في المقالات والإعلانات، وفي تقديم البرامج التلفزيونية والإذاعية، وكثرة استخدام المفردات الأعجمية في ثنايا الخطاب الموجه إلى المتلقي العربي، وفي بعض الأحيان تنشر الصحف العربية إعلانات كاملة باللغات الأجنبية، بل إن هناك مجلات عربية وبرامج إذاعية وتلفزيونية تحمل أسماء وعناوين أعجمية مكتوبة بالأحرف العربية.

إن العلاقة بين اللغة والإعلام لا تسير دائماً في خطوط متوازية؛ فالطرفان لا يتبادلان التأثير نظراً إلى انعدام التكافؤ بينهما لأنّ الإعلام هو الطرف الأقوى، ولذلك يكون تأثيره في اللغة بالغاً الدرجة التي تضعف الخصائص المميزة للغة، وتُلحق بها أضراراً تصل أحياناً إلى تشوّهات تفسد جمالها.

ولما كانت قوة اللغة تستمدها من قوة أهلها لأن اللغة تقوى وتزدهر وتنتشر بقدر ما تتقوّى الأمة التي تنتسب إليها وترتقي في مدارج التقدم الثقافي والأدبي والعلمي والازدهار الاجتماعي والسياسي والحضاري، فإن الوضع الذي تعيشه الأمة العربية الإسلامية في هذه المرحلة من التاريخ، لا يوفر للغة العربية حظوظاً أكبر للبروز وامتلاك شروط القوة، ما يترتب عليه ضعف اللغة وعدم قدرتها على

فرض الوجود والتحكم في توجّهات الإعلام، والخروج من دائرة سيطرة نفوذه، والفكاك من هيمنة وسائله بحيث تصير اللغة تابعة للإعلام متجاوزةً بذلك الفواصل بين الإصلاح والإفساد.. وهنا أشير إلى بعض الاقتراحات التي يمكن أن تساهم إلى جانب غيرها من الرؤى في إعادة المياه إلى مجاريها وجعل اللغة العربية رافداً من روافد النهضة العربية المنشودة:

- استغلال الرسالة الإعلامية للفضائيات العربية بما يخدم اللغة العربية ويساهم في الارتقاء بها من خلال ضبط النشاط التلفزيوني وإخضاعه للسياسة التربوية الشاملة.
- إنتاج المصطلحات العربية وترويجها إعلاميا والمتابعة المستمرة لأنشطة المجامع اللغوية ومراكز التعريب وتوظيف جديدها إعلاميا حتى تجد هذه المفاهيم طريقها للذيوع الجماهيري.
- تنمية القدرات اللغوية لدى المذيعين وتنقية الفضائيات من شوائب الخطأ اللغوي، ومما لاشك فيه أن التزام القائمين على الإعلام بقواعد اللغة من شأنه أن يضبط التطور اللغوي ويضعه في مجراه الصحيح فيصبح مثل النهر تدفقاً ونماءً.

الوسائل الإعلامية
وتأثيراتها السلبية على لغة المتلقي

إن الحديث عن دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية والتأثير عليها متشعب وواسع، لكن لابد قبيل الدخول إلى هذا الموضوع وتفصيلاته من التأكيد على أهمية اللغة بوجه عام، وعلاقة أية لغة بالاتصال الإنساني.

فقد تطورت صناعة الإعلام في العالم العربي تطورا متسارع الخطا، بتأثير التطور العالمي للإعلام، ودخلت وسائل الإعلام من صحيفة وإذاعة وتلفاز كل منزل، وخاطبت كل أفراد المجتمع بمختلف فئاتهم، وكل هؤلاء يجدون في وسائل الإعلام المختلفة ما يلائم تفكيرهم، ويلبّي متطلّباتهم، ومن ثمّ صار الإعلام منبع المعرفة، وأداة التوجيه والتأثير في الأمة، وتنبع أهمية الوسيلة الإعلامية من كونها تخاطب -كما أسلفت- كل شرائح المجتمع وفئاته، فالكل واقع تحت تأثيرها، كما أنها تغطي مساحات واسعة، فالصحيفة تقرأ في بلاد المغرب والمشرق معا، ومشاهد التلفاز في أقصى الشرق يستطيع أن يرى ما يحصل في أقصى الغرب.

ويعتمد الإعلام اللغة أساسا في مخاطبة الجمهور، وتضاف الصورة إلى اللغة في بعض الوسائل الإعلامية كالتلفاز، لكنّ اللغة هي أداة التواصل الأولى، لذا فإن اللغة تتأثر أيّما تأثر بالعملية الإعلامية، فقد تزداد رقيا وحضارة، وقد تنحدر إلى لغة السوقة والأمّيين، وهي في الحالين سوف تُنشر وتتكرس في أوساط المجتمع، وكلّما ارتقت لغة الإعلام، ارتقت معها لغة المجتمع، وبارتكاسها تنحطّ لغة الأمة، ومن هنا يظهر دور الإعلامي وتأثيره -الذي لا يستهان به- على اللغة التي يكتب بها مقالا، أو يقدّم بها برنامجا، وسوف أتناول في هذا المقال أبرز التأثيرات السلبية للإعلام على العربية الفصحى.

آ-الصحافة

كانت الصحافة من أول وسائل الإعلام ظهورا في العالم العربي، وهي تؤدّي دورا مهما في نشر الوعي الاجتماعي والعلمي والسياسي بين أفراد المجتمع، فضلا عن التواصل بين الشعوب والأمم المختلفة، ومن أهمّ خصائص الصحافة الاستمرارية المنتظمة، والسرعة في نقل الحدث، وأساسها -كما يقول الرافعي- ما يمكن كما يمكن، ودأبها السرعة والتصفح والإلمام، ولأجل ذلك اتجهت اللغة الصحفية إلى النزعة الوظائفية الإخبارية، أكثر مما اعتنت بالوجهة الجمالية الكامنة في اللغة. وربّما اعتبرت هذه النزعة من مميزات الصحافة، حيث استطاعت بسببها أن تنشئ لغة تجمع بين فصاحة العبارة وسهولتها، فقرّبت الفصحى من أذهان العامة، لكنّ تلك السهولة والبساطة قد جنحت في كثير من الأحيان إلى الخطأ والزلل، حتى تعدّدت عثرات اللغة الصحفية، وكثرت كبواتها، وجنت على الفصحى، ومن أهم هذه العثرات:

١- غزو الألفاظ العامية لأسطر الصحف والمجلات

وقلما تسلم صحيفة أو مجلة من ذلك، وهذا من أعظم ما جنته الصحافة على الفصحى، لأنه في شيوع الألفاظ والأساليب العامية في الصحافة تكريس لها في أوساط المجتمع من جهة، وقبر للفظ الفصيح من جهة أخرى. وحجّة المحررين في استخدام العامية أنّهم يطلبون الأسهل والأقرب لفهم القرّاء، لكن ليت الأمر اقتصر على هذه المصطلحات! بل إنه تعدّاه إلى كتابة مقالات كاملة باللهجة العامية، وتُذيّل هذه المقالات بأسماء كبار الكتاب والأدباء في العالم العربي!

ثم استحدثت بعض الصحف صفحات كاملة يومية لنشر القصائد العامية، وتمجيد شعراء العامية، حتى صار أدب العامية أقرب طريق للوصول إلى الشهرة وعلو الكعب! بعد ذلك تحوّلت هذه الصفحات إلى مجلاّت (للأدب) الشعبي، تهتمّ بالدراسات الشعبية، وتهلّل لكلّ قصيدة عامية، وتملأ هذه المجلات أرفف المكتبات، ويتهافت الناس على شرائها، بينما يقبع بعض أدباء الفصحى في ركن

مظلم، لا يُلتفت إليهم، فقلّةٌ هي الصحف التي تحوي صفحات مخصصة للأدب الفصيح، وفي مقابل عشرات المجلات الشعبية، لا نجد إلا بضع مجلات تهتم بأدب الفصحى وشعرائها، ناهيك عن جودة طباعة الأولى وسعة انتشارها.

لقد شنّ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى منذ نصف قرن حملة شعواء على الصحافة، ورأى أنّ أكثر ما تنشره الصحف من الشعر هو... صناعة احتطاب من الكلام، وقد بطل التعب إلا تعب التقشُّش والحمل، فلم تعد هناك صناعة نفيسة في وشي الكلام، ولا طبع موسيقي في نظم اللغة، ولا طريقة فكرية في سبك المعاني.

والشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى حمل على صحف دمشق التي تجمع على مدح الكتاب وتقريظه، وتهلّل للشعر الجديد وتصفق، وما ثمّة إلا منكر من القول قد صيّروه معروفا، أو ثقيل بارد استحبّوه، أو غثّ متهافت رأوه قويا بليغا، كأن الأدب صار لهوا وعبثا.

هذه نظرة الرافعي والطنطاوي لأدب الصحافة يوم أن كان لديهم صحف كالرسالة والمقتطف، وغيرهما من الصحف التي كانت تحمل همّ الفصحى، فما عسانا نقول اليوم يا ترى؟!!

كما تمتلئ صفحات الجرائد والمجلات بالإعلانات المصاغة بلهجة عامية، وكذلك النشرات الإرشادية، وأغلب مجلات الأطفال يصاغ محتواها بالعامية، مع أن المفترض في هذه المجلات أن تكون من وسائل ترسيخ اللغة العربية الفصحى لدى الناشئة، وأن تقرّبهم منها، وتشجّعهم على استعمالها!

٢- شيوع اللحن والأخطاء النحوية

والأساليب اللغوية الركيكة على صفحات الصحف والمجلات في العالم العربي، ويرجع ذلك إلى عدم إلمام المحررين بقواعد النحو العربية، ثم السرعة وعدم الاعتناء بالأساليب اللغوية السليمة، والبحث عن أقرب الطرق إلى أذهان

القراء وأفهامهم، وهم لـذلك يجعلـون الفـصاحة واللكنـة، والخطـأ والـصواب، والإغلاق والإبانة، والملحون والمعرب، كلّه سواء وكلّه بيانا، مادام القارئ يفهم المراد ويستوعب المقال.

وهم قد أخطؤوا حين ظنّـوا أن لغـة الإعـلام لهـا أن تتحـرر مـن القواعـد النحوية والصرفية، وأن ذريعة استنادها إلى الأحداث الفجائية، تجيز لها أن تتصف بالشذوذ النحوي والإملائي، بل على العكس من ذلـك.. إذ أنّ انتـشار الوسـيلة الإعلامية وتغطيتها مساحات شاسعة يحتّم عليها أن تبحث عن الرقيّ في خطابهـا الإعلامي، حتى تكون إحدى أدوات النهوض بالأمة.

٣- في اللغة الإعلامية عامة

واللغة الصحفية على وجه الخصوص، هنـاك مـا يمكـن تـسميته بالقوالـب الجاهزة التي تصبّ فيها المادة الصحفية، فلو تتبعنا طريقة كتابة خبر معين في عـدد من الصحف، فستجد أن صياغة الخبر تكاد تكون متماثلـة مـن حيـث المفـردات المستخدمة، والأساليب التعبيريـة، في أغلـب الـصحف. وكـون اللغـة الإعلاميـة تتطلب الوضوح والبعد عن الألفاظ المبهمة والأسـاليب الغامـضة، فـإن ذلـك لا يعني أن يلجأ المحرر دوما إلى ذات الألفاظ.. والصياغة المعتادة!

إنّ معجـم العربيـة غـني بالكلمـات والأسـاليب الـتي لا حـصر لهـا، لكـنّ الإصرار على إهمال جزء كبير من هذا المعجم، والاكتفاء بـبعض مـا فيـه، أفقـد العربية أهم خصائصها وميزاتها، فاللفظ الذي يصحّ أن يكون له معـانٍ متعـددة، اقتصر على معنى واحد مشتهر من تلك المعاني، وأهمل البـاقي، والمعنـى الـذي تؤديه عدة ألفاظ، استُعمل منها لفظ واحد، أو اثنان وأهمل ما عداه، وقـد أوجـد هذا الأمـر لـدينا فقـرا في المفـردات اللغويـة وأسـاليب التعـبير. ربمـا لا تتحمـل الصحافة وحدها مسؤولية ذلك.. حيث تشاركها أيضا وسائل الإعلام الأخـرى، والأدباء والمثقفون وأرباب الأقلام في الأمة.

٤- استخدام الألفاظ والمفردات الأجنبية مع وجود لفظ عربي مقابل لها

ونشر الإعلانات المصاغة بلغة انجليزية أو فرنسية، وربما احتل هذا الإعلان صفحة كاملة من الصحيفة أو المجلة، هذا فضلا عن الصحف الناطقة بلغة المستعمر السابق.. في الوطن العربي، ففي بلاد المغرب مثلا تُعدّ الصحف الصادرة بالفرنسية؛ الصحف الرئيسية بين أوساط الشعب، وهي تزيد من تشبّثه بأهداب الفرنسية، واستثقاله العربية.

إنّ الأصل في هذه الصحف والمجلات أنّها موجهة للقارئ العربي، فما المسوّغ الذي يبيح لها مخاطبة القارئ بغير لغته، إلا الشعور بدونية اللسان العربي، وتفوّق اللسان الأعجمي عليه، هذا إن أحسنّا الظن بها، لكنّ الحق أنها تسعى لنشر الأجنبية وتأصيلها في المجتمع على حساب العربية.

ب- الإذاعة والتلفاز

سبقت الإذاعة التلفاز في دخول العالم العربي، لكن التلفاز كان أكثر تأثيرا وجذبا للمشاهدين، لكون اللغة تخاطب في المتلقي حاسة واحدة، والتلفاز يضيف بعدا آخر للكلمة المنطوقة. ولا يمكننا إغفال الدور الذي قامت به هاتان الوسيلتان في نشر الفصحى، وذلك في بدايات إنشائهما، حيث إنهما اعتمدا الفصحى في مخاطبة المتلقي، فضلا عن العديد من البرامج النحوية والأدبية والتعليمية.

لكنّ هذا الحرص على العربية وعلومها ما لبث أن تضاءل شيئا فشيئا، حتى انقلب إلى حرص على العامية المحلية، ونبذٍ -بل محاربة- للفصحى ولكلّ ما يمتّ إليها بصلة، وتحوّل ذلك الدور الكبير في نشر العربية إلى دور كبير في هدم العربية وتقويض دعائمها، بطرق متعددة، وأساليب مقصودة وغير مقصودة، لكنّها في النهاية تثمر نتيجة واحدة، ومن هذه الأساليب:

١-حرب اللهجات المستعرة بين الإذاعات والفضائيات العربية، والتنافس المحموم لحيازة قصب السبق، بانتشار عامية هذه الإذاعة أو تلك الفضائية بين أكبر عدد من المستمعين والمشاهدين، حتى تنوّعت وتعددت لهجات الإذاعات والفضائيات بعدد الدول العربية.

وكان ابتداء انتشار هذا التلوّث اللغوي بظهور المسلسلات والأفلام، وكانت الحجّة في ذلك محاكاة الواقع، ثم انتقلت هذه المحاكاة إلى برامج التراث والإعلانات والبرامج الحوارية وحتى العلمية..!

وأدّى هذا الاندفاع نحو العامية إلى جعل بعض اللهجات أقرب إلى فهم المتلقي من الفصحى، خصوصا بالنسبة للأميين وأنصاف المتعلمين، وكذا الأطفال، واللهجة المصرية أصدق مثال على ذلك، فقد انتشرت في أرجاء العالم العربي، وصارت بمثابة لغة التواصل بين العرب، يفهمها الشامي والعراقي واليمني والمغربي، ويعود السبب في ذلك إلى الإذاعة والتلفاز اللذين نقلا الفنون المصرية، الغنائية والدرامية وغيرها، إلى المتابعين لهما في أرجاء الوطن العربي.

واليوم.. بعد أن ضاق الفضاء بالفضائيات العربية، ظهرت في الساحة الإعلامية لهجات أخرى تنافس المصرية على مقعد الشهرة والانتشار، وتكاد بعض الفضائيات تعطي للمتابعين لها دروسا في قواعد لهجاتها وأصول النطق وأصوات الأحرف فيها، كل ذلك يحدث على حساب الفصحى، بل وعلى حساب العامية الراقية أيضا، فالأولى تهان، والثانية تبتذل، حتى إنها كثيرا ما تجنح إلى السوقية والإسفاف، متجاوزة العامية الراقية المحترمة.

منافذ العامية في الإذاعة والتلفاز

لقد تعددت منافذ العامية في الإذاعة والتلفاز، وبات من الصعب حصرها، فهناك إذاعات وفضائيات تبدأ إرسالها وتنهيه بالعامية، وما بين البدء والختام لا يكاد المتابع يسمع جملة فصيحة، لكنني سآتي على ذكر أهم المنافذ، وأكثرها تأثيرا.

المذيعون والمذيعات: الكثير من هؤلاء لا يحسن صياغة جملة فصيحة غير ملحونة، وما يعلم من قواعد العربية شيئا، وهو لا يرى في ذلك عيبا أو منقصة تحطّ من قدره، بل وصل الأمر ببعضهم إلى ازدراء الفصحى، وجعلها مثارا للسخرية والاستهزاء، في مقابل الاعتزاز باللهجة المحلية، والشعور بتفوّقها على ما عداها من اللهجات.

وتعدّ البرامج الحوارية الفنية والثقافية والسياسية، من أكثر البرامج التي يجنح مقدموها إلى استعمال العامية، لأنّ التحدّث بالفصحى فيها يتطلب مهارة وعلما وثقافة، وكلّ ذلك يفتقر إليه هؤلاء المذيعون، فيعمدون إلى مداراة النقص، بالنقص ذاته. أمّا الضيف الذي هو محور البرنامج، ففي كثير من الأحيان لا يكون أفضل حالا من المذيع، فهو يجاريه في الحديث بالعامية، ويتفوّق عليه في استعارة المفردات والمصطلحات من لغة أخرى، ليثبت نخبويته، فهو يرى أن لغة النخبة لا يجوز تدنيسها بمفردات عربية فصحى!!

وإذا علمنا أن كثيرا من البرامج الحوارية إنّما تستضيف أصحاب الشهرة والمثقفين والساسة، ومتبوئي المناصب العليا في المجتمع، فسوف ندرك عظم التأثير الذي يتركه هؤلاء لدى العامة من الناس، عندما يلاحظون مدى حرص هذا النجم على أن يبعد عنه عار الفصحى وشنارها، وأن يغرق ما أمكنه في عاميته المحلية المطعمة بلغة (المستلِب)، ومن منطلق ولع الغالب بالمغلوب، فإن الشعور بالازدراء والنقص تجاه الفصحى سينتقل حتما إلى المتلقي.

أما إذا تحدّث هذا (النخبوي) بالفصحى، فإنه سيهمل الإعراب –وهذه أول خصائص العامية– وإذا أعرب فسوف ينصب المرفوع، ويخفض المنصوب، وقلّة هم اللذين يتحدّثون بفصحى معربة سليمة من اللحن.

وتأتي بعد ذلك مشاركات المستمعين والمشاهدين في برامج البثّ المباشر، لتزيد الطين بلّة، فحديث بعضهم ينحدر إلى العامية المبتذلة، التي يشقّ على من لديه أدنى حسّ أدبي أن يسمعها.

البرامج الموجهة للأطفال:

وهذه من أخطر المنافذ، لأنها تكرس العامية في نفوس النشء وهم في مرحلة يتشوقون فيها للمعرفة، ويسهل تأثرهم بكلّ ما حولهم، وبدلا من استغلال هذه المرحلة في تعزيز مكانة الفصحى، وترسيخ الملكة اللغوية لدى الناشئة عن طريق الاستماع، نرى وسائل الإعلام تهدم اللبنات الأولى التي يشيدها التعليم في عقول هؤلاء الصغار، بتركيزها على العامية في كلّ ما هو موجّه للطفل، بدءا بالرسوم المتحركة، ومرورا بالبرامج الثقافية والترفيهية، وانتهاء بالإعلانات التجارية والبرامج الإرشادية، وكلّ هذه البرامج لها أشدّ التأثير على سلوك الطفل وتفكيره ولغته، فهو يعمد دوما إلى محاكاة أبطالها، وتقليدهم فيما يأتون من أقوال وأفعال، ويستوعب كل ما يسمعه ويشاهده بدقة متناهية.

إنّ أمثال هذه البرامج تعدّ بيئة خصبة للتعليم والتوجيه غير المباشر، إن أحسن الإعداد لها، وتم اختيار كفاءات ومواد مناسبة. أما إن كان العكس، فالجرم عظيم وخطير، يتغلغل أثره عميقا في النفوس، ويظهر في صورة أجيال لا تميّز الفاعل من المفعول.. ولا تعرف الفرق بين المرفوع والمنصوب!

الإعلانات التجارية:

وتأتي أهميتها من كونها عبارة عن رسائل قصيرة موجهة، تتكرر بشكل مكثف على أذن المستمع وعينه، على نحو يجعلها ترسخ في ذهنه، بحيث يمكن أن يردّدها دون وعي.

وغالبا ما يحرص القائمون على هذه الصناعة على استخدام العامية التي يرون أنها أكثر تأثيرا وجذبا للمتابع، وبالتالي أضمن في تسويق سلعتهم ورواجها، وربما علّلوا استخدامهم للعامية بأنها تمثل الواقع، وهنا يحق لنا أن نتساءل: أين هو الواقع في إعلان يصاغ باللهجة اللبنانية أو المصرية، ليذاع في إذاعة يمنية أو يعرض في تلفاز سعودي؟.. إنّ الأصدق أن يقال إنها مجاراة

للواقع، وعزف على وتر اللهجة المفضّلة لدى المتلقي! وهكذا يتمّ تسخير اللغة لتصبح أحد أدوات صناعة المجتمع الاستهلاكي!

برامج الشعر الشعبي أو العامي: وكذلك الأمسيات الشعرية لشعراء (إن صحّت التسمية) العامية، وتستميل هذه البرامج فكر المستمع والمشاهد لحو هذا النحو من الشعر، وتوجد هالة من النجومية والشهرة حول شعرائه، وتؤدي دورها في إفساد الذوق الأدبي العام.

يضاف إلى ما سبق الأغاني الموسيقية التي تصدح دوما في الفضائيات والإذاعات، ولو أنّه ما وجد سبب لتحريمها إلا ألفاظها المبتذلة، التي لا تحترم ذوقا، ولا تراعي أدبا، لكفى به من سبب. كذلك برامج المسابقات والبرامج العلمية، وهذه يفترض بها أن ترتقي بالمشاهد والمستمع تفكيرا ولغة، لا أن تزيده جهلا وخطأ.

وفي مقابل الطوفان العارم للعامية، ما عاد للفصحى مكان إلا في نشرات الأخبار، وهي هنا مشوّهة عليلة، مليئة بالأخطاء اللغوية والإلقائية. لقد نسي القائمون على الإذاعة والتلفاز أنّ وسائل الإعلام يجب أن تكون موجِّهة لا موجَّهة، وهذا يعني أنها لا يصحّ أن تتملق عواطف الجمهور أو تجري وراء نزواته، بل يجب أن توجهه وتأخذ بيده، وتقوده إلى حيث تريد، فلهذا السبب وجدت، ومن أجله تعمل.[٤٤]

نعود إلى الأساليب التي انتهجتها الإذاعة والتلفاز في محاربة الفصحى:

انتشار استخدام الأجنبية في الإذاعات والفضائيات العربية، فمسمى القناة أو الإذاعة أجنبي، ومسمّيات البرامج أجنبية، والمذيعون يحرصون على تطعيم عاميتهم بمفردات أجنبية، وهذا أحد مظاهر الاستلاب الذي تعانيه الأمة العربية الإسلامية، ومن مضاعفات هذه الظاهرة تشويه الذات وتحقيرها، والرفع من

٤٤- رمضان عبد التواب، فقه العربية، ص ٤٢٤ .

قيمة الآخرين وتراثهم ومنجزاتهم (ولغاتهم)، وهذا.. يقود إلى تدمير الذات، واستبدالها بذات أخرى وهمية أو مصطنعة كما يقول المفكر برهان غليون.

وهكذا صارت اللغة الأجنبية أحد دلائل التميز والنجومية في المجتمع العربي، والمتحدّث بها إنّما يريد أن يؤكّد انتماءه إلى طبقة النخبة، التي تتميّز عن العامة حتى في لغتها، وقد ساهمت الأعمال الدرامية العربية في تأصيل هذا المفهوم، فغالبا ما تحوي لغة الشخصيات التي تمثل الأثرياء وأصحاب النفوذ في المجتمع الكثير من المفردات والألفاظ الأجنبية، تأكيدا لتميّزهم من جهة، وتشويها للعربية، وبخسا لقدرها من جهة أخرى.

٣- **الأعمال الدرامية والمسرحية والسينمائية العربية**، وهذه قد ساهمت بدور فعال في الحطّ من قدر الفصحى والإساءة إليها بأساليب عديدة، وسوف نتجاوز العامية المستخدمة في هذه الأعمال، مع أنّها كانت من أهم أسباب استشراء داء العامية في وسائل الإعلام العربية، وعذرُ من ينشرون هذا الداء -كالمعتاد- محاكاة الواقع وتجسيده، على فرض أننا سلّمنا وقبلنا هذا العذر (الواهي)، فلن يسعنا التسليم أمام هذا السؤال الكبير: لماذا يعمد كتاب الدراما إلى إنطاق الشخصيات التي تمثل علماء الدين والمتديّنين بالفصحى، في مسلسل كلّ من فيه ينطق بالعامية هل نعدّ هذا من باب محاكاة الواقع أيضا؟!! أم تراه خوفا على الفصحى.. وحبّا لها؟!!

إنّ إظهار الفصحى في الأعمال الدرامية وغيرها على أنّها لغة علماء الدين، يوحي للمشاهد بأن استخدام هذه اللغة يقتصر على هؤلاء، كما يكوّن مفهوما خاطئا عن العلاقة بين العربية والدين، فالدين الإسلامي كان بمثابة نقطة انطلاق للعربية نحو العالمية، وحافظاً لها من الاندثار على مرّ الأزمان، لكنّ ذلك لا يعني تخصيص العربية بكلّ ما هو ديني وتعبدي فقط. إنّ هذا المفهوم الخاطئ ينذر بإقصاء الفصحى وإبعادها عن كل مجال علمي أو ثقافي أو اجتماعي، وجعلها لغة شعائرية، تؤدّى بها الصلوات، وتُلقى بها الخطب في المساجد، وتجري على ألسنة

المتدينين فقط، وهذا ما تؤصّله وتغرسه هذه الأعمال في نفوس المشاهدين والمتابعين لها.

كذلك غالبا ما تكون اللغة العربية في هذه الأعمال موضع سخرية واستهزاء، بل وازدراء أحيانا أخرى، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها فيلم لأحدهم يَسخر فيه من مدرّس العربية، ومن اللغة العربية سخرية ماكرة، مقصودة بلا شك، فيصوّر مدرس اللغة العربية بائسا مسكينا، تبعث كل مواقفه على السخرية به، ولا يثير الاحترام عند أحد، ويجعل فتاة مائعة تحاول أن تقرأ نصا عربيا في درس المطالعة، فتخطئ أخطاء مضحكة.. ولكنها تُقدّم في سياق الأحداث بالصورة التي توحي للمشاهد أنها معذورة.. فاللغة العربية هكذا.. صعبة على الأفهام! لا يمكن للمتعلّم أن يستوعبها مهما بذل المعلّم من جهد. هذا مثال ذكره الأستاذ محمد قطب من عشرات السنين، قبل أن يستفحل الداء.. وينتشر في الجسد أجمعه! وهذه أهم النقاط التي أراها ساهمت في ضعف العربية من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

ج- الحاسب الآلي والشبكة العنكبوتية

استخدام الانترنت كوسيلة إعلامية يعدّ مجالا جديدا في البلاد العربية، لكنّنا يمكن أن نقول إنه استطاع مجاراة الوسائل السابقة، وجذب الجمهور، إن لم يكن قد سبقها، وتفوّق عليها. وبحكم كونه أتى متأخرا، فهو ليس مؤثرا بقدر ما هو متأثر، فصفحات الشبكة من منتديات ومواقع تعد مثالا حيا -مؤلما أشدّ الألم- لما وصل إليه حال أبناء العربية.

إنّ جولة واحدة في أحد المنتديات، تصيب المرء بالذهول من شدّة الانحطاط اللغوي الذي تئنّ من وطأته هذه المنتديات والمواقع، فالفئة العمرية التي ترتاد أمثال هذه المواقع تتراوح في أغلب الأحيان بين سن ٢٠ إلى ٣٠ وحتى ٤٠، أي أنّهم جميعا قد نالوا قسطا وافرا من التعليم، يمكّنهم على أقلّ تقدير من الكتابة

الإملائية الصحيحة، لكنك تفاجأ بكمّ هائل من الأخطاء التي ما كنت تتصور أن يقع فيها طالب الابتدائية! هذا فضلا عن العامية التي تتحرّر من كل قيد قواعدي أو إملائي، وتفتقر حتى إلى الرقي!

وليس هذا إلا نتاج سياسات تعليمية فاشلة، ووسائل إعلامية مبتذلة، ثم الإهمال من قبل الشخص نفسه، فهي كلّها حلقات متصلة، وسلاسل مرتبطة، يجرّ بعضها بعضا، وطريق الإصلاح-لا بدّ أن يبدأ بالحلقة الأولى، ثم نتدرّج حتى نصل إلى الهدف المنشود.

توصيات: إنّ المطلوب من وسائلنا الإعلامية كثير وكبير، لكن لن يجدي الكلام إن لم يدرك القائمون على هذه الوسائل عظم الجرم الذي يقعون فيه، فإنّ إدراك الخطأ هو أهمّ خطوات الإصلاح، بعد ذلك علينا أن نردّ السهام في نحر العامية، فنحارب غزوها للصحف والمجلات والقنوات، ثم تجريم كل من يتحدّث أو يكتب بها في أي وسيلة إعلامية كانت، ثم إلزام الإعلام برفض الإعلانات التجارية المصاغة بالعامية أو بلغة أجنبية، وعدم بثّها أو نشرها حتى تحوّل إلى الفصحى، وتحقيق هذين الأمرين يحتاج إلى جهود القائمين على وزارات الإعلام في البلاد العربية، بعد أن يتكامل وعيهم بعظم الخطر المحدق بالعربية، وأهمية صرف بعض الجهود (الجبارة) التي يبذلونها في تنقية وسائلهم من كلّ شائبة سياسية! في تنقية العربية كذلك من كل شائبة تحطّ من قدرها!

كذلك لا بدّ من التوعية الإعلامية بأهمية ومكانة اللغة العربية، وذلك بطريقة تلائم العصر، ولا بدّ من الاستفادة في هذا المجال من تقنيات الحاسب الآلي، لوضع برامج تجمع بين الفائدة العلمية والتشويق والمتعة، كذلك إنتاج برامج تعلم اللغة بأساليب مبتكرة ومبسطة، ويمكننا الاستفادة في هذا المجال مما قدّمته الأمم الأخرى للحفاظ على هويتها اللغوية، فهناك مثلا عدّة مواقع على الشبكة تعلّم اللغة الانجليزية بطرق ميسّرة ومحبّبة، بعيدا عن تعقيد القواعد

والاشتقاقات ونحوها، بينما لا يوجد مثيل لهذه المواقع بالعربية، إلا بضع صفحات لا يرتقي أغلبها للمستوى المطلوب.

ولا ننسى أهمية مخاطبة الطفل، وغرس محبة لغته والحفاظ عليها في نفسه منذ نعومة أظفاره، ويتحقق هذا بتقديم برامج تعليمية تراعي سن الطفل وميوله وقدراته العقلية، كذلك بتعديل المناهج التي تمثل الثغر الأول الذي ينفذ منه بغض العربية إلى نفس الطفل.

ليس معنى كل ما سبق أنه لا بد أن يكون كلّ أفراد المجتمع بلغاء فصحاء، فهذا ممّا لا قبل لأيّ مجتمع به، لكن الواجب أن يلمّ كلّ منا بأهمّ القواعد الضرورية، التي تمكّنه من الحديث والكتابة بلغة سليمة من الأخطاء الفاحشة، والهفوات الشنيعة، التي لا عذر لأحد في الوقوع بها. كذلك فإنّ اللغة تعدّ من أهمّ خصائص وسمات أيّ أمّة، وهي كذلك صمّام أمان بالنسبة لها، فإن انهارت دعائم اللغة فاقرأ على الأمّة السلام! لأن اللغة كما يقول الرافعي رحمه الله تعالى: "هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها" فإن تحول الشعب عن لغته فإنما هو "التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب أمته، انقطع من نسب ماضيه.

أخطاء شائعة يقع فيها الإعلاميين وأمثلة للتصحيح[45]

العربية هي من بين اللغات لغة عتيدة، ولغة حضارة، ولغة حيّة، هي لغة القرآن الكريم ووعاء العقيدة الإسلامية. وهي أداة الفكر العلمي في مرحلة ازدهاره «العصر الوسيط العربي الإسلامي»، فكانت لغة العلماء في العالم على مدى قرون ولغة الثقافة الخصبة المتنوعة، والفن الإنساني المبدع.

وقد تمكنت بفضل خصائصها أن تصبح لغة للإعلام اليوم باستعمالها أداةً للتبليغ عبر مختلف القنوات الإعلامية المكتوبة منها والمرئية والمسموعة على حد سواء، مع الإشارة إلى دورها الإيجابي الذي أدته وسائل الإعلام في تقريب الهوة بين العامية والفصحى.

وعلى الرغم من هذا الدور الإيجابي الذي قامت به على مستوى الاستعمال اللغوي في أجهزة الإعلام فقد اعترضتها عوائق من أهمها: وجود الأمية بنسب مرتفعة في البلدان العربية وبأرقام مختلفة، ومحدودية توزيع الصحف والكتب وغيرها من الوسائل المكتوبة لجهل الكثيرين بالقراءة، ولضعف التغطية الإذاعية والإعلامية وعدم شموليتها بعض المناطق العربية والتي بدأت بالتراجع بعد انتشار الصحون اللاقطة. وقد لعبت الإذاعة الصوتية دوراً إيجابياً في نشر الفصحى بين المستمعين العرب في كل مكان من الأرض العربية، كما استطاعت بعض برامج التلفزيون الموجهة إلى الأطفال الصغار تقريب الفصحى إلى ألسنتهم فيسرت عليهم التعامل بها فيما بينهم، وساعدت أجهزة الإعلام والاتصال في

٤٥- معجم تصحيح لغة الإعلام العربي / عبد الهادي أبو طالب (بتصرف)

تحقيق التقارب بين مستويات التعبير اللغوية الثلاثة التي يمكن ملاحظتها في المجتمع العربي.

وبما أن الإعلام هو مدلول لكل ما يُنشر ويُكتَب ويُبثُّ عبر الإذاعة والتلفزة، وما تنطق به الألسنة وما لا تخلو منه بعض الكتب من أخطاء لغوية. خاصة منها الأخطاء الشائعة التي تُنوسي بتكرارها صحيح اللغة وصوابها بحيث أصبح معها الخطأ المشهور أكثر انتشارا من الصواب المهجور.

وفي تصحيح هذه الأخطاء سنعتمد على أن تطبيق القواعد أفضل وأولى من استعمال الشاذ حتى لا تصبح اللغة لغتين. أقول هذا وأنا أستحضر أن اللغة العربية نشأت من مجموعة اللهجات العربية التي فرّقتها، لكن جمعها القرآن الكريم الذي وحّدها على لغة قريش وقال عنها إنها لسان عربي مبين. ولست ضد اقتباس اللغة العربية كلماتٍ من لغات أخرى، بشرط أن يكون المولَّدُ مسايرا لبِنْيَات اللفظ العربي ومتقيِّدا بأوزان الأفعال المعروفة.

وقد تحدث عن المولَّد بتفصيل السيوطي في الجزء الأول من كتابه المُزْهِرْ ص.٣٠٤، وذكر الكثير من الألفاظ المولَّدة التي جاءت إلى اللغة العربية من الفارسية، والرومية، والحبشية، والسريانية، والعبرية، والتركية القديمة. وجاء بعضها في القرآن فأصبحت بذلك كلمات عربية فصيحة.

اللغات الحضارية القديمة والحديثة لا تتعدد فيها التعابير الدالة على المعنى الواحد ولا تختلف أشكالها، وتقدِّمها المعاجم في صيغة واحدة لأن اللغة لا يمكن أن تكون لغات. ولابد أن تُرْقَى اللغة العربية إلى هذا المستوى.

وفي جميع أقطار العالم تتأسس جمعيات للحفاظ على اللغة الوطنية وتحصينها من تسرب الدخيل إليها. توجد هذه الجمعية في فرنسا مثلا لحماية الفرنسية من غزو الإنجليزية، لأن حماية اللغة من الأخطاء والدخيل حماية للسيادة اللغوية التي هي جزء من السيادة الوطنية.

وفي كل أمة تحترم نفسها يعمل علماء اللغة على حماية لغتهم الوطنية من الفساد والتشويه. وقد أثِر عن أحد أعضاء الكونغريس الأميريكي كان تقدم إلى هذا المجلس بمقترح قانون للحفاظ على الإنجليزية أنه برّره بقوله: "إننا نضع القوانين لمعاقبة الجريمة والقتل والفساد فلماذا لا نصنع القوانين لمعاقبة الذين يفسدون اللغة ويقتلونها؟".

وسنضع في هذا الموضوع نماذج يمكن أن يقيس عليها باحثون لغويون في تصحيح ما لم يصححه هذا الموضوع من أخطاء ضاق عنها حجمه المحدود، وآمل أن يتمموا بذلك الجهد المتواضع الذي قمت به.

همزة القطع وهمزة الوصل

وتَرِدان في أول الكلمة: مثال همزة الوصل: إرتباط، (و) ارتفاع (و) امتثال. وهمزة القطع: إنصات، (و) إقطاع، (و) إنقاذ.

ولا تُكتب همزة الوصل تحت ألف الكلمة بل ولا تضبط بالكسرة وتبقى بدون شكل هكذا: ارتباط، ارتفاع، امتثال. بينما تُكتب همزة القطع بالكسرة ويُنطق بها: إنصات، إقطاع، إنقاذ.

لذا لا يصح أن توضع الهمزة تحت النشرة الاقتصادية على شاشة التلفزة، ويكتب العنوان هكذا: النشرة الإقتصادية، أو ينطق بها المذيع كما ينطق بهمزة القطع أو يكتبها له المحرر بهمزة القطع.

وإنما يقال ويُنطَق على هذا الشكل: النشرة الإقتصادية والتعليم الإبتدائي، والشؤون الإجتماعية، بينما تُكتب همزة القطع بكسرها ويُنطَق بها هكذا: النشرة الإخبارية، وبرامج الإعلانات، والإشهار.

قرأت في جريدة عربية يومية كبرى محترمة عنوانا كبيرا مكتوبا في سطرين واسعين: المكتبة الإفتراضية على شبكة الإنترنيت. أين نحن من ثروة الإعلام

والإتصال والصواب هو الإفتراضية، والاتصال بدون همزة قطع، ويكسر همزة الوصل.

تماما كما نحن نقول الحملة الإنتخابية، ولائحة الإستفتاء، والاستقبالات الملكية. والإحتفالات بالأعياد والمرحلة الإنتقالية والعمليات الإستشهادية، وإني في الإنتظار، وسأحضر في الإستقبال.

ولا يجوز أن يقال في ختام البرقيات. وتقبلوا فائق الإحترام، وعظيم الإعتبار وبالغ الإمتنان. كما لا يقال عملية إنتقائية، وأداة إستفهام، ومرحلة الإمتحانات. فكل ذلك وما شابهه لا تُنطق فيه الهمزة ولا تُكتب.

أحادي وأحادية: يُنطَق بهما بفتح الهمزة والصواب هو ضمها، أي أحادي وأحاديّة. كما تُضَم الهمزة في ميزان فُعالي وفُعالية، فنقول ثُنائي، وثُنائيّة، وثُلاثي، وثُلاثية، ورُباعي، وخُماسي، وسُداسي، وسُباعي، وثُماني، وتُساعي، وعُشاري. والمؤنث من هذه الألفاظ يأتي على وزن فُعالية.

نقول ثنائية الإشكالية، أي ثُنائية ذات شِقَّيْن. والمخطَّط الثُّنائي أي مُخطَّط سنتين. والمخطط الثُّلاثي، أي لثلاث سنوات. والخطة الرُّباعية، أي خطة أربع سنوات. وهكذا دَوالَيْك إلى العُشاري والعُشارية. وكلها تضم همزتها، فلِمَ نقول إذن الأحادية بفتح الهمزة ؟

لذا علينا أن نقول: أُحاديَّة القطبية العالمية بضم الهمزة ولا يجوز فتحها. ونقول أُحاديُّ اللغة أي ذو لغة واحدة. والطريق الأُحاديُّ أي المنفرد أو طريق ذو مسلك واحد. والخط الحديديُّ الأُحادي، أي الخط المنفرد. كما نقول الأُحاديَّة هي نقيض التعددية. والياء التي تُختَم بها هذه الكلمة هي ياء النسبة.

وبدون نسبة بالياء يصبح الأُحاديّ أُحاد. ونقول جاءوا أُحادَ أي واحدا بعد الآخر. وتُمنع صيغة فُعال هذه من الصرف فلا يجوز أن نقول جاءوا أُحادًا بالتنوين.

أحَدي وأحَديّة

لكن يمكن أن نفتح الحاء ونقول أحَدي، وأحَدِيّة، نسبة إلى لفظ أحَد. (قل هو الله أحَد). وحينئذ يجوز أن نقول أحَديَّة القُطبية، بفتح الهمزة ولكن بدون مدّ الحاء. حتى لا يصبح اللفظ فُعاليا بضم الحرف الأول من الكلمة (الذي يسمى فاء الكلمة). وجاء في أدعية بعض الصوفية: يا أحَدُ، يا صَمَدُ، يا من هو موصوفٌ بالأَحَديَّة والأَزَليّة والأَبَديَّة.

ويجمع أحَد على آحاد. وهي ما يقابل العشرات والمآت والآلاف. ولا تُمنع هذه الصيغة من الصرف فيقال جاءوا آحاداً.

كما تأتي كلمة آحاد جمعا ليوم الأحد. فنقول تُغلَق المكاتبُ والمدارسُ في عالم الغرب في آيام الآحاد. وتُفتَح في أيام الآحاد ملاعبُ الكرة.

نسمع المذيع يقول إليكم آذان الظهر، وآذان العصر، أو يُكتَب على الشاشة الآذان. وهذا خطأ. والصواب الأذان بدون مدّ.

آذان وأذان

نداء المؤذن للصلاة يسمى الأذان بفتح الهمزة بدون مدّ.

أما الآذان فجمع أذن. فنقول يُسمَع الأذان بآذان مفتوحة وقلوب خاشعة. ويتوجه المصلون لأداء الصلاة وليس لأدائها.

أذّن العصرَ وأذّنت العِشاءَ

الصواب أذّن المؤذن بالعصر، أو بالعشاء (أو بفعل المجهول أُذّن بالعصر، أو بالعشاء). وأذّن تفيد أعْلَمَ بالشيء فالأذان هو الإعلام بالصلاة. لذلك تأتي الباء بعد فعل أذّن.

ويستعمل بدل أذّن أو أُذّن فعل نادى أو نودِي فنقول نادى المؤذن. ونقول عندئذ للصلاة، وليس بالصلاة. لأن النداء يكون لشيء وليس به.

وفي القرآن الكريم: يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسْعَوا إلى ذكر الله.

أذنٌ مُصغية لا صاغية

وشاع تعبير لا يلقى أذنا صاغية والصواب مُصْغِية. فعل صغا الثلاثي المجرد يعني مال إلى. وفي القرآن الكريم: إن تتوبا إلى الله فقد صغتْ قُلوبُكما أي مالت القلوب برضاها.

كما جاء بصيغة صَغِيَ يَصْغَى في قوله تعالى: {ولِتَصْغَى إليه أفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة}.

أما في معنى الاستماع فيُستعمَل الرباعي: أصْغَى يُصْغِي إصغاءً. واسم الفاعل المذكر مُصْغٍ والمؤنث مُصْغِية (أذُن مُصْغِية).

وأصغى لا يعني مجرد الاستماع، ولكن حسن الاستماع والاهتمام بما يُسمَع. وجاء في بعض المعاجم العربية الحديثة تعبير: كلنا آذان صاغية. وذلك تبنٍّ لخطأ شائع.

أزْمة وأزَمات

فيُنطَق الزاي بالسكون في المفرد، وبالفتح في الجمع على وزن فَعْلة وفَعَلات. وبعض المتحدثين ينطقون بالزاي مفتوحة فيهما وهو خطأ شائع خاصة في المشرق العربي.

لكن توجد في العربية صيغة فَعَلة في المفرد ويبقى فتح عين الكلمة (الحرف الثاني منها) ملازما للجمع. فحينئذ يقِلُّ الخطأ وذلك على سبيل المثال كلمتا نَسَمة، وجَلَبة وعقَبة.

استَيْقَظَ لا استَيقضَ

شاهدت على شاشة التلفزة المغربية القناة الأولى برنامج ألف لام لتعليم اللغة العربية.

وهو برنامج ذو بيداغوجية مفيدة موفّقة يستحق العاملون فيه التشجيع بيد أنني لاحظت أنه في سياق جملة كُتِبت على الشاشة ونطق بها المعلمون والمعلمات ليلقنوها للمشاهدين جاء فعل استيقظ، فنطقوا ظاءَه ضاداً بل وأكثر من ذلك كتبوه على الشاشة ضادا (استيقض).

نؤكد على وجوب تدريب النشء منذ التعليم الإعدادي على النطق بحروف الكلمات كما يجب تجنبا للالتباس الذي يحدث في المعنى بسبب عدم التمييز بين التاء والثاء، والضاد والظاء، والدال، والذال.

أطُر لا "كَوادِر"

في المشرق العربي يستعمِل الإعلامُ كلمةَ الكَوادِر (جمعا لكلمة كادر) للدلالة على كبار العاملين في المكاتب والإمارات والوزارات ومرافق الدولة والقطاع الخاص. وهي كلمة فرنسية (Cadre) لا ضرورة لاستعمالها لوجود نظيرها في العربية الذي هو إطار ويجمع على أطُر.

ونقول "أطُر التعليم، وأطُر وزارة كذا، وأطُر المهندسين، وأطُر الأطباء".

يُطلِق البعض كلمة مَلاك (بفتح الميم) للدلالة على الإطار. فهما بذلك مترادفان. ولكن كلمة مَلاك غير شائعة. وأصل الإطار هو ما يحيط بالشيء من خارجه: "إِطار الصورة" و"إِطار العَجَلة"، و"إِطار النظّارة". والفعل هو أطَّر يُؤطِّر. والمصدر هو تأطير.

وبذلك تطور المعنى وامتد إلى تعابير مقبولة. كأن نقول: "الأحزاب تقوم بتأطير الشعب". وتُستعمَل كلمة إطار مرادفة لكلمة نِطاق ونقول: "وفي هذا الإطار نُدخِل هذا المثال". كما نقول: "وفي هذا النِّطاق جرى حادث كذا".

أما المَلاك فهو قِوام الشيء وأساسه وعنصره الجوهري. وكل ذلك ينطبق على الأُطُر وخاصة منها ذات الكفاءة. ونقول: "القلب مَلاك الجسد" أي لا يقوم الجسد إلا به. كما لا تقوم الدولة إلا بأُطُرها أو مَلاكاتها (جمع مَلاك).

لذا مع وجود هذين التعبيرين لا ضرورة تفرض استعمال كلمة كادر الأجنبية (مفردا) وكوادر (جمعا). وأفضل استعمال الأُطُر (لشيوع هذه الكلمة) على كلمة مَلاك وهي قليلة الاستعمال.

والذين أدخلوا كلمة "كوادر" الفرنسية إلى العربية اقتصروا على جمعها. ولا يستعملون مفردها. وجمع كادِر على كوادر يُعترَض عليه لأن جمع فواعل يأتي في اللغة لجمع فاعِلة المؤنث لا لفاعل المذكر. فنقول شواعر العرب للدلالة على النساء.

وفي القرآن الكريم: "والقواعد من النساء". وفيه أيضا: "ولا تُمسكوا بِعِصَم الكوافر". أي الكافرات.

لكن "كوادر" تستعمل في المذكر والمؤنث، وفواعل تستعمل في اللغة العربية للمؤنث أكثر مما تستعمل للمذكر بشروط مفصلة في كتب اللغة، إذ نقول عن الرجال: "الجنود البواسل" وهذا قليل في الاستعمال.

وزن أفعال لا يُمنع من الصرف

أصبح شائعا على الألسنة في لغة الإعلام: "وهذا التصريح فتح آفاقَ للتفاهم". "وهناك أشياءُ أخرى"، وأسماءُ تُذكَر". "ومَردُّ هذا لأسبابَ أخرى". "وتقدم المحلِّل بآراءَ جَيِّدة". "وقد تمّ هذا في أجواءَ غير عادية". "ولأغراضَ خاصة".

والصواب فتح هذه الكلمات وتنوينها، وأن نقول: لأسبابٍ أخرى، وتقدم المحلل بآراءٍ جيدة، وتم هذا في أجواءٍ غير عادية، ولأغراضٍ خاصة.

ونقول ألفاظٌ وأعمالٌ، وأوزانٌ، وأشعارٌ، وأولادٌ في حالة الرفع – ونفتح آخر هذه الكلمات مع التنوين في حالة النصب، ونكسر آخرها مع تنوينه في حالة

الكسر: مثال: أوزاناً، وأوزانٍ.

إن الجمع لا يُمنع من الصرف إلا إذا كان على وزن أفاعل (أفاضل) أو وزن فعائِل (منائر) أو وزن مَفاعِل (مدارس) أو فواعِل (شوارع) أو أفاعيل (أناشيد) أو مَفاعيل (مصابيح) أو فعاليل (عصافير) أو فواعيل (نواعير). وحينئذ لا يحمل التنوين ولا الكسرة في حالة الجر.

أما وزن أفعال فيبقى مصروفا بالتنوين. وتدخل على آخره الضمة في حالة الرفع، والفتحة في حالة النصب، والكسرة في حالة الجر.

جاء في القرآن الكريم: إن هي إلا أسماءٌ سميتموها وجاء أيضا، "ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله". وأيضا: "وأتوا على قوم يعكِفون على أصنامٍ لهم".

وجاءت صيغ منتهى الجموع ممنوعةً من الصرف في القرآن: "ولي فيها مآربُ أخرى". وتتخذون مصانعَ لعلكم تخلُدون". "وأرسل عليهم طيرا أبابيلَ ترميهم بحجارة من سِجّيل". وأيضا: "يعملون له ما يشاء من محاريبَ وتماثيلَ" بدون تنوين في آخر كلمات أبابيل، ومحاريب، وتماثيل، ويفتح آخر الكلمتين محاريب وتماثيل وفتحه بدلا من كسره، لأن حالة المنع من الصرف تنوب فيها الفتحة عن الكسرة.

لكن إذا أدخل على هذه الأوزان أل للتعريف، أو أضيفت إلى معرّف بأل تصبح مصروفة تُرفع بالضمة وتُنصب بالفتحة وتُجَرُّ بالكسرة بدون تنوين.

فنقول: ذهبت إلى المدارس، وصلّيت في المساجد، وطفت على مدارس التعليم، وصليت في مساجد المدينة بكسر الحرف الأخير في جميع هذه الكلمات.

ومن الأخطاء التي يقع فيها الإعلام كلمة جرائم. فيقول البعض وسيُدان ميلوسوفتش بجرائمَ حربٍ، والصواب كسر الميم (بجرائمِ)، لأن الكلمة أضيفت إلى حرب. لكن عندما لا تضاف ولا تعرّف بأل تُمنع من

الصرف وتنوب الفتحة عن الكسرة فنقول: "حكام إسرائيل مسؤولون عن جرائمَ ارتكبوها ضد شعب فلسطين".

أفعل وفُعلَى للتفضيل

يشيع استعمال أفعل التفضيل المعرّف بالألف واللام وصفا للمذكر والمؤنث بدون تفريق بينهما. فيقال الدولة الأعظم، والقوة الأكبر، والفكرة الأفضل. وجميع ذلك -ومثله كثير- خطأ.

لأن صيغة الأفعل للمذكر وصيغة المؤنث هي فُعلَى (بضم الحرف الأول وتسكين الثاني وفتح الثالث مع الإمالة (أو الألف المقصورة). وعلى ذلك فالصواب هو الدولة العُظْمَى (لا الأعظم)، والقوة الكُبْرَى (لا الأكبَر)، والفكرة الفُضْلَى (لا الأفضل)، والمؤسسة العُلْيا (لا الأعلى). كما نقول الأوّل (المذكّر) والأولَى (المؤنث)، والآخَر (المذكّر) والأخرى (المؤنث).

وفي المثنّى نقول: الدولتان العُظْمَيَان، والكُبْرَيَان، والسيدتان الفُضْلَيَان. ومن الخطأ أن نضيف تاء للتأنيث كما نسمعه في المذياع والتلفزة إذ يقال (العُظْمَيَتَان) و(الكُبْرَيَتَان). لأننا بذلك ندخل تاء التأنيث بدون فائدة لأن التأنيث موجود في صيغة الكُبْرَيَيْن (كما هو موجود في المفرد (كبرى أو صغرى أو عظمى) حيث لا تقول كُبْرَيَةٌ أو صُغْرَيَةٌ أو عُظْمَيَةٌ.

وفي الجمع تجمع فُعْلى (صيغة المؤنث) على فُعْلَيات فنقول الدُّور الكُبْرَيَات، والنساء الفُضْلَيَات.

ونقول أيضا الحد الأقصى، والمرتبة القُصْوى، والحد الأدنى، والدرجة الدُّنْيا.

وجاء في القرآن: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى". {وإذ أنتم بالعُدْوة الدُّنْيا وهم بالعدوة القُصْوى}.

وهذه القاعدة تنطبق على صيغة التفضيل المعرَّف بأل. أما أفعل بدون أل فإذا كان مضافا إلى نكرة فيبقى مذكرا مفردا ولا يطابق موصوفه ويتبع بكلمة مِنْ.

نقول: الحرير أغلى من القطن، والشمس أكبر من الأرض، والجبال أعلى من السهول. وهذان التعبيران أجمل من التعبير السابق، وهاتان النظريتان أهمُّ من غيرهما.

أكْفاء لا أكِفّاء

ويتردد على بعض الألسنة جمع لفظ كُفْء على أكِفّاء. والصواب أكْفاء (بسكون الكاف). والكُفء هو المماثل لغيره. وفي القرآن الكريم: "ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ". وهو في الآية بضم الفاء لكن تُسكَّن فاؤه كما تُضَم.

والكفاءة تعني المقدرة. "ونقول: "خبير ذو كفاءة". ونقول: "يجب إسناد الوظائف إلى ذوي الكفاءات".

ويحسن التفريق بين الكَفاءة والكِفاية. والبعض لا يفرق بينهما. والكِفاية مصدر كفى يكفي. ونقول "ما قاله فيه كفاية" وجاء في القرآن لفظ كفى دائما بمعنى الكفاية من ذلك قوله تعالى: {فَسَيَكْفيكهم اللهُ" وقوله: "وكَفَى بالله حسيبا}. وقوله: {أليس الله بكافٍ عبدَه}.

ومنشأ الخطأ في استعمال أكِفّاء هو وجود هذا الوزن (أفْعِلاء) في كلمات أخرى، كأغْنياء، وأحِبَّاء، وأصفياء، وأصْدِقاء. لكن جمع أفْعِلاء يأتي لجمع فعيل:(غَنِيّ، حَبيب، صَفيّ، صديق) ومن يَجْهَلْ هذه القاعدة يَقَعْ في الالتباس الذي يترتب عليه الخطأ.

"أو" و"أم"

لا تُستعمل كلمة "أو" بعد أداة الاستفهام (هل) وهمزة الاستفهام (أ): "هل جاء فلان أو فلان؟"، أو "أجاء فلان أو فلان؟" بل الصواب هو: "هل جاء فلان أمْ

فلان؟" و"أجاء محمد أمْ أحمد ؟" و"أحضَر إدريس أمْ رشيد ؟" و"هل الساعة التاسعةُ أم العاشرة ؟".

أمْ هذه هي حرف للمعادلة بين شيئين وحرف عطف متصل.

وفي القرآن: "أقريب أمْ بعيد ما تُوعدون". وأيضا: "هل يستوي الأعمى والبصير أمْ هل تستوي الظلمات والنور".

أَنْ وإنْ بفتح الهمزة أوْ كسرها وسكون النون

كثيرا ما يقع خطأ في كلمتي "أنْ" و"إنْ" إذا سبقتهما ما يفتح همزتهما فيقال: "ما أن سمعت الأمُّ بكاءَ طفلها حتى سارعت إليه". والصواب هو: "ما إن سمعت" بكسر الهمزة لأن إن مكسورة الهمزة التي تأتي بعد ما النافية تكون زائدة إذا تبعتها جملة فعلية. والمعنى على ذلك "في اللحظة التي سمعت، وبمجرد ما سمعت". أما "أنْ" المفتوحة فلا تكون زائدة بل لها أثر يظهر على بنية الكلمة وهو غير موجود في التعبير.

لذا يبقى الصواب هو "ما إنْ" ونقول "ما إن وقف القطار حتى ازدحم الركاب على الصعود إليه". "وما إن طلع الفجر حتى أذن المؤذن".

ولو حُذفت إن لما تغير المعنى. إذا المراد ما ندمت على سكوتي مرة.

استعمال كلمة "أوْ" بدَل "بل"

يرتكب المذيع والكاتب خطأ فيبادران إلى إصلاحه مستعملَيْن كلمة "أوْ" ويقولان: "وهذا الكلام المبهَم، أو المقصود إبهامه" ويقصدان إصلاح كلمة المبهم بأنها ليست مرادة بل المراد هو "المقصود إبهامه". أو يقول البعض أو على الأصح "المقصود إبهامه".

كما يحدث أن يخطئ المذيع في تلاوة المكتوب وينتبه فيبادر إلى الإصلاح ويستعمل حرف أو. كأن يكون في النص: "وسينعقد المؤتمر" فيقول هو أو انعقد

المؤتمر. ويقصد أن يقول: الصحيح هو انعقد المؤتمر لا أنه سينعقد.

والصواب في هذه التعبيرات وضع حرف "بل" بدل "أو" إذ بل -كما تقول قواعد النحو- تفيد الإضراب والإلغاء: "جاء الرجل بل المرأة". و"هذه الكلمة مرفوعة بل منصوبة". ولا يصح أن نقول أو المرأة، أو منصوبة. لأن التعبير بأو يحدث التباسا في المعنى يفهم منه أن الأمرين معا جائزان أو واردان. فكثر استعمال "أو" للتخيير.

واستعمال أو للإبطال ترجمة حرفية لنظيرتها (ou) في الفرنسية. وهي تفيد – من بين ما تفيده– الإبطال والتصحيح، ولكن كلمة أو في العربية تفيد التخيير في غالب استعمالها، وتأتي قليلا للإبطال. ولرفع الإشكال يحسن استعمال حرف "بل" الذي يفيد الإبطال وإلغاء ما سبق ذكره.

و على هذا نقول: "طلبت منه أن يحضر عندي على الساعة العاشرة، بل التاسعة". ولو قلنا أو التاسعة فقد يعني ذلك أن المطلوب للحضور مُخيَّر بين الساعتين. لذلك نوصي باستعمال بل: ونقول: "أخطأ، بل أجرم". و"نسي بل كذب وادّعى النسيان". و"كان الموعد صباحا بل ليلاً".

وفي القرآن الكريم: "وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مُكْرَمون". "ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات، بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون". "إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل".

أوْقَع اللاعب الإصابة

وشاع في لغة الإعلام الرياضية وقَّع اللاعبُ الإصابةَ أو كانت الإصابة من توقيع اللاعب. والمراد منه أن الإصابة منسوبة إليه كما لو كانت تحمل توقيعه بمعنى أنه فاعلها والمسؤول عنها.

وأُفضّل على وقّعَ فعل أوْقَعَ التي تفيد إحداث الشيء وجعلَه ووضْعَه موضعَه. ونقول: أوْقَعَ اللاعبُ الإصابةَ. وكانت الإصابة من إيقاعه. فاللاعب يُوقِع الكرة في المرمى ولا يُوقّعها.

الأوّل وأوّلَ

يقول البعض: قام الرئيس بزيارته أولَ مِنْ أمس، يقصدون في اليوم السابق ليوم أمس. والصواب حذف مِن فنقول أوّلَ أمْس، أو أمسِ الأول، أو ما قبل الأمس.

الأوّلي

الأصل فيه أنه كلمة أوّل ومعها ياء النسبة. لكنه يفيد غير ما تفيده كلمة الأول.

الأوّلي ومؤنثه الأوّلية. يعنيان الأصلي والأصلية، أي السابق على غيره وما جاء بعده متفرع عنه. وهو البداية.

ونقول طلب أوّلي، بمعنى أنه البداية وسيتلوه طلب آخر. ويقول المحامي للقاضي: نتقدم لهذه المحكمة بدَفْع أوّلي، لحجة الخصم. بدلا من دفع أوّل. وإذا كان للإعلامي من تعاليق على الحدث ينوي تقديمها أوّلا بأول فإنه يعلن عن تقديمه الأوّل بأنه تقديم أوّلي.

والأوّليات تعني المعطيات الأولى التي يتضمنها بحث أو تعليق ويتفرع عنها ويضاف إليها غيرها.

والأوّليات هي غير الأوْلويّات التي تعني الأسبقيات التي تتقدم في الترتيب وتسبق في الخيارات، وتعلو على غيرها.

فنقول مثلا حدد المخطط الاقتصادي أولويّات جاهزةً للتنفيذ. والحكومة تطبق المخطط على حسب ترتيب أولويّاته.

ولفظ الأولويّات يأتي من لفظ أَوْلَى التي تعني الأفضل والأجدر. ويقال: كان الأَوْلى أن يفعل كذا. ولا يقال كان الأولى لو فعل كذا. وفي القرآن: فأولى لهم طاعة وقول معروف.

إيّا

أخذ يشيع في الاستعمال هذا الكتابُ إيّاه قرأته. وهذا الموضوعُ إيّاه طرحه باحث آخر. وهذا خطأ، فلا تأتي إيّا -وهي ضمير منفصل يقع موقع النصب- نعتا أو توكيدا لاسم مرفوع، لأنها ضمير منفصل في موضع النصب.

إيّاي، وإيّانا، وإيّاكَ، وإيّاكِ، وإيّاكُمَا، وإيّاكُمْ، وإيّاكُنَّ، وإيّاهُ، وإيّاهَا، وإيّاهُمَا، وإيّاهُمْ، وإيّاهُنَّ، لا تقع جميعُها إلا في موضع النصب.

ففي سورة الفاتحة نقرأ إيّاكَ نعبد وإيّاكَ نستعين. فالأولى مفعول به لفعل نعبد، والثانية مفعول به لفعل نستعين. وفي القرآن أيضا: وإيّاي فاتّقون وإيّايَ فارْهَبون نحن نرزقكم وإيّاهُمْ أَمَرَ أن لا تعبدوا إلا إيّاه. وفي المثل العربي: إيّاكَ أعني واسمعي يا جارة. ونقول أعطيتك إيّاه فتأتي إيّاه في موضع النصب مفعولا به ثانيا لأعطى التي تنصب مفعولين.

ويقصد من يقولون: هذا الكتابُ إيّاه استعمالَ كلمة إيّاه للتوكيد. والصواب في هذه الحالة التوكيد بالاسْم أو العين، فنقول: الكتابُ نَفْسُه، أو عَيْنُه. ولا نقول إيّاه.

وتوكيد المرفوع بإياه خطأ شائع بالأخص في لبنان. ويروج في الأحاديث والكتب والإعلام السمعي والإعلام المرئي وينطق به خطأ حتى بعض الجامعيين.

أيٌّ وأيَّة

تأتي أيُّ أداةَ استفهام فنقول: أيُّ كتاب تدرس ؟ وجاءت في القرآن الكريم في عدة آيات منها قوله تعالي: قُل أيُّ شيء أكبرُ شهادة قُل اللهُ.

وتأتي أيّ أداةَ شرط جازمةً للفعلين المضارعين بعدها فتقول: أياً تذهبْ أُرافِقْكَ. وقد جزمت هنا فعلي الشرط والجزاء.

وقد تزاد بعدها "ما" فتقول: أيّما رجل فعل كذا فهو مسؤول عن عمله. وجاءت في القرآن الكريم في حالة النصب: أيّاً ما تدعو فله الأسماءُ الحُسنى.

وتأتي مفيدةً للإطلاق في الزمان أو المكان أو غيرهما. فنقول: اجلِسْ في أيِّ مقعدٍ تشاءُ. ومُرَّ عليّ في أيّ وقت تريدُ. وفي القرآن الكريم: "وما تدري نفسٌ بأيِّ أرض تموت"، وقوله تعالى: {في أيِّ صورةٍ ما شاء ركّبك}.

وتأتي صفةً للدلالة على الكمال فتقول: إنه لعالمٌ أيُّ عالمٍ وله شأنٌ أيُّ شأنٍ.

وتكون للنداء في صيغة "أيُّها" يتبعها المعرّف بأل: ووردت على هذه الصيغة كثيرا في القرآن الكريم: "يا أيُّها الناس" "يا أيُّها الذين آمنوا".

أما عن التذكير والتأنيث للكلمة فقد اتفق اللغويون على تذكير أيُّها، وتأنيثها (أيتهما) في صيغة النداء لتصبحا مطابقتين للاسم الذي يأتي بعدهما تذكيرا أو تأنيثا: "أيُّها الرجلُ وأيتها المرأةُ. وأيُّها السادةُ وأيّتُها السيداتُ".

وأرى أنه بعد أن وردت أيُّ في صيغة النداء مذكّرة في نداء المذكّر، ومؤنّثة في نداء المؤنث مما يفيد أنها قابلة للتذكير والتأنيث، فإن من الأفضل جعل جواز التذكير والتأنيث قاعدة تصبح به اللغة أكثر وضوحا وأجلى دَلالة، بدون أن يكون هذا واجبا، أي أني أقترح وجوب التذكير (حيث يجب التذكير) والتأنيث (حيث يجب التأنيث) في صيغة النداء فقط. أما فيما عداها فيجوز أن نذكّر ونؤنث على حسب ما يأتي بعدها.

وقد أقرت هذا بعض المجامع اللغوية، واتبعته المعاجم الحديثة. وعلى ذلك نقول: أيُّ رجل، وأيّةُ امرأةٍ. وأيُّ خطاب، وأيّةُ فكرةٍ.

وفي كتاباتي لا أتقيد بذلك بل أستعمل الوجهين، لكني لا أجعل من التذكير أو التأنيث واجبا بل أراه جائزا فقط. وذلك في غير صيغة النداء التي التزم فيها

اللسان العربي بالتذكير في موضعه والتأنيث في موضعه.

الباء "الطُّفَيْلِيَّة"

يُقْحَم حرف الباء غلطا بعد بعض الأفعال فيُقال: "عَلِمَ بأن الخبر قد شاع" و"قال بأن الاحتفال وقع يوم كذا" و"ذكر بأنه توصل بالاستدعاء" أو "ادعى بأنه لم يتوصل به" و"أخبر بأن فلانا كان حاضِرا" و"شَهِدَ بِأنّ" و"شَهِدَ بِأنّ" كما تُقْحَم الباء بعد أفعال أخرى.

والصواب حذف الباء. فتقول: "علم أن الخبر شاع" و"قال إن الاحتفال" و"ذكر أنه توصل" و"ادعى أنه لم يتوصل" و"أخبر أن فلانا" و"شَهِدَ أنّ" و"شَهِدَ أنّ".

وفي المشرق العربي يجري كثيرا على الألسنة والأقلام إقحام الباء بعد كلمة تفكير وما اشتق منه فيقال: "فكرتُ بكَ". و"إني أفكر بالقيام بهذا الأمر". و"لي تفكير بخصوص كذا" والصواب في جميع ذلك استعمال "في" بدلا من الباء. وقد جاء في القرآن: "أوَ لَمْ يتفكروا في أنفسهم" و"يتفكرون في خلق السموات والأرض".

ولأن الباء تُقْحَمُ خطأ بدون موجب فقد أطلقتُ عليها الباء الطُّفَيْلِيّة. لكن الباء لابُدَّ منها في "أقرَّ بأنه" و"اعترف بأنه" و"آمن بأنه أخطأ"، لأنها هنا تقوم بتعدية الفعل. وإذا كان الفعل غير لازم أي متعديا فلا لزوم لاستعمالها وهو ما جاء في القرآن: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" و"أيوب إذ نادى ربه أني مسَّني الضر" ونقول في الشهادتين: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله" ولا نقول: "أشهد بأن لا إله إلا الله، وبأن محمدا رسول الله".

باء التعويض أو البدلية

تفيد الباء – أحيانا– التعويض عن الشيء. وحينئذ يوضع المعوَّض عنها إثرها فنقول استبدل الكتاب بالجريدة. أي جعَل الكتاب عوضا عن الجريدة، ولو عكسنا وقلنا أستبدل الجريدة بالكتاب لكان المعنى جعل الجريدة عوضا عن الكتاب.

والكثيرون لا يميزون في ذلك فيضعون الباء في غير مكانها. ونقول: أستبدل الخمر بالماء نعني به من يُدْمِنُ على تناول الخمر حتى تصبح عنده عوضا عن الماء.

ونقول المريض يستبدل التيمم بالوضوء، ولو عكسنا وقلنا: يستبدل الوضوء بالتيمم لكان المفهوم هو أنه يتوضأ بدلا عن التيمم. وهذا غير ما يفعله المريض.

الباب مذكر لا مؤنث

يستعمل البعض خطأ لفظ الباب على أنه مؤنث. والأصح تذكيره. فنقول: وصل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي إلى الباب المسدود. لا المسدودة وفي القرآن: ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه ولم يقل دخلتموها.

ويقال: هذا بَابٌ يَعْسُرُ سَدُّهُ ويقال في لغة السياسة والاقتصاد: سياسة الباب المفتوح كما كان يطلق على القصر العثماني باستنبول اسم الباب العالي.

بَتَّ (تاء مُثَنَّاة) وبَثَّ (تاء مثلثة)

بَتَّ، يبُتُّ بَتّاً وبَتَّةً وبَتَاتاً الشيءَ قطَعه واستَأصَلَه. (والتاء في ذلك كله مُثَنَّاة). ونقول: بَتَّ فُلانٌ علاقَته بصاحبه أي قَطَعها وأنهاها. وبَتَّ القاضي الحكمَ في القضية المعروضة عليه أي حكم فيها وأنهاها. ويقال: بَتَّ في الأمر أي اتخذ فيه قراراً باتّاً أي قاطعا وحاسما. ونقول: بُتَّ الصيامَ من الليل أي نواه جزما.

ومن هذه المادة جاءت كلمة بَتاتاً فنقول: لا تراجُعَ في هذا القرار بَتاتاً أي بصفة نهائية قاطعة. والطلاق الباتُّ هو الذي لا رجعة فيه.

ومن نفس المادة جاءت كلمة ألْبَتَّة. وهي تفيد قطعاً ولا رجعة في الأمر. ونقول: هذا أمرٌ لا أهتمُّ به ألْبَتَّةَ أي مطلقا وبصفة نهائية. وكلمة ألْبَتَّةَ همزتُها قطعية أي يُنطق بها، وتُنصَبُ دائما على المصدر هكذا: ألْبَتَّةَ. وذلك على أرجح الأقوال فيها.

وانْبَتَّ الحبلُ يَنْبَتُّ انبتاتاً انقطع. ونقول: انبتّت علاقتُهما انبتاتاً ولم يعُدْ بينهما اتّصالٌ. والمُنْبَتُّ هو من انقطع به الطريقُ وضلَّ وضاع.

ومن أمثال العرب: هو كالمُنْبَتِّ لا أرضاً قَطَعَ ولا ظَهْراً أبْقَى. ويُضْرَب لمن لا يتقدم في أمر، ويسير بدون فائدة، ولا يريح نفسه بأخذ خيار واحد.

بَثَّ يَبُثُّ بَثّاً (تاءٌ مثلّثة) فرَّق ونشَر وأذاع وأشاع

ونقول: بَثَّ فلانٌ السِرَّ أي فضحه وأشاعه بين الناس. وبثّت الشرطةُ أعوانها لمتابعة الناسِ أي نشرتهم ليطّلعوا ويسمعوا. ونقول: البَثّ الإذاعي أو التلفزيونيّ. وتَبُثّ الإذاعةُ أو التلفزةُ البرنامجَ في ساعة كذا ونقول: أجهزة البثّ.

وبَثَّ بمعنى نَشَرَ هو ما جاء في قوله تعالى: {وخلق منها زوجها وبَثَّ منهما رجالاً كثيرا ونِساءاً}. وفي قوله تعالى: {ومِنْ آياته خَلْقُ السموات والأرض وما بَثَّ فيهما من دابة}.

البَرد القارس لا القارص

لا معنى لوصف البرد بالقارص (بالصاد): فالفعل من اسم الفاعل هذا هو قَرَصَ يقرُصُ قَرْصا: إذا لَوَى عليه بأُصبُعه وآلمه. ويقال أيضا قَرَصَ العجينَ إذا ضغط عليه ليبسطه ويسْهُلَ جمعُه.

أما البرد فيكون قارسا (بالسين) عندما يشتدُّ حتى يعجز من يعمل بيديه عن استعمالهما ونقول: قَرِسَ البردُ يديه.

وفعله الرباعي أقرَسَ يُقرِسُ يفيد نفس المعنى. ونقول: أقرسَ البردُ أصابعَهُ فالبرد مُقْرِس، كما نقول قارِس، ونقول: يومٌ قارسٌ، أي شديد البردْ.

بَلْهَ فعل كذا

يشيع هذا التعبير الخاطئ في لغة الإعلام فيقال لم يفعل كذا، بَلْهَ فَعَل كذا.

والصواب استعمال بَلْ.

أما بَلْهَ فهي اسم فعل أمرٍ بمعنى دَعْ، واترُكْ. وهي تجر الاسم بعدها. ويقال: "تشابك العروبة والإسلام في نفوس بعض المفكرين، بَلْـهَ جمهـورِ (بكسر الـراء) العرب المسلمين: أي أنهما يتداخلان في نظر المثقفين، دَعْكَ عن الجمهور، فإنهما عنده أكثر تشابكا وتداخلا.

ابقَوْا معنا (بفتح القاف)

عندما يقطع التلفزيون الحديث عن موضوع ليقدِّم بدلا عنه فاصلا إشهاريا (مثلا) يتوجه المشرف على البرنامج بهذا الطلب إلى المشاهدين قائلا: "سنعود إليكم بعد الفاصل فابقُوا (بضم القاف) معنا". وهذا خطأ صوابه فابقَوْا (بفتح القاف) معنا.

وسمعت في بعض المحطّات هذا التعبير: "لن يتخَلُّوا عن مواقفهم" والصواب "لن يتخلَّوْا" ويقال: "خمسون شخصا لَقَوْا (بفتح القاف) حتفهم. والصواب لَقُوا (بضم القاف).

كما يقال: نَسَوْا والصواب نَسُوا، وخَشَوْا والصواب خَشُوا وفي عَمِيَ نقول عَمُوا (بالضم) ولا نقول عَمَوْا (بالفتح).

وضبْطُ هذه الأفعال بحركات مختلفة يخضع لقاعدة صرفية لها تفاصيلها في كتب قواعد الصرف. وهي هنا أفعال ناقصة آخرها حرف علة. وهي مسندة لضمائر الرفع فَلْيُرجَع إليها للإحاطة لأننا نصحح الأخطاء ولا نعلِّم قواعد النحو والصرف وإن كنا نشير أحيانا إليها باختصار شديد حتى لا نخلط بين التصحيح والتعليم.

البَوَّابة

ودخلت في لغة الإعلام والسياسة كلمة البَوَّابَة فيقال: "المغرب بوّابَة

لأوروبا. وبُوّابَةٌ على المحيط الأطلسي. والفقيه الفلاني دخل الاجتهادَ في الفقه من بَوّابَةِ تخصُّصِهِ في الشريعة ودخل السياسةَ من بَوّابَةِ النضال الوطني.

والأصل في البَوّابَة أنها الباب الكبير، أو مدخل العمارة الكبيرة، وحارسها يُطلَقُ عليه البَوّاب.

تَجارِب لا تَجارُب

ويتسرَّب إلى العربية من لهجاتها المحلية كلماتٌ يَنطِق بها البعضُ خطأ كما يُنطَق بها في اللهجات التي يصفها البعض بالعامية.

ومن بينها كلمة تجارُب (بضم الراء) كما يُنطَق بها في اللهجة المصرية. وهي جمع تجرِبة (بكسر الراء) ولا يأتي الجمع من تجرِبة على وزن تفاعُل (تجارُب) لكن من ينطقون بالكلمة مضمومة الراء في الجمع يقولون خطأ كذلك تجرُبة في المفرد. والصواب تجربة (على وزن تفعِلة كتَكْمِلة) وتجارِب (على وزن تفاعِل).

واللهجة المصرية تميل في عدد من الكلمات إلى وضع الضمة بدلا من الكسرة أو الفتحة. إذ يقال التُّجارة (بضم التاء) بدلا من التِّجارة (بكسر التاء).

كما تضع اللهجة المصرية الضمة بدل الفتحة على أول الكلمة في لفظ خَسارة، إذ يقال خُسارة.

وتجرِبة بكسر الراء على وزن تَفْعِلة مصدر قياسي مثلها مثل تعبئة، وتقوية، وتزكية. لكن صيغ مصدر فعل هَلَك على وزن تهلُكة بضم اللام. وهذا نادر: ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلُكة (قرآن كريم). لكن وزن تَهلِكة بكسر اللام ورد في مصدر هلك أيضا.

ولأن مصدر تفعُلة نادر فقد سماه بعض النحاة اسم مصدر وليس مصدراً فهذا وزنه هو تَفْعِلة.

وقرأ الخليل بن أحمد الفراهيدي مؤلف أول معجم عربي اسمه العين وواضع علم العروض التهلُكة في الآية أعلاه بكسر اللام.

تساقُطات ورَذاذ

شاعت كلمة تساقُطات في النشرة الجوية للدلالة على نزول أمطار غير غزيرة.

ولم يدخل هذا اللفظ المعاجم العربية، ولا أعلم أنه أقرته مجامع اللغة العربية لحد الآن للدلالة على المطر الخفيف.

نعم إن فعل تَساقَط مَصُوغ على وزن تَفَاعَلَ الذي يفيد التتابع والتنامي. وبالتالي إذا قلنا تَساقَط المطرُ فذلك يعني أن المطر امتد سقوطه وتتابع وتنامى، أي كثُر. وهو بذلك يدل على الكثرة لا على خفة المطر وقلته.

ونقول: تَساقَط الشخصُ وهو ماشٍ على قدميه أي زلَّت قدماه وانهار، أي سقط على الأرض. وعليه فالصواب: سقطت أمطارٌ ونُتبع الأمطار بنعت يكشف حجمها. فنقول سقطت أمطارٌ غزيرةٌ، أو منهمرةٌ، أو خفيفةٌ. أو سقطت قطَراتٌ مَطَرِيَّة.

ويحسن عند استعمال تساقطات أن ننعَتها على الأقل بنعت مَطَرِيَّة ليُفهم المراد منها. لكني أوصي بعدم استعمالها لما ذكرتُه من قبل. والأحسن القول: نزلت أمطار.

والعرب يطلقون على المطر الخفيف اسم كلمة رَذاذ. ونقول. هذا الرَّذاذ يُنذِر بمطر مُنهمِر.

كما يُطلق لفظ غَيْث على المطر المفيد للحرث. لأنه يُغيث الله به عباده إذ ينعمون بآثاره الطيبة. وهو أيضا غَوْثٌ من الله.

وفي القرآن: "وهو الذي يُنَزِّل الغَيْثَ من بعد ما قَنَطوا وينشرُ رحمَتَه". ومن أقوال العرب: "وأول الغَيْث قَطْرٌ ثم يَنْهَمِرُ". وهو نصف بيت شعري.

ومن دقائق اللغة العربية أن الغيث يُستعمَل فيَ خير ما يَنزِل من السماء. أما استعمال "مطر" بصيغة الإفراد فكثيرا ما يأتي للدلالة على الماء الذي يأتي بالفيضانات والكوارث. ولا يفيد هذا المعنى بصيغة الجمع. فالأمطار على ذلك غير المطر. الأمطار محمودة العاقبة. والمطر له عواقب وخيمة. وفي القرآن الكريم: "فأمطرنا عليهم مَطَرًا فساء مطر الْمُنْذَرين". وفيه أيضا: "وأمطرنا عليهم حِجارة من سِجِّيل".

ويقال على سبيل المجاز: "أمْطَرَ فلانٌ فلانا بوابل من الشتائم" و"أمْطَرَه لَوْما ونقداً".

وبعض المعاجم ذكرت خلاف ما ذكرته أعلاه. لكن منهجيتي في كتابة هذه الحلقات هو اعتماد الأصوب والأرجح بدلا من استعمال الشاذ والضعيف. كما ينبغي تجنب المترادف حتى تتوحد اللغة العربية على كلمات واحدة. خاصة وكل مترادف له ما يميزه عما يبدو أنه نظيره. وقد أنكر بعض علماء اللغة وجود المترادف.

التضافر والتظافر

ينطق من لا يميزون بين الضاد والظاء بالكلمتين أعلاه بضاد مُعجمَة ولا ينطقون بالظاء المُشالة، أو يستعملون إحدى الكلمتين بدلا عن الأخرى. والصواب التفريق بينهما.

ضفَر يَضفِر ضَفْرا الشَّعَرَ ونحوَه جَمَعَه وضمَّ بعضَه إلى بعض وجعله ضَفائِر وهذا جمعٌ مفردُه ضَفِيرة، أي الخَصْلة من الشعَر المضفورة بربْطها مع الضفائر المماثلة.

وعلى ذلك فالمعنى هو الربط والجمع بإحكام. من أجل ذلك نقول: "تضافرت الجهود". و"تضافرت الأدلة على إدانة المتهم". و"وقف الشعب متضافرا ضد كذا".

أما تظافر (بالظاء المُشالة) فاشتقاق كلماتها من الظَّفَر أي النصر والحصول على المراد. وتُستَعمَل في تبادل النُّصرة، فنقول: "تظافرت شعوب

المغرب العربي على مواجهة الاستعمار الفرنسي وانتصرت عليه". أي تناصرت وتعاونت وساعد بعضُها بعضا. وأظفار اليد تتعاون فيما بينها لمساعدة الكف على اللمس والحركة.

تقييم وتقويم

فعلا الكلمتين هما قيَّم، وقوَّم. وقوَّم تفيد إعطاء قيمة أو ثمن للشيء. ويأتي فعل قوَّم بمعنى أصلحَ المعوجَّ أو عدَّله ليصبح أو يعود مستقيما لا عِوَجَ فيه. ومصدره تقويم.

وجاء في القرآن الكريم: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويمٍ ثم رددناه أسفلَ سافلين".

وفي خطبة عمر جاء قوله: "إن رأيتم فيَّ اعْوِجاجاً فقوِّموني". وردَّ عليه من قال: "والله لو رأينا فيك اعْوِجاجا لقوَّمناك بسيوفنا".

والمعاجم الحديثة تعطي لكلمة التقويم (بالواو) معاني شتى: فهو "سجلٌ يبين أيام السنة موزعةً على شهورها، مع ذكر أيام العطل وأوقات الصلاة إلى غير ذلك". فنقول: "التقويم الميلادي، والتقويم الهجري". والتقويم الجغرافي هو خريطة للأقطار يُعنَى فيها خاصة بذكر طول البلدان وعرضها وخصائصها الجغرافية.

والمعاجم مُحدَثها وقديمها مُجمِعة على أن قيَّم (بالياء) يعني قدَّر القيمة. ومصدرها التقييم. وبعض الألسنة والأقلام لا تفرق بين الكلمتين وتعتبرهما مترادفتين.

ولأن منهجيتي في هذه التصحيحات هو التفريق بين ما يبدو مترادفا ليبقى كلُّ لفظ معيَّن دالاً على معنى معين فإني أميز بينهما. لذا أنصح باستعمال لفظ التقويم في تعديل المعوَجّ، وفي إعطاء القيمة المادية ثمنا أو سعرا. وتخصيص كلمة التقييم للدلالة على فحص لمحتوى شيء أو عمل ما واستخلاص سلبياته وإيجابياته، ونقده، أي تمحيصه للحكم له أو عليه. نقول: "قام الناقد بتقييم الكتاب".

وهكذا نقول: "قام البرلمان بتقييم عمل الحكومة طيلة الدورة التشريعية، وطلب إلى الحكومة أن تقوم بتقويم سياستها الاقتصادية".

ونقول: "قامت الحكومة بتقويم سياستها النقدية، بعد أن قام البرلمان بتقييم لهذه السياسة ونصح بتقويمها حفاظا على استقرار العُمْلة".

تَكَاتَفَ، وتكاثَفَ

الفعل من تكاتف هو تَكاتَفَ يَتكاتَفُ تَكاتُفا القَوْمُ إذا تضامنوا وتَقَوَّت روابطهم وتساعدوا وتلاقَوْا في علاقة مرتبطة متلاصقة تلاصق أجزاء الكَتِف (لاحظوا أن تاءها مثناة).

ونقول: "تُتَكاتَفُ فصائل الشعوب في السرّاء والضرّاء، لكن تكون في حالة الخطر أشدُّ تكاتُفاً".

والفعل الثلاثي هو كَتَف يَكْتِف كَتْفاً الشخص شدَّ يديه إلى خلفه وأوْثقَه. ونقول: "استَسْلَم الجنديُّ في ساحة الحرب فأخذوه وكَتَفُوه وأسَرُوه".

وجميع المشتقات تدل على الربط الشديد الذي يصعب فَكُّه. وأقول دائما: إن اطراد المعنى المشترك في اشتقاقات الكلمات ذاتِ الأسرة الاشتقاقية الواحدة من فرائد اللغة العربية.

أما تكاثف بالثاء المثلثة، فالمعنى المشترك بين مشتقاته هو الكَثْرة، وغِلَظ الجسم، وتداخل أجزاء الشيء الواحد.

كثف يَكْثُفُ كثافةً الشيءُ غلُظ وتداخل ونقول: كثُف السحابُ مؤذِنا بنزول المطر. كما نقول: تكاثف السحابُ، أو الضَّباب.

ونقول: تزايدت كثافة السكان أي ارتفع حجمهم.

ونقول: يتلقّى التلاميذ قُبَيْلَ الامتحانات دروسا مُكثَّفة.

من أجل ذلك كله يبدو لنا الفرق بين التّكاثُف الدال على شدة الترابط، والتكاثف الدال على الغِلَظ والتداخل بين الأجزاء. لذا ينبغي نطق التاء في تكاثف بنقطتين، وفي التكاثف بثلاث نقط، وعدم خلطهما لا لفظا ولا معنى.

الثاء والتاء

قلَّ أن يُنطق في المغرب العربي بالثاء المثلَّثة، أي ذات النقط الثلاث. بل يُنطق بها تاءً مثناة أي ذات نقطتين، ويَغْلِب على الألسنة النطق بالتاء في موضع الثاء حتى لا تكاد الثاء تُستعمَل إطلاقا.

أما في المشرق العربي فالمثقفون في أغلبيتهم يحرصون على النطق بكل واحدة منهما كما يجب أن يُنطَق بها.

ويترتب على عدم التمييز بين الحرفين التباس يؤدي إلى نطق بعض الكلمات التي تتضمن أحد الحرفين خطأً.

ثَمَّةَ، هناك

ثَمَّةَ اسم إشارة للمكان البعيد. وهناك مرادفة لها. فالجمع بينهما في تعبير واحد تكرار لا مبرر له. لكني سمعت في بعض محطات الإذاعة من يجمع بينهما في نسَق واحد، فيقول: وثَمّتَ هناك ما يدُلّ على ذلك.

ولفظ ثمةَ لا يتغير لأنه ظرف مكان مبني على الفتح. فتبقى التاء الأخيرة منه مفتوحة. ولهذا اللفظ مرادف آخر هو ثَمَّ. وقد جاء في القرآن الكريم: وإذا رأيت ثَمَّ رأيتَ نعيما ومُلْكا كبيرا.

وقد يأتي قبل ثَمَّ حرف مِن (وهي حرف جر)، لكن لكـون ثَـمَّ مبنيا علـى الفتح لا تعمل فيه مِنْ. ونقول: "ومِنْ ثَمَّ حصل ما حـصل". فيـصبح معناهـا لهـذا السبب حصل ما حصل.

ولا علاقة بين ثَمَّ (بفتح الثاء والميم المفتوحة المشدَّدة) وبـين ثُـمَّ (بـضم الثاء وفتح الميم المشدَّدة) فهذا حرف عطـف يـدل علـى الترتيـب والتراخـي (تباعد الفرق الزمني). ومثالها من القرآن قوله تعـالى: {وبـدأ خَلْـق الإنـسان مِنْ طين، ثم جَعَل نسْلَه من سُلالةٍ من ماءٍ مَهِين، ثـم سَـوَّاه ونفـخ فيـه مـن روحه}.

جَرْح وجُرْح

الجَرْح (بفتح الجيم) غير الجُرح بضم الجيم. الجَـرْح مـصدر جَـرَحَ يَجْـرَح جَرْحا إذا أحدث شَقًّا في البدن.

ويُستعمَل كذلك في الشَّق المعنوي فنقول: "جَرَحَ كِبريـاءَه" أي أهانـه. و"جَـرَح عواطفَه" أي أساء إليه بقول أو فعل يجعلان عواطفه تتألم.

ويأتي بمعنى كسَبَ وفَعَل الشيءَ. وفي القرآن الكريم: "وهـو الـذي يَتوفَّـاكم بالليل ويعلم ما جَرَحْتُم بالنهار".

والمصدر من هذه الأفعال جميعهـا هـو الجَـرْح (بفـتح الجـيم) نقـول: "قـام الجَرَّاح بجَرْح المريض". و"ارتكب الجاني جُنحة الجَرْح". و"جَرَح فلانٌ أصبُعَه جَرْحا بدون انتباه". فأما الجُرْح (بضم الجيم) فهو ما يتركه الجَرح من أثر علـى موضـع الجَرْح: نقول: "أصيب أحد المتظاهرين بجُرْح أثناء المواجهـة مـع رجـال الأمـن". و"تُسبِّب حوادثُ السير الموتَ أو الجُرحَ".

ويُجمع الجُرح على جُروح: "دخل المستشفى وهو مُصاب بجُروح".

جَسُّ النَّبَض

والصواب النَّبْض بسكون الباء لا بفتحها فقد سمعت في بعض الندوات بالمشرق العربي

الفعل هو نَبَض يَنْبِض نَبْضا (بسكون الباء) ونَبَضاناً العِرْقُ إذا تحرك وضرب فهو نابضٌ (النَّبْض إذن مصدر). ويُطلَق على الحركة النابضة لفظ نَبْض فيقال: جسَّ الطبيبُ نَبْضَهُ كما يسمى المَنْبِض.

ونقول قلبٌ نابضٌ بالحركة، وفكرٌ نابضٌ بالعطاء، وفلانٌ نَبْضُ الفؤاد، أي ذو ذكاء متوقِّد.

جَلَبَة (بفتح الجيم واللام)

وتعني الصِّياح والمَرْج. ومثل نَسَمة فإن جَلَبَة تُجمَع على جلَب (بحذف تاء التأنيث) وعلى جَلَبات. ونقول وقع انفجارٌ هزَّ المدينة وعَلَت من بعيد جَلَبَةٌ وضوضاء أو جَلَبٌ في صيغة الجمع.

جمع المقصور وتثنيته

جاء في قواعد النحو أن:

- المقصور مثل (فتْوَى، ومُستوى، ومُشترَى) يُثنى بزيادة ألف ونون في حالة الرفع، وياء ونون في حالتي النصب والجر مع قلب الألف ياء إن كانت رابعة فصاعدا وردِّها إلى أصلها إن كانت ثالثة.
- والمقصور يُجمَع جمعَ مذكرٍ سالما بزيادة واو ونون، أو ياء ونون في آخره، مع حذف ألفه وإبقاء الفتحة قبل الواو أو الياء.
- ويُجمع المقصور جمعَ مؤنث سالما بزيادة ألف وتاء في آخره. ويُتَّبع في جمعه ما اتُّبِع في تثنيته.

وفيما يلي أمثلة:

جمع المؤنث وجمع المنسوب بالياء

لا يفرق البعض بين طريقة جمع المؤنث (أي جمع كلمة مفردها مؤنث) وبين طريقة جمع المؤنث المنسوب مفرده بياء النسب ويجهلون الفرق بينهما.

وفيما يلي نمثل لذلك بأربع كلمات يجريها البعض على الألسنة كما لو كان لها معنى واحد.

المثال الأول: حاجات وحاجيات

الحاجات جمع حاجة (وهو جمع قياسي، أي يدخل في قاعدة جمع المفرد المؤنث بالتاء جمعا سالما على الصيغة المذكورة: حاجات.

والحاجة ما يتوقف عليه الإنسان ويحتاج إليه. ونقول في ذلك: "لي عندك حاجةٌ أرجو منك قضاءها". ونقول: "ينطق بعض المذيعين بأخطاء لغوية هي في حاجة إلى التصحيح".

ومن الأمثال أو الحكم المشهورة:"الحاجة أمّ الاختراع"، وقولهم: "الحاجة تُفتّق الحيلة". وهما مثلان حديثان قد يكونان ترجمتين لشبيهتهما في لغات أجنبية تقول: "الضرورة أم الصناعة".

وجاء في القرآن الكريم: "إلاّ حاجةً في نفس يعقوب قضاها". وجاء فيه أيضا: "ولكم فيها منافعُ ولتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم". كما جاء في القرآن: "ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا".

ويُنسَب إلى لفظ الحاجة بياء النسب فنقول الحاجي. ونجمعه على حاجيات. لكنني أرى أن الحاجي غير الحاجة، إذا الحاجي اسم صفة والحاجة لا تفيد الوصف. وعليه، وحتى لا نقع في المترادف الذي لا يقول به بعض علماء اللغة - وأنا منهم- أرى أن نفرق بين الحاجة والحاجي وبالتالي بين الحاجات والحاجيات.

وقد نبهت بعض معاجم اللغة العربية الحديثة إلى أن عدم التفريق بينهما مستحدَث في العربية وليس أصيلا.

أقترح أن نفرق بينهما في الاستعمال. فنقول مثلا: "في السوق من البضاعة ما يكفي حاجات السكان". ونقول: "هذا يدخل في الحاجيات التي يصعب قضاؤها في الوقت الراهن".

الحاجيات بالمعنى الذي حددتُه غير الحاجات. وهذا يساعد على توحيد اللغة وتدقيق دلالات ألفاظها، وتميز مفرداتها بعضها عن بعض، في سعي مني إلى إبعاد فوضى الاستعمال عن اللغة العربية. وهي فوضى لا يوجد لها نظير في لغات أخرى وأتمنى أن تنتهي هذه الفوضى.

أنا أختلف في المنهج مع من قد يَرُدُّون عليّ فيقولون إنهم عثروا في معاجم اللغة على ما يفيد تطابق معنى الحاجات مع الحاجيات. فهذا هو الذي أدعو إلى تغييره وإنقاذ اللغة من فوضاه.

المثال الثاني: إمكانات وإمكانيات

كل ما ذكرته أعلاه عن حاجات وحاجيات ينطبق على إمكانات وإمكانيات. فحينما نتحدث عن إمكانات حاضرة مشاهَدة أو مُتَحدَّثًا عنها، علينا أن نستعمل المصدر العاري عن النسبة (إمكان، وإمكانات). وحين نتحدث عما من شأنه أن يدخل في الإمكان والإمكانات مما هو مُفْتَرَض إلحاقه بهما أو نسبته إليهما نقول الإمكانيات.

المثال الثالث: ضرورة، ضرورات ، ضروري، ضروريات

الضرورة ليست في نظري هي الحاجة التي يفيد لفظها ما يحتاج المرء إليه. بل الضرورة هي الحاجة المُلحّة التي لا غنى عنها. (هكذا أفرق فيما يخصني بين المترادفات إغناء وتدقيقا لمعاني اللغة).

وتجمع الضرورة على ضرورات: ونقول في أحكام الشرع: "الضَّرورات تُبيح المحظورات". فلا يُفطِر الإنسان في رمضان إلا للضرورة وليس لمجرد الحاجة إلى الطعام أو الشراب.

وإذا تجاوزت الحاجة الشدة المحتمَلة: نسميها الضرورة وننعتها بوصف كاشف، فنقول: "فعَل ذلك تحت ضغط الضرورة القُصوى".

وما نصفه في الأحكام بالشرعي يصبح ضَرورة لأنه لا تجوز مخالفته. فنقول: "هذا الحكم معلوم من الدين بالضَّرورة". ونقول: "يُكَفَّر من أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة"، أي ما ورد بشأنه حكم شرعي ثابت الدلالة، أي دلالته قطعية غير محتملة للتأويل.

أما الضَّروري فيعني ما تمس إليه الحاجة ولا يمكن الاستغناء عنه. ويقابله الكَمَالي. ونقول: "كانت السيارة مطلبا كماليا وأصبحت اليوم ضرورية".

وكما نبهنا إليه في مثالي الحاجات، والحاجيات، والإمكان والإمكانيات يحسن التفريق أيضا بين الضرورات، والضروريات: الصيغة الأولى للدلالة على اسم يصبح في الصيغة الثانية صفة عندما تختمه ياء النسب.

المثال الرابع: سُلوكات وسُلوكيات

السلوكات جمع سلوك. والسلوكيات جمع سلوكي. ويجري على هذه الكلمة ما يجري على الأمثلة الثلاثة السابقة.

جمع سُلوك على سُلوكات مثله مَثل جمع شرح، على شُروح، وشُروحات. وجمع فَهم على فُهومات. وجمع سلوكي على سلوكيات، مثل جمع ضروري على ضروريات، وبَديهي على بديهيات.

لكن لا بد أن نلاحظ للتفريق بين الجمعين وجودَ ياء النسب في المفرد. وعلى ذلك نقول: "هذا الشخص ذو سلوكات غريبة" ونقول: "وللمذاهب الباطنية

سلوكيات تنفرد بها" ونقول فلان يتظاهر بحسن سُلوكه أو سُلوكاته... لكنه ينتمي إلى مجموعة تُنسَب إليها سلوكياتٌ مذهبيةٌ مُريبة.

الجملة المعترَضة، والإضافة، والنسبة بالياء

تُرد أخطاء على بعض الألسنة والأقلام في استعمال الجملة الاعتراضية (أو الجملة المُعتَرَضة) بوضعها في غير موضعها، وفي الإضافة بدون وجود مضاف إليه، وفي النسبة بالياء إلى مفرد مؤنث بالتاء.

وفيما يلي أمثلة لذلك:

الجملة المعترَضة: توضع الجملة المعترَضة في غير موضعها فتفصل خطأ بين المضاف والمضاف إليه ويقال مثلا: "لا يمكن تصورُ – ولو بمجرد التفكير – هذا الوضع"، إذ نلاحظ في هذا التعبير الخاطئ أن كلمة تصوُّرُ بقيت بدون تنوين، لأن المراد الإضافة. وجاءت إثرها الجملة الاعتراضية (ولو بمجرد التفكير). ثم تلاهما المضاف إليه (هذا الوضع) الواقع في محل جر لأن المضاف إليه إما مجرور أو في محل جر. وهذا تحريف واضح للقواعد النحوية. وصواب العبارة أن يقال: "لا يمكن تصور هذا الوضع ولو بمجرد التفكير".

وتأتي الجملة الاعتراضية في غير موضعها خطأ أيضا حينما تفصل بين حرف الجر والمجرور. فيقال مثلا: "لا على مستوى الواقع ولا على –وهذا هو الأهم– مستوى التطبيق".

والصواب أن تأتي هذه الجملة في النهاية وليس في الوسط حتى لا يُفصل بين حرف الجر والمجرور، ويقال إذن: لا على مستوى الواقع ولا على مستوى التطبيق وهذا (أو هذا الأخير) هو الأهم.

كما يقال أيضا: "وجهت التشريفات (أو المراسم) دعوةً –هذه المرة– من الملك أو الرئيس نفسه" فهنا يحسن اجتناب الفصل وتأخير "هذه المرة" إلى ما بعد عبارة "الملك (أو الرئيس) نفسه".

جَنوب (بفتح الجيم لا بضمها)

يَضُمُّ البعض في المشرق العربي خاصةً الجيمَ في كلمة الجَنوب وهو خطأ. والجنوب الجهة المقابلة للشَّمال. ويطلق أيضا على الريح التي تَهُبّ من ناحية الجَنوب ونقول: "هَبَّت الرياحُ جَنوباً".

وننْسُب إلى الجَنوب بياء النسب فنقول جَنوبي: أمريكا الجَنوبية "دولة جَنوبيّ إفريقيا" وفي كل ذلك لا نضع الضمة على الجيم.

أما الجُنوب (بضم الجيم) فهو جمع جَنْب، أي الناحية، أو الجهة. وورد في القرآن مفردُ جَنْب في قوله تعالى: {يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ في جَنْب الله}. أي في جانبه وحقه.

جَنوبيَّ لا جنوبَيْ

كثيرا ما نسمع ونقرأ كلمة جَنوبيٌ محرّفة، ويُنطق بها خطأ جَنوبَيْ في صيغة المثنى مما قد يبدو معه أن المقصود هو جَنوبان (مثنى جنوب)، والصحيح هو جَنوبيٌ فنقول يوجد هذا الشيء جَنوبيَّ البيت، أو العالم الثالث يقع جنوبيَّ الكرة الأرضية وهو منصوب على الظرفية المكانية.

حافَة (بفتح الفاء) وحافّة (بتشديد الفاء المفتوحة)

سمعت في بعض الإذاعات بالمشرق العربي استعمال كلمة الحافّة (بفتح الفاء وتشديدها) في هذا التعبير: "انزلَقَ إلى حافّة الهاوية" والصواب النطق بالفاء المفتوحة مخفّفة. ويُنطق بالكلمة في بعض اللهجات كذلك.

والمدُّ في حافة أصله واو، والفعل الذي جاءت منه هو حاف يحوف، والأصل حَوف، والحافَة هي الجانب أو الناحية. والسير عليهما ينبغي أن يكون بحذر بخلاف السير في الوسَط.

أما الهاوية ففعلها هَوَى يَهْوِي هُوِيا وهَوَيانا. ويعني سقط من علو. والهاوية هي الحفرة العميقة التي يَهْلِك ويُصابُ من يقع فيها. وأُطْلِقَت في القرآن على جهنم فقد جاء فيه: "وأما من خَفَّتْ موازينُهُ فأمُّهُ هاويةٌ. وما أدراك ما هِيَهْ. نار حامية".

أما الحافَّة (بتشديد الفاء) ففعلها حَفَّ يحُفُّ إذا أحاط بالشيء. والحافَّة هي طرف الشيء بدون أن يكون هو المحيط بالهوَّة أو الهاوية. ولذلك نقول "سقط من حافَة الهاوية ووقع فيها" أي في الهاوية.

الحَدَب ليس هو الحدْب

من كل حَدَب (بفتح الدال) يقال "جاءوا من كل حَدَبٍ" بفتح الحاء والدال. لكن سمعت في بعض الإذاعات والتلفزات بالمشرق العربي من يسكِّن الدال. وهو خطأ.

الحَدَب هو الغليظ المرتفع من الأرض. يقال "جاءوا من كل حَدَبٍ" أي كل مكان. وفي القرآن الكريم: "وهم من كل حَدَب يَنْسِلون" أي يُسْرِعون من كل مرتفَع. وكثيرا ما يُعطف بالواو لفظ صَوْب على لفظ حَدَب. ويقال "جاءوا من كل حَدَب وصَوْب". والصَّوْب هو الاتجاه أو الجهة، أي جاءوا من كل مكان، وكل اتجاه أو جهة.

وأظن أن صَوْب إنما يستعمل في هذا التعبير بعد حَدَب للدلالة على التعميم. ويُحتفَظ بالتعبير كما هو فيتقدم الحَدَب ويُعطَف عليه بصَوْب، حتى يكاد يشبه المثل الذي لا يتغير لا شكله ولا لفظه ولا ترتيب كلماته.

ومصدر حَدَب فِعْله هو حَدِب (بكسر الدال) يَحْدَب حَدَبا أي عطَف. ونقول: "علينا أن يشمل حَدَبنا (أي عطفنا) الطبقة المحرومة".

حرَص (بفتح الراء) لا حَرِص بكسرها

حَرَص بفتح الراء يَحْرِص ينطق بها البعض في الماضي بكسر الراء. والأصوب فتح الراء في الماضي وكسرها في المضارع. مثلما نقول ضرَبَ يَضْرِب.

وذكَر هذا الخطأ الكسائي (في القرن الثاني الهجري) في كتابه المعنوَن: "ما تَلْحنُ فيه العوامْ". وما يزال هذا اللحن شائعا إلى اليوم.

وقد جاء في القرآن بصيغة الماضي مفتوح الراء: "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حَرَصتُم". وفي قوله تعالي: "وما أكثر الناس ولو حَرَصْتَ بمؤمنين". وجاء مكسور الراء في صيغة المضارع في قوله تعالى: {إن تحرِصْ على هُداهم فإن الله لا يهدي من يُضل وما لهم من ناصرين}.

وجاء مكسور الراء على صيغة الأمر في الحكمة القائلة: "احْرِصْ على الموت تُوهَبْ لك الحياة".

ومصدره الحِرْص (بكسر الحاء). ومنه جاء وصف حريص على الشيء. ونقرأ في القرآن: "لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ حريصٌ عليكمْ بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمْ".

حُزْمَة (بضم الحاء لا حَزْمَة بفتحها)

الحُزْمة ما جُمِع ورُبط من كل شيء. ونقول: "حُزْمَة من الحَطَبْ". و"حُزْمَة من الأوراقْ". ولا نقول: "حَزْمَة من الناس" بل مجموعة. وفي جمع معاني هذه الكلمة تبقى الحاء مضمومة لا مفتوحة، وتُجمَع جمعا قياسيا على حُزَم (وزن فُعَل جمعا لفُعْلة) كنُخْبة ونُخَب وجُرْعَة وجُرَع، وعُقْدَة وعُقَد.

وتطلق الحُزمة في ترجمة لنظيرتها بالإنجليزية (Package) كما تترجم هذه الكلمة إلى رُزْمة.

وتنشر بعض الصحف ضمن أبوابها تحت عنوان حزمة أخبار، وأنصح بأن توضع الضمة على الحاء حتى لا ينطق بها القارئ بالفتح.

والمتفاوضون الفلسطينيون رددوا قبولهم لخطة ميتشيل على أن يكون التعامل معها رُزْمة أو حُزْمة واحدة.

حَسْب وحَسَب

يتردد على ألسنة بعض العاملين في الإذاعة والتلفزة المغربيتين قولهم: "وإليكم أذان الصلاة حسْب (بسكون السين) توقيت الرباط وسلا" والصواب حَسَب (بفتح السن).

لكلٍّ من حَسْب وحَسَب معنى. حَسْبُ تفيد معنى كافٍ أو يكفي. وفي القرآن الكريم: "حَسْبُنا اللهُ ونعم الوكيل" وقد تكرر هذا التعبير في آيات أخرى.

وحسْب (بالسكون) تأتي بمعنى لا غير تُبْنَى على الضم في آخرها فنقول: "حصل التلميذ في الامتحان على نقطتين فَحَسْبُ، أو وَحَسْبُ".

أما حَسَب (بفتح السين) فمعناها بمقدار، أو بمقتضى حساب كذا. وفعلها هو حسَبَ يَحْسُبُ حِساباً وحُسْباناً أي عَدَّ وأحصى.

وعلى ذلك فَحسَب أي بمقدار، ومقتضى حساب، هو الأليَق بالتوقيت. فنقول: "إليكم أذان الصلاة حسَبَ التوقيت الفلاني".

وتدخل أحيانا على حَسَب حرف الباء، أو على، أو ترتبط بها كلمة ما. فنقول: "وقع ذلك بَحَسَب ما بلغني، أو على حَسَبِ ما بلغني. أو حسَبَما بلغني".

لم تفرق بعض المعاجم –وهي قليلة– بين ضبط سين هذه الكلمة، وأجازت ضبطه بالسكون أو الفتح. ومنهجيتي في هذه الحلقات تفضل أن نضبط الكلمات ضبطا واحدا ما أمكن تحديدا للفوضى اللغوية التي تعانيها العربية.

حِقْبة (بكسر الحاء لا حُقْبة أو حَقْبة)

الحِقْبة مدة من الزمن لا حدَّ لها بِقِصَر أو طول. وجمعها جمعا قياسيا هو حِقَب، إذ وزن فِعْلة (في المفرد) يأتي على فِعَل. مثال نِعْمة ونِعَم، وبِدْعَة وبِدَع، وعِبْرة وعِبَر. وتجمع على غير قياس أيضا على حُقُوب.

ويرادفها الحُقُب أي المدة من الزمان بدون تحديد لمداها. وجمعها أحقاب وحِقاب.

حَلْبة وحَلَبات

والحلْبة بسكون اللام في المفرد وبفتحها في الجمع على وزن فَعْلة وفَعَلات (بفتح العين) هي: ميدان سباق الخيل. وموضع يُخصَّص للملاكمة أو المصارعة. ويقال حَلْبة الرقص للمكان المخصَّص للراقصين والراقصات. ويقال فلان فارس حَلْبة الفن أو الشعر أو الكتابة، أي أنه يتميز عمن ينافسه في هذه المجالات ويفوقه.

الحَلْقة

كلمة الحَلْقة (بفتح الحاء وسكونٍ على اللاّم) التي ينطق بها الإعلام محرَّفة فيضع الفتحة على اللام في المفرد بدلاً من السكون.

الحلْقة على وزن فَعْلَة وجمعها فَعَلات بفتح الحرف الثاني منها. وهذا هو سبب الخطأ الذي يقع فيه بعض الإعلاميين الذين يجهلون هذه القاعدة فيظنون أن الكلمة مفتوحة اللام سواء في المفرد أو الجمع.

إنه لا يمكن أن نقول في المفرد حلَقة لمجرد أننا نقول في الجمع حلَقات لأن صيغة المفرد تتغير في الجمع.

وأنبه إلى أننا لا نقول أعطى فلانٌ لفلان ضَرَبة (بفتح الراء) بل ضَرْبَة بسكون الراء، ونجمعها على ضَرَبات (بفتح الراء). ونقول لطْمة (سكون الطاء)

ونجمعها على لطَمات، وفترة (بالسكون) زَمَنيَّة، ونجمعها على فَتَرات. كما نقول نظْرة ونجمعها على نظَرات. وجاء في الحكمة العربية المشهورة "رُبَّ أكْلةٍ حرَمتْ أكَلات". وما أكثر الأمثلة على جمع فَعْلَة على فَعَلات.

أذكر أنه في حلْقة من حلَقات "برنامج الشريعة والحياة" التي يقدمها على شاشة التلفزة العلامة يوسف القرضاوي كان المُشْرِف على البرنامج يقدمه بعبارة ضيف الحلَقة (بفتح اللام). وكان الشيخ القرضاوي يهمس له بتصحيح خطئه ويقول الحلْقة (بسكون اللام)، ولكن مقدم البرنامج ظل مصرا على فتح لام حلقة.

وتكرر الخطأ من المشرف على البرنامج. وتكرر التصحيح بدون جدوى من الشيخ. ولم ينفع الشيخَ إلا أن يسكت سكْتَة (وليس سَكَتَة) نهائية عن الخطأ الذي لم ينفع فيه إصلاح.

ولا تجمع فَعْلة على فَعَلات عندما يكون الحرف الثاني (عين الكلمة) مُعتلاً أي يوجد فيه أحد أحرف العلة الثلاثة (الألف، والواو، والياء) لأن حروف العلة تَستَثْقِلُ وجود حركة الفتح عليها. لذا يقال: ثوْرة، وثَوْرات، وعَوْرة وعَوْرات، وهَيْبة وهَيْبات، وهَيْئة وهَيْآت.

أما إذا كان حرف العلة موجودًا في لام الكلمة أي في آخرها فتبقى القاعدة كما هي ويقال حينئذ ثرْوة بالسكون وثرَوات بالفتح، ونَشْوَة ونَشوَات، ورَمْية ورَمَيات.

حُمَم (بضم الحاء وفتح الميم)

يقع الخطأ في ضبط هذه الكلمة عند الحديث عن ثورة البُركان وقذْفِه بحُمَمه، فيُنطق بالحاء مفتوحة أو مكسورة والصواب ضمها.

والبُرْكان كلمة معرَّبة مأخوذة من لفظة (Volcan) ويُطلق عليه أيضا جبل النار. وله فوهة تخرج منها مواد متفجرة من بطن الأرض، قد تكون رمادا أو فحما أو مواد ملتهبة أو غازات أو بخارا.

وعلى هذه المواد يطلق لفظ حُمَم. ومفرده حُمَمَة (بضم الحاء وفتح الميمين).

وجمع الحاء مع الميمين في كلمة واحدة يدل في الغالب على ما فيه حرارة كالحُمَّى والحمَّام والحَمَّة حيث تكون مياهها المعدنية حارة أي ساخنة. وورد لفظ حميم بمعنى ساخن في قوله تعالى: {لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما}.

والفعل هو حَمَّ يَحُمُّ حمًّا الماءَ إذا سخَّنه.

واطراد معنى مشترك في المشتقات ذات الأسرة اللغوية الواحدة تختص به اللغة العربية بين اللغات.

حَوالَيْ

(بفتح الحاء واللام وتسكين الياء) منصوبة على الظرفية. وما بعدها يأتي مضافا إليها مجرورا. وتفيد الإحاطة بالشيء والالتفاف حوله. فنقول: رأيت الناس حوالَيْهِ أي محيطين به. وحضر الاجتماعَ حوالَيْ مائة شخصٍ. ونجح في المباراة حوالَيْ عشرةِ أفرادٍ. أي ما يقرب من العدد المذكور.

ولا تتغير صيغة حوالَيْ. ولا يجوز غيرُ ذلك كما يجري خطأً على بعض الألسنة والأقلام، حيث يُخضِعها البعض لحركات الإعراب مع أنها ظرف غير مُنصَرِف فيقول: جاء حواليُّ خمسةِ أشخاصٍ. ولم تتسع القاعة إلا لحواليٍّ مائة شخصٍ. وهكذا. وكل ذلك خطأ.

وجاء في بعض المعاجم اللغوية أنه توجد إلى جانب كلمة حوالَيْ كلمات حَوَالَ (بفتح الحاء والواو ونصب اللام آخر الكلمة)، وحَوْلَيْ (بفتح الحاء وسكون الواو ونصب اللام، وتسكين الياء) وأنهما تستعملان استعمال حَوالَيْ.

والأحسن استعمال كلمة حَوالَيْ لشيوعها وانتشارها، ولكن مع تجنب الأخطاء التي تقع فيها.

اختلفوا في الشيء، لا اختلفوا عليه

يشيع في الاستعمال تعبير "اختلَفوا على" والأصح هو: اختلَفوا في الأمر، بدلا مما يجري على بعض الألسنة: "اختلفوا على الأمر"

فقد جاء فعل اختلف في القرآن الكريم ٢٧ مرة مَتْلُوّاً دائما بحرف الجر: "في" ولم يرد مرة واحدة متلوا بحرف "على".

وعن القاعدة اللغوية والنحوية المشهورة القائلة:"إن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض" نقول إن هذه القاعدة ينبغي حذفها من بين القواعد لأنها لا تساعد على تدقيق معاني اللغة. وكيف يمكن أن

نستسيغها في تعابير مثل هذه: "نزل من أعلى إلى تحت" فهل يمكن أن نقول في هذا المثال: "نزل إلى أعلى من تحت؟". و"دخلت إلى الدار من الباب". فهل يسوغ القول:"دخلت من الدار إلى الباب؟".

ونزيد توضيحا لهشاشة هذه القاعدة فنقول إن فعل اختلف لا يأتي بعده حرف "على" عوضا عن "في". كما أن عبارة اختلف إلى المكان: أي تردد عليه جاء فيها حرف "إلى" ولا يصح فيها وضع لا حرف "في" ولا حرف "على".

كما أن تعبير:"عدل في الأمر" يفيد غير ما يفيده تعبير: "عدل عن الأمر". فالأول يعني قضى بالعدل في الأمر. والثاني يعني تجاوز هذا الأمر وابتعد عنه لأن حرف "عن" يفيد التجاوز.

ويجب التقيد بوضع حروف الجر مواضعها. فنقول:"هذا الأمر تترتب عليه نتائج وخيمة"، ولا نقول عنه. وإذا أردنا استعمال حرف عنه فلنستعمل تعبير: "هذا الأمر تنتج عنه نتائج". وإذا أردنا استعمال عليه فلنقل: "تنعكس عليه نتائج". ولكل مقام مقال. كما أن لكل تعبير حرفَ الجر الخاصَّ به.

خَصْلة (بفتح الخاء)

الخَصْلة هي خُلُق في الإنسان سواء كان حسنا أو قبيحا. والنطق بالخاء مضمومةً غير صحيح. لأن الخُصلة تعني قطعة من الشَّعَر. وتجمع على خُصَل. وهو جمع قياسي

إذ فُعْلة (بضم فاء الكلمة وسكون عينها) تجمع على فُعَل (بضم فاء الكلمة وفتح عينها). وتُجمع الخَصلة (بفتح الخاء) جمع تكسير على خِصال (بكسر الخاء).

ونقول: في فلان خَصْلة ذميمة هي أنه لا يكتم سراً. وفي الآخر خَصْلَة حميدة هي الوفاء لأصحابه. وفلان ذو خِصال حميدة.

وفي الحديث: يَشيب ابن آدم وتَشِبُّ فيه خَصْلتان: الحرص على الدنيا وطول الأمل. وجاء في الحديث أيضا: وكانت فيه خَصْلةٌ من خِصال النفاق.

الخِطبة (بكسر الخاء) غير الخُطوبة

خَطَب (بفتح الخاء والطاء) يخطُب (بضم الطاء) خِطْبَةً (بكسر الخاء) الرجلُ فلانةً من أهلها إذا طلبها للزواج. وهو بذلك خطيب أو خاطب. والمطلوب زواجُها يقال عنها خطيبة ونقول: أقيمت حفلة خِطْبة (بكسر الخاء) فلان إلى فلانة أو إلى أهلها.

وجاءت صيغة الخِطبة في الآية القائلة: ولا جُناحَ عليكمْ فيما عرَّضْتُمْ به من خِطْبة النساء أو أكْنَنْتُم في أنفسِكمْ.

وجاء في بعض المعاجم ضم الخاء في خطبة بهذا المعنى، لكن الخُطبة (بالضم) شائعة في الكلام الذي ينطق به الخطيب. والخطبة (بالكسر) في طلب الزواج.

أما الخُطوبة فلها معنى آخر. إذ تدُلُّ على الفترة التي تعقُب خِطبة المرأة وتمتد إلى الزواج.

خُطَّة (بضم الخاء) وخِطَّة بكسرها

ويدلأن معا على النهج والطريقة. لكن الأكثر استعمالا هو ضم الخاء. والمغاربة لا ينطقون بها مكسورة الخاء إلا نادرا. لكن في المشرق العربي تُستعمَل مضمومة الخاء في الأغلب وقليلا مكسورة الخاء.

ونقول: "وضع الخبراء خُطَّة اقتصادية لخمس سنوات". ونختصر هذا التعبير فنقول: "وضع الخبراء خُطَّة خُماسية، أو خطة خَمْسية". أي تُنفَّذ في خمس سنوات. وبضم الخاء تجمع جمعا قياسيا على خُطَط (بضم الخاء وفتح الطاء) (على وزن فُعْلة وفُعَل) كقُبْلة وقُبَل، وصُدْفة وصُدَف، ونُكْتة ونُكَت.

أما خِطَّة بكسر الخاء فجمعها خِطَط، بكسر الخاء وفتح الطاء. وهو جمع قياسي (على وزن فِعْلة وفِعَل) كحِصَّة وحِصَص، وعِبْرة وعِبَر.

ومن الخطأ زيادة ألف المد في الجمع، فلا يقال خِطاط لا في جمع خُطّة ولا في جمع خِطَّة.

وأفضِّل أن تتوحد لغة الإعلام على استعمال الخُطة بضم الخاء فقط، في سعي مني إلى توحيد استعمال الكلمات العربية ما أمكن، خاصة ولم ترد كلمة خِطة (بكسر الكاف) في جميع معاجم اللغة.

خلا

أداة من أدوات الاستثناء الثمان. وهي تنصب الاسم الذي يأتي بعدها (وهو المستثنى). ويُنسَب إلى سيبويه أنه قال يجوز جرّ ما بعد خلا وعدا.

ويُقحم خطأ بعض حروف الجر إثر عدا ويقال: "وعدا عن ذلك لا شيء يستحق الذكر" فتأتي عدا في غير موضعها ويُفصَل بينها وبين مفعولها. والصواب: "وعدا ذلك لا شيء يستحق الذكر".

ومن الأخطاء المتصلة بخلا ما سمعته على لسان مقدّم نشرة الأخبار في قناة تلفزية محترمة: "جاء ذلك خلا إلقاء كلمة بالمناسبة" يقصد "خلال الإلقاء". وآمل أن يكن مرد هذا الخطأ إلى السرعة التي تلقى بها الأنباء أحيانا، إذ لا علاقة بين خَلا وخِلال.

دَلالة ودِلالة

يقع خطأ في ضبط الدال المشددة، فيكسرها البعض ويفتحها البعض، ولكل منهما معنى خاص به.

فالدَّلالة بفتح الدال آتية من فعل دَلَّ بمعنى أشار وأرشد. فتقول: "دلّه على الطريق" أي أرشده إليه. واسم الفاعل من فعل دَلَّ هو الدَّالُّ (بتشديد اللام). وقد ورد في القول المشهور: "الدَّالُّ على الخير كفاعله". وجاء في القرآن في ذكر سليمان: "ما دَلَّهُم على موته إلا دَابَّةُ الأرضِ تأكل مِنْسأته".

أما في الدَّلالة (بفتح الدال وتشديده) فقد قيل: "دَلالة المَبْنَى تدلُّ على دَلالة المعنى".

وبعض المعاجم اللغوية ذكرت كلمة دِلالة (بكسر الدال) مع كلمة دَلالة مصدرين ولكن منهجيتي تجعلني أنصح بالاقتصار على استعمال الدَّلالة بالفتح في الإشارة والإرشاد، واستعمال كلمة الدِّلالة (بكسر الدال) لبيان حِرْفة الدَّلّال أو أجرته.

والدَّلاّل هو من يحترف الوساطة بين البائع والمشتري، أو من يُعلِن عن الأثمان في سوق الدِّلالة.

وفي المعنى الأول يصبح مقتربا من كلمة سمسار، أي الذي يتوسط لإنجاز صفقة البيع.

دَقْرَطَة لا دَمَقْرَطَة

أصبح شائعا خطأ دَمَقْرَطة، إذ يقال دَمَقْرَطة المؤسسات، والنُّظم. وهي ترجمة حرفية لنظيرة هذه الكلمة في اللغات الأخرى. ولا بأس في ذلك ما دامت كلمة الديمقراطية مستعملة في العربية.

بيد أن دَمَقْرطَة بهذا الميزان لا تدخل في الأوزان العربية. إذ ليس منها وزن فَعَلْلَلَ. والقواعد النحوية تقول: إن مزيد الفعل الرباعي بما يجعل منه خمسة أحرف له وزنان: إما بزيادة التاء في أوله حيث يصبح الرباعي بَعْثَر، أو زَلْزَل مثلاً خماسيا فتقول: تَبَعْثَرت الأوراق، وتزَلْزَلت الأرض والجبال. وهذا هو وزن تَفَعْلَلَ.

وإما بزيادة حرفين، ولهذا وزنان: زيادة الهمزة والنون: افْرَنْقَع أي تفرّق، ووزنه افْعَنْلَلَ ورباعيُّه هو فَرْقَع أي فَرّق. ووزنه فَعْلَلَ.

أو زيادة الهمزة والتضعيف: اقْشَعَرّ. ووزنه على هذا هو افْعَلَلّ. وليس للرباعي المزيد بحرفين إلا هذا الوزنان أو الصيغتان.

وبناء على ذلك فميزان فَعَلْلَلَ غريب عن العربية ولم يرِدْ في كلام العرب. فكيف إذن نشتق المصدر من كلمة الديمقراطية ونحافظ على وزنه العربي؟ أجاب النُّحاة على ذلك بوجوب حذف حروف الزيادة من الكلمة. وهي الحروف المضمَّنة في جُملة سألتمونيها. أي السين، والهمزة، والتاء، والميم، والنون، والهاء. وهي التي تُحذف من الكلمة لتبقى موازين الأفعال والمصادر في صيغ الموازين العربية الصحيحة.

وفي استخراج مصدر من كلمة الديمقراطية لا تُحذف إلا الميم، لأنها وحدها في الكلمة من حروف الزوائد. أما الدال، والميم، والقاف، والراء، والطاء، فليست من حروف الزوائد. وتثبت في المصدر والفعل ولا تُحذف فيهما.

وعلى ذلك يكون الصواب هو دَقْرَطَة، في المصدر، ودَقْرَطَ في الفعل الرباعي ونقول: الدستور دَقْرَطَ مؤسسات الحكم. ونحن في حاجة إلى دَقْرَطة أكثر للمؤسسات.

وميزان دَقْرطة (العربي الفصيح) أسهل على النطق من ميزان دَمَقْرَطة غير العربي الذي يُثقل النطقُ به على اللسان لتوالي فتحتين على فاء (أول) الكلمة، وعينها. (ثانيها) (دَمَ). وكثرة استعمال لفظ دقرطة سيزيد نطقه سهولة.

وفي الفعل الخماسي نضيف حرف التاء في أول الكلمة، فتقول تُدَقْرَطَت النظم بكثرة في هذا العصر. كما نقول: تَدَحْرَجَ وتَزَلْزَلَ وتَعَوْلَمَ، وتَقَوْقَعَ.

الدَّوْلَتِيّ

هذه نسبة بالياء غريبة إلى كلمة دولة، يستعملها خطأ إعلاميون وأساتذة جامعيون يقصدون بها التفريق بين النسبة إلى دَولةٍ بالمفرد ودُوَلٍ بالجمع، + ويظنون أنهم يُحسنون صنعا وهم يُفسدون قواعد اللغة.

التاء الموجودة في كلمة دولة حرف تأنيث زائدة تُحذف عند النسب. ونقول في النسبة إلى مكّة مَكّي، ولا نقول مكّتيّ. وفي النسبة إلى لَفْظة نقول لفظي ولا نقول لَفْظَتِيّ، كما نقول لفظي نسبة إلى لَفْظ.

وإذا كان يراد التفريق بين النسبة إلى دَوْلة والنسبة إلى دُوَل بالجمع، فلنخصص لفظ دَوْلي (بفتح الدال وتسكين الواو) للنسبة إلى المفرد (دَوْلة)، ودُوَلي بالنسبة للجمع (دُوَل).

والمعروف أن أغلبية النحاة ينصحون بنسبة الجمع إلى مفرده. (وهؤلاء هم البصريون). ومنهم من يجيز النسبة إلى الجمع (وهم الكوفيون). ولضرورة التفريق يحسن أن نأخذ بقاعدة الكوفيين فننسب إلى الجمع عندما نريد الحديث عن عدد من الدُّول.

كما نقول بالنسبة للقانون الصادر عن دولة وطنية واحدة هذا قانون

دوْلي (National)، وهذا قانون دُوَلي(International) أي قانون مجموعة دول أو منظمات دولية.

وعلى ذكر النسبة نذكّر بأنّ النسبة في قواعد اللغة تأتي بالياء كما تأتي بالإضافة، لكن أصبحت النسبة بالياء في لغة الإعلام طاغية على النسبة بالإضافة حتى لتكادُ هذه الأخيرة تُنْسَى.

ومن أجل إيثار بعض اللغويين النسبةَ بالياء على النسبة بالإضافة أطلقوا على اتحاد المغرب الكبير اسم الاتحاد الْمَغاربي بصيغة الجمع، مع أن المغرب كان دائما مفردا يطلق على المملكة المغربية. ويوجد لما عداه من الأقطار اسم خاص به: الجزائر، تونس، ليبيا، موريتانيا. وتاريخيا لم يُعرَف قط جمع المغارب حتى يُنسَب إليه المغاربي. وقد ورد هذا الجمع في القرآن بالنسبة لجهات الغروب كما وردت المشارق بالنسبة لجهات الشروق، وذلك في قوله تعالى: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾.

ولأقطار المشرق العربي تجمعات عربية ولم يُسَمَّ مجموعُها باسم المشارق. ولم يُنسبْ إليها بصيغة المشارقي. وإنما يقال المشرق العربي لا غير. فلْنعدلْ عن اسم المغاربي إلى اتحاد المغرب العربي، أو اتحاد المغرب الكبير.

رُجْحان (بضم الراء وسكون الجيم) لا بفتحهما

في برنامج تلفزي خليجي سمعت أحد المناظرين يقول: أخذ يبدو أن هناك رَجَحَاناً لتوسيع مفهوم الإرهاب إلى حد إدماج مقاومة الاحتلال فيه. والصواب رُجْحَان.

رَجَحَ يَرْجَحُ رُجوحاً ورُجْحاناً ورَجاحةً فهو راجح الشيءُ ثقُل، أو اكتمل، أو زاد على غيره، أو غلب على غيره وفاقه. ونقول: رَجَحت إحدى كفَّتي الميزان على الأخرى.

والراجح هو ما يزيد من الأحكام قيمةً على سائرها. فنقول: يعمل الفقهاء

بالراجح لا بالمرجوح ويفضلون الأرجح (أي الأكثر قيمة) أي يقدّمونه في الاستدْلال على الراجح.

ولم يَرِدْ في مصدر رَجَح رَجَحان. وإنما جاء في كلمات هَـذَيَان، وغثَيَـان، وشنَآن على سبيل المثال.

رَدَح لا رَدْح

تُحرَّف هذه الكلمة فيسكَّن دالها والصواب فتحه. والرَّدَح هو المدة الطويلة ونقول: "حصل هذا منذ رَدَحٍ من الزمان". ولا يوجد لهذه الكلمة فعل أو مصدر فهي يتيمة لا مشتقَّات لها.

الرَّعاع: السافلون من الناس الذين لا يتميزون بميزة يفضُلون بها غيرهم. والبعض يضُم أوّلها (العين) خطأ. وقد جاءت مفتوحة في الحديث: رَعاع (بفتح العين)

"إني أخاف عليكم رَعاع الناس".

وتُستعمل الرَّعاع للتحقير. مثلها مثل الغوغاء. وتأتي مؤنثا رَعاعة بمعنى قليل العقل والفهم. وبهذا المعنى تطلق على النَّعامة المشهورة بقلة الفهم حيث تضع رأسها في التراب متوهمة بذلك أنها اختفت عن الأنظار. وهذا ما يشار إليه بتعبير سياسة النَّعامة.

ريم وريمة

رِيم هو ولد الغزال الذكر، ومؤنثه ريمة، أي ابنة الظبي (الغزال). وأصلهما رِئْمٌ ورِئمةٌ فوقع التسهيل في الهمزة بنطقها وكتابتها ياء. وتسهيل الهمزة وارد في اللغة. وفي جميع الأحوال لا ينبغي أن يُطلَق لفظ ريم (أو رئم) ريم وريمة على الذكر والأنثى. فلكل منهما إطلاقه الخاص.

البعض يسمي البنت رِيم غلطا فيحسن تجنب ذلك فالذكر ذكرٌ والأنثى أنثى. وريم المذكر غير ريمة المؤنث.

الزُّخْم بسكون الخاء

تستعمل كلمة الزُّخْم بمعنى قوة الدفع. وترد في هذا التعبير وأمثاله: "وقع ذلك تحت زَخْم الأحداث المتوالية".

الزَّخَم بسكون الخاء

سمعت الكثيرين ينطقونها بفتح الخاء (زَخَم).

وفعل زَخْم (بالسكون) غير فعل زَخَم (بالفتحة). الأول لازم متعدٍّ. يقال زَخَم الشيءُ إذا اندفع بقوة وشدة. وزخَمَ الشيءَ إذا دفعه دافعٌ بقوة وشدة.

أما الزُّخَم (بالفتح) ففعله لازم. زَخِم يزْخَم زَخَما. الشيءُ تغيرت رائحته. واللحمُ إذا تغير وأصبح كريها. وتقول: "نشمُّ من هذا الماء الراكد زَخَماً والزَّخَمة هي الرائحة الكريهة.

اسم مُعْرَبٌ يضاف إليه ما بعده مجرورا. مَثَله في ذلك مَثَل نُحْوْ. وهو أيضا يدل على التقريب. وأصله مقدار

زُهاء (بضم الزاي)

الشيء. لكنه يُستعمَل في التقريب مَثَلَه مَثَل حَوالَيْ، ونحو. نقول: "يُقدَّر عددُهم بزُهاء ألف".

وقد جاء في الحديث: "سُأل رسول الله: كم كانوا؟ فقيل: زُهاءَ ثلاثمائة"، أي قَدْر ثلاثمائة. وجاء في بعض المعاجم اللغوية كسر الزاي منه، لكن فتحها خطأ، والأفضل النطق بالضم لشيوعها.

وتُطلَق كلمة زُهاء أيضا على العدد الكثير. وقد جاءت بهذا المعنى في الحديث: "إذا سمعتم الناس يأتون من قِبَل المشرق أولي زُهاء يُعجَب الناس من زيِّهم فقد أظلَّت الساعة". وأولي زُهاء تعني: أولي عدد كثير.

الأسبق والسابق

يقال في المشرق العربي الرئيس الأسبق، والوزير الأسبق. والصواب السابق. ولا يقال الأسبق إلا عندما يُقصَد به من تعدَّى غيره في السبق. وهذا ليس هو المقصود. لذا يحسن أن نقول مثلا عند ذكر شخصين متبارِيين في السِّباق: كلٌّ من محمد وإدريس سابق، ولكن إدريس هو الأسبق. وعلى ذلك يحسن أن نقول الرئيس السابق والوزير السابق.

سَجْن وسِجْن

السَّجْن بفتح السين وتشديدها مصدر سَجَنَ يَسجُن سَجْنا إذا حَبَسَ في مكان. وعلى ذلك لا تقول: "حكمت عليه المحكمة بسنةٍ سِجْنا (بكسر السين) بل سَجْنا بفتحها ووُضِع في السِّجْن (بالكسر) تنفيذا لهذا الحكم.

وجاء في القرآن الكريم في قصة يوسف: "ربِّ السِّجْنُ أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه". وجاء أيضا: "فلبِثَ في السِّجْنِ بضعَ سنين".

وجمع السِّجن هو سُجون وتقول: "إدارة السُّجون".

سُكَّان المغرب وسكان الإمارات العربية وليس ساكِنة المغرب ولا ساكنة الإمارات

ومما أدخله في اللغة هذا النوع من الشطط اللغوي الذي نوالي تصحيحه تغيير كلمة "السكان" إلى كلمة "الساكنة" ويقولون: "جرى إحصاءٌ أخيرٌ لساكنة المغرب أظهر أنها بلغت ٣٠ مليون نَسَمة" كما تحول تعبير "سكان المعمور" إلى تعبير "ساكنة المعمور". وهكذا دواليك.

وليس وراء الترجمة في هذا التحول إلا سببٌ وحيد هو أن السكان جمع تكسير، والساكنة مفرد مؤنث يقابلها في الفرنسية كلمة مفردة مؤنثة (La population).

والمفروض أن كلمة الساكنة هي مؤنث "ساكنٌ" وهو الثابت الذي لا يتحرك. ونقول "لا يُحَرِّك ساكناً" أي لا يفعل شيئا لأن عكس السكون هو الحركة. ونقول: "أحصى عليه حَرَكاتِه وسَكَناتِه" أي راقبه بدقة في جميع أحواله وتصرفاته.

وقد جاء في القرآن الكريم: "أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّك كيف مَدَّ الظِّلَّ ولو شاء لجعَلَه ساكِناً" واللغة مجموعة كلمات تحمل إما الحركة وإما السكون.

سَواء وسِواء

سمعت بعض المتحدثين يكسرون السين في كلمة سَواء. وفَتحُها هو الصواب. فقد وردت خمس مرات في القرآن في آيات شتى دائما بفتح السين: "سَواءٌ عليهم أأنذرتهم أمْ لم تُنذرهم لا يؤمنون" "سَواءٌ عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم".

ومصدر فعل ساوَى (بين الشيئين) هو مساواة، وليس سِواءا (بكسر السين). ولم تذكره معاجم اللغة وإن كان مصدر فاعل هو مفاعلة أو فِعال.

سِوى

البعض يذكر المستثنى الذي يأتي بعد سِوى مرفوعا أو منصوبا والصواب جَرُّه بالإضافة. سمعت من يقول: "ولم يكن قصده سوى التفكيرُ في الموضوع". وبعضهم يقيس عملها على عمل أداةِ الاستثناء الأخرى "إلاّ" فينصب ما بعدها ويقول: "سوى التفكيرَ" يقصد إلا التفكيرَ.

ما يأتي إثر سوى من الأسماء يُجَرُّ. مَثلها في ذلك مَثل أداة استثناء أخرى هي "غير". فنقول: "ولم يكن قصده سوى التفكيرِ (بكسر الراء) أو غيرَ التفكيرِ

(بكسر الراء). وقد يضاف إلى سِوى جملة مصدرية فنقول: "لا أعيب عليه سوى أنه مُهمِل" أي سوى إهمالِه. ونقول:"لا أطلب منه سوى أن يقول الحقيقة" أي سوى قولِ الحقيقة. ويجري على غير ما يجري على سِوى.

لكن يقع خطأٌ في التركيب اللغوي حينما يُقحَم حرف جر بين سوى والمضاف: كأن يقال خطأ: "لم أعثر في الكتاب سوى على خطأ واحد" والصواب إسقاط حرف على. كما يُقحَم خطأ بعد سِوى حرف الجر "في" ويقال:"لم أخسر في سوى صفقتين" والصواب حذف "في" لأن سِوى وغير يضافان إلى الاسم. والمضاف إليه لا يجوز أن يكون حرفا. إن عملية الإضافة تتم بين اسمين يسمى أولهما مضافا إليه، ويسمى الثاني مضافا. والمضاف دائما مجرور إذا كان مفردا وليس جملة أو شبيها بها.

سوف يكون، ولن يكون، وسوف لن يكون

سوف أداة تسبق الفعل المضارع فتخصصه للاستقبال البعيد. نقول: "سوف أراك الشهرَ المقبل". أما الاستقبال القريب فتستعمل له أداة "سَـ" "سأسافر" أي في زمن قريب.

بعض المعاجم لا تحدد فرقا بينهما. ومنهجيتي هي العدول عن المترادف لتكون اللغة واحدة لا لغتين أو لغات.

وتقتضي البلاغة أحيانا أن يعبَّر بأحدهما عوضا عن الآخر بحسب اعتبار المتكلم الذي يريد أن يقول: إن البعيد قريب، أو إن القريب بعيد.

ففي القرآن الكريم: "ولسوف يُعطيك ربك فترضَى" وجاء فيه: "وسَيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلَب ينقلبون". فالتعبير الأول بسوف يفيد المستقبل البعيد، لكن المراد به المستقبل القريب، والتعبير الثاني بالسين يبدو بعيدا وهو في الحقيقة قريب.

والبعد والقرب مسافتان نسبيتان. فما يراه البعض قريبا يراه البعض بعيداً. وجاء في القرآن: "إنهم يَرَوْنه بعيدا ونراه قريباً".

ويدخل في هذا اعتبارُ ما هو متوقَّع (أو مؤكَّد) أي حصولُه في المستقبل فيصبح أمرا واقعا أو وَقَع فعلاً. وفي هذا تُستَعْمَل صيغة الماضي لا المستقبل. لأن المتوقَّع كالواقع. وهذه قاعدة بلاغية. مثال ذلك قول الله في كتابه: "اقتربت الساعة وانشَقَّ القمر". أي وسوف ينشقُّ القمر، ولكن لتأكُّد الوقوع استُعمِل الماضي.

وكثيرة هي القواعد البلاغية التي يُعطَى فيها لمقاييس الزمان أبعاد مغايرة. كأن نتحدث عن الماضي بصيغة المضارع في المستقبل. ويسمَّى هذا فعل المضارع المتجدِّد الذي يأتي في صيغة الحاضر المستمر. ويمثلون لذلك بهذا البيت الشعري الشاهد، أي الذي هو من بين شواهد اللغة وهو: أوَ كُلَّما وردتْ عُكاظَ قبيلةٌ بعثوا إليَّ عريفَهم يَتَوَسَّمُ ؟

فالشاعر هنا استعمل المضارع في صيغة الحاضر بعد ذكره الماضي في عبارة بعثوا. لأن هذا التوسم يقع ويتجدد كلما وردت قبيلةٌ على عكاظ. فلم ينحصر في زمان. واقتضى هذا استعمال فعل المضارع المتجدد.

أفضل وأنصح أن تستعمل السين (سَـ) للمستقبل القريب، وسوف للمستقبل البعيد. ففي ذلك إغناء للغة الضاد وتدقيق للمفاهيم. وعندما نريد نفي الفعل المضارع ونصبه نستعمل تعبير: "لن يكون هذا الأمر". ولن حرف نصب واستقبال، ولا نحتاج إلى أن نضيف بعد حرف لن عبارة "في المستقبل" حتى لا يكون في الكلام حَشْو.

سوف لن يكون

لكن ماذا عن التعبير الشائع سوف لن يكون ؟ هذا التعبير أيضا خطأ، لأنه يجمع بين أداتين (سوف، ولن) وكلتاهما تفيد الاستقبال. فهو حشْوٌ بمعنى زائد.

وفي كلمة الحشو نقول: "بعض الكُتَّاب يستعملون الحَشْوَ والتكرار فيما يكتبون". "وللحشو علاقة بالتكرار الذي لا فائدة فيه ولا ضرورة له".

والتعريف المأثور عن الحشو هو: الكلام الذي يتضمن لفظا زائدا على أصل المعنى من غير أن تحمِل الزيادةُ فائدةً. كأن نقول: "طلع فوق"، و"نزل تحت". ففوق وتحت حشوٌ لأنها مفهومتان من طَلَع ومن نَزَل.

و"سوف لن" خير مثال للحشو. إذ "سوف" تفيد الاستقبال، و"لن" أداة استقبال أيضا. وبذلك تكرر الاستقبال مرتين بدون أن تحمل الزيادة فائدة. لأن المعنى يستقيم بالاقتصار على "سوف" أو على "لن". وبما أن "لن" تفيدُ النفي والاستقبال وينصب الفعل المضارع بعدها فلنقل إذن: "ولن يكونَ هذا الأمر" بدلا من: "وسوف لن يكونْ".

ومن أمثلة الحشو ما يجري على بعض الألسنة إذ يقال: "وهذا حشو زائد". ولفظ زائد هنا هو الحشوُ بعينه. فيحسن القول: "وهذا حشو" بدون إضافة زائد، لأن زائد هو زائد.

وأصل الحَشْو من فعل حَشا يحشُو حَشْواً إذا ملأ. نقول: "حشا الوسادةَ بالقطن أو بالصوف". والحَشْو ما حُشِي به (أي مُلِئ) به الشيءُ. والمحشيُّ هو طعام يُلَفُّ فيه لحم في أوراق من الدوالي ونحوها.

ويمكن أن يكون الحشو ترجمة لكلمة (Remplissage) الفرنسية التي تعني المَلْء. فنقول: "عدد الجريدة احتوى على كثير من الحشو" أي مواضيع أو عبارات لا فائدة فيها وإنما هي لملء الفراغ.

شِرْيَان (بكسر أوله (الشين) وتسكين ثانيه (الراء)

وهو أنبوب يحمل الدم من القلب إلى الجسم. وجمعه شَرَايين. ونقول يعاني من تصلب الشرايين. ويأتي استعماله قليلا في المفرد.

ويجوز فتح الشين في المفرد: شَرْيان، لكن الغلط الشائع هو فتح الشين والراء معا. ومرد هذا الغلط إلى جمعه على شرايين، إذ الفتح في صيغة الجمع للشين والراء. والصواب هو شَرْيان أو شِرْيان.

والشّرْيَانات هي عروق دقيقة في جسم الإنسان ينساب فيها الدم.

شَغَب

مصدر شغب بمعنى أحدث فتنة أتى في العربية على وزنين: فعْل (شَغْب) وفَعَل (شَغَب) فنقول: "قامت مظاهرات شَغَب أو شَغْب في الشوارع".

ولكن استعمال شغب (بفتح الغين) أكثر شيوعا. لذا أنصح باستعماله وهجر شغْب (بالسكون) لتوحيد اللغة ما أمكن.

شَمال (بفتح الشين) وشِمال (بالكسر)

الشَّمال (بفتح الشين) الجهة التي تقابل الجَنوب. وكسر الشين خطأ يجري على الألسنة في المشرق العربي. والشمال أيضا هو الريح التي تهُبّ من هذه الجهة. أما الشِّمال (بكسر الشين) فهو ما يقابل اليمين. ويُطلق عليه اليسار أيضا.

رجلٌ صبور وامرأة صبور

من القواعد اللغوية أن صيغة فَعول التي تفيد المبالغة لا تؤنث. فنقول: "رجل صَبورٌ وامرأة صَبورٌ". وذلك بشرط أن يذكر قبلها الموصوف كما هو في هذين المثالين. كما أن هذه القاعدة تطبق في وزن فَعِيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل. فنقول: "رجل جريح أو قتيل" و"امرأة جريح أو قتيل" فإذا لم يذكر الموصوف فالواجب هو تذكير المذكر (جريح) وتأنيث المؤنث (جريحة) لِئلاّ يقع الالتباس. ونقول: "رأيت جريحا أي رجلا جريحاً" و"شاهدت قتيلة (أي امرأة) بين القتلى".

عَبْوَة لا عُبُوَّة

سمعت ضمن أخبار الحرب التي شنتها إسرائيل على فلسطين هذا التعبير "اُستُشْهِد فلسطينيان في اصطدامهما بعُبُوّة ناسفةٍ وضعتها إسرائيل على الطريق".

والصواب عُبوة (بضم العين وسكون الباء).

وبعض المعاجم الحديثة ذكرت عُبُوَّة بضم العين والباء وتشديد الواو. ولم تقر المجامع اللغوية ذلك. (عُبْوة على وزن فُعْلَة) آتية من فعل عبا يَعْبو عَبْواً ولا يوجد في الفعل والمصدر تشديد الواو.

والبعض يحرف الكلمة فينطق بالعين مفتوحة في حين أن العَبْوة هي نور الشمس.

عَتْبٌ أو عِتابٌ لا عَتَب (بفتح التاء)

. فعل عَتَبَ يَعْتِب له مصدران هما عَتْبٌ (بسكون التاء) وعِتاب. وهذه الصيغة تأتي مصدرا لعاتب يُعاتب عِتابا ومعاتبةً.

أما صيغة العَتَب (بفتح التاء) فلم ترد إلا في لفظ العَتَبة التي تدل على ما تحت الباب أو بقربها ويجتازها من يدخل البابَ للخروج منها. ونقول: "وصل إلى عَتَبة الباب أو اجتازها"

وتفيد كلمة العَتَبة معنى نقطة البداية. فيقال مثلا: "نحن على عَتَبة الدخول المدرسي" أو "على عَتَبة شهر رمضان".

العُدّة بضم العين والعِدّة بكسرها

كثيرا ما يقع الخلط بين الكلمتين خاصة في المشرق العربي. ولكل منهما معناه. فالعُدّة (بضم العين) هي الاستعداد، أو ما يُعَدُّ (أي: يُهيّا) لأمرٍ ما. وقد امتد هذا المعنى إلى ما يُعَدُّ للحرب من أسلحة وعَتاد وتجهيزات. ونقول: "كان العدو أكثر منا عَددا وعُدّة". وما لا بد أن يتوفر عليه أصحاب المهن لإنجاز عملهم من أدوات هو أيضا العُدّة: "عُدّة النجار والحداد". ومن هنا جاء التعبير المشهور: "أعِدَّ للأمر عُدّته" بضم العين، أي هيِّئْ ما يلزم للأمر. وسمعت في بعض المحطات الفضائية: أعدت إسرائيل لحرب فلسطين عِدّتها بكسر العين وهو خطأ.

إذ العِدَّة بكسر العين هي مقدار ما يُعَدّ، أي العدد أو المقدار: كانت عِدَّة العصابة المجرمة كبيرةً. أو نقول: لا نعلم بالضبط عِدَّتهم فتأتي بمعنى العدد المبهَم.

والعِدّة شرعا هي المدة التي حددها الشرع للمرأة لتبقى بدون زواج نقول عِدّةَ المطلقة. وعِدّة من توفّى عنها زوجها وعِدّة الحامل وضع حملها.

وفي القرآن الكريم جاء ذكر العُدة (بضم العين) في قوله تعالى: {ولو أرادوا الخروج لأعَدُّوا له عُدة}. كما ورد ذكر العِدة (بالكسر) بالمعاني التي أشرنا إليها في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعِدَّةٌ من أيام أخَر وفي قوله: {إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ لعِدَّتهنّ وأحصُوا العِدّة}. ولنضف هنا ونحن نتحدث عن عبارة أعد للأمر عُدته عبارةً تشابها يقع فيها الخطأ أيضا هي: أعدّ للأمر أهبَته لا أهيَته

فعل تأهَّب يعني استعدّ. فنقول: أستعدُّ للأمر أو تأهَّب له. ونقول: فلان يتأهَّب لسفر طويل. ومصدره التأهُّب. ونقول إن الجيش في حالة تأهُّب (أي استعداد) للحرب والأهْبة (بضم الهمزة وسكون الهاء) هي الاستعداد. وكما نقول: آخذ للأمر عُدّته. نقول آخذ للأمر أهبَته.

وتعني الكلمة الاقتراب من الموعد المحدد: فلان على أهبَة سفر. أي على وشك أن يسافر. وتجمع الأهبَة (جمعا قياسيا) على أهَب.

العرقلة هي الصعوبة أو الأمر الصعب. وفعلها رباعي هو عَرْقَل يُعرْقِل عَرْقَلَة، فهي إذن مصدر عَرْقَلَ.

عَراقِل لا عراقيل (بالياء)

وكلمة عرقلة لا تحتوي على حرف مد، وبالتالي لا يمكن جمعها على عراقيل بالياء، ومع ذلك ذكرتها بعض المعاجم بالياء وهذا أحد أخطاء المعاجم. ومن بينها ما يُخطِئ.

إنها على وزن دَحْرَجَة، وَوَسْوَسَة، وعَجْرَفة، وهي مصادر لا تحتوي على حرف مد.

ولا تزاد الياء إلا في جمع المفرد الذي يحتوي على حرف المد: الألف، كمسمار، وجمعه مسامير، أو الواو، كعصفور، وجمعه عصافير، أو الياء كقنديل، وجمعه قناديل.

أما عرقلة فلا يوجد بها حرف مد. ولا توجد في العربية كلمات عَرْقال، أو عُرْقول، أو عِرْقيل حتى تجمع على عراقيل.

لكن جاء في معاجم اللغة ذكر العراقيل بهذه الصيغة للدلالة على المصائب والشدائد. ولم تذكر هذه المعاجم مفردها ربما لأنها لا مفرد لها. كما ذكرت المعاجم أن كلمة عرقيل تفيد أصفَر البَيْض.

وكيفما كان الحال فإذا أردنا أن نجمع العرقلة فلا جمع لها إلا عراقل بدون ياء.

عِصْمة بكسر العين لا بفتحها

ويراد بها الْمَلَكَة التي تعصِم (أي تمنع) من الوقوع في الإثم والمعصية. اسم المفعول أو كلمة "معصوم" عن الخطأ أصله من العَصْم أي المنع والوقاية. فالأنبياء والرسل معصومون. ويقال في حق المرأة العفيفة صاحبة العِصْمة. وكان هذا أحد ألقاب السيدة أم كلثوم المصرية.

ويراد بالعِصْمة أيضا رباط الزوجية إذا ملك أحد الزوجين حق حله فنقول: "شرطت الزوجة في عقد النكاح أن تكون عِصْمتُها بيدها".

وتجمع العِصْمة على عِصَم قياسا. فوزن فِعْلة يجمع على فِعَل: مِحْنة ومِحَن. وصيغة وصِيَغ. وبِدْعة وبِدَع.

وجاء في القرآن الكريم: "ولا تُمسكوا بعِصَم الكوافر".

تكاد تُجمع المجامع اللغوية على أن لفظ "عضو" اسمٌ مذكّر لا مؤنث له من لفظه. وأصل العُضْو هو عُضْو الجسد. وجمعه أعضاء. فالرأس عضوٌ، واليد

عُضوٌ لا عُضوَةٌ

عضوٌ (لا عُضْوة) والرَّجُل عضو، والمرأة عضو لا عضوة، كما أن الأذن عضو، والأنف عضو من الأعضاء.

وأصبح للفظ العضو معنى "مُشْتَرِك في مؤسسة"، كجمعية، أو نادٍ، أو حزب، أو مجلس. وفي ذلك نقول: "فلانٌ عضوٌ في البرلمان، وفلانة عضو في حزب كذا".

ومنه اشْتُقَّت كلمة العُضْوية، أي صفة العُضو ذكرا كان أو أنثى. فنقول: "فلان يتَمَتَّع وفلانة تتمتَّع بعُضْوية المجلس" ونقول: "هناك شروط للحصول على العُضْوية في.......".

لكن يَرِد على بعض الألسنة والأقلام استعمال "عُضْوة" في حق المرأة. فهل هذا خطأ ؟

إن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أجاز استعمال "عُضْوة" في حق المؤنث. والبتُّ في هذا الخلاف يعود إلى النساء. هل يُرِدن المساواة بالرجل ؟ فيفضّلْن أن يتساوى الرجل والمرأة في إطلاق العضو المذكّر عليهما معا. أم يُرِدْن التميز ؟ بإطلاق العُضْو على الرجل والعُضْوة على المرأة ؟

في لغات أخرى يقوم جدال حول ما ينبغي أن يطلق على النساء من أسماء ونعوت. هل يقال مثلا الوزير، والنائب، والعضو للجنسين، أم يُميَّز بين الوزير والوزيرة، والنائب والنائبة، والرئيس والرئيسة، والسفير والسفيرة ؟.

تناقض المصطلح الاعلامي مع الأهداف الإعلامية[46]

المصطلح الإعلامي هو تعبير وترجمة وتنفيذ للرؤية السياسية العامة. وفي بداية الأمر ونهايته، فإن الإعلام "له صاحب" كما يقولون. ليس هناك إعلام ينطلق في الهواء أو الفراغ، أو يأتي من العدم ويذهب إليه. الإعلام بكل مكوناته وحمولاته ودلالاته هو مصلحة أو غرض أو هوى أو أيدلوجية بمعنى الرؤية. يجب أن ندرك ذلك تماماً عند الحديث عن الإعلام، فالإعلام وإنْ كان رافعةً فهو مرفوعٌ ايضاً ومحمول، وإنْ كان له وظائف مختلفة فإن إحدى أهم وظائفه هو التعبير والترجمة والتنفيذ للرؤية السياسية، وهذا أمرٌ ينطبق تماماً على الإعلام الغربي الذي يُسمّى حراً وديموقراطياً، فقد رأينا كيف يتصرّف هذا الإعلام عندما يتعلّق الأمر بالاستراتيجيات الكبرى والقضايا المهمة، التي تهمّ الغرب وسياسة الغرب. والإعلام له صاحب، هذا أحد القوانين الكبرى التي تحكم آلة انتاج المصطلح الإعلامي. صاحب الإعلام هو صاحب الرأي أو صاحب رأس المال، ولا ثالث للإعلام بعد ذلك.

إذن، دعوني هنا، أتوسّع في الرؤية السياسية الناظمة للحياة بكل مستوياتها في المجتمع المحلي أو حتى الدولي. فكل رؤية سياسية قوية ومسيطرة كانت أو ضعيفة مستضعفة، فإنها تخلق فضاءً إعلامياً لا ينطبق جغرافياً على السلطة السياسية، فقد يكون الفضاء الإعلامي أوسع وأكبر من البقعة الجغرافيا التي تسيطر عليها السلطة السياسية، وخاصة إذا كانت مسيطرة وقوية، كما هي الحال في الولايات المتحدة. الفضاء الإعلامي الذي يتخلّق هنا بفعل الرؤية السياسية تنفّذه نُخبٌ مستفيدة أو

٤٦- من مقالات الشاعر والكاتب الكبير / الدكتور المتوكل طه (بتصرف)

راضية أو مسترضية، ويتحوّل الخطاب الإعلامي والفكري لهذه النخب إلى خطاب يُرضي الخطاب السياسي، ليس بطريق القوة فحسب، وإنما بطريقة الإقناع المتعدد الأوجه والأساليب. هذه بالضبط هي إحدى نظريات الإعلام الرأسمالي الذي يقوم على الإقناع والرضى. ما نحاول قوله هنا إنّ السلطة السياسية تصنع مجالها الإعلامي والفكري، عن طريق إشعاع المقولة الإعلامية أو الفكرية، بطريقة متسلسلة ومتراتبة تقوم على رغبة معظم الجمهور بالإندماج في هذه المقولة والدفاع عنها وتبنيها وعدم مساءلتها أو نقاشها. السلطة السياسية بفعل القوة أو الإقناع، تتحوّل إلى العنوان والشرعية والممثل الوحيد للجماعة، وبالتالي، فإن هذه السيطرة وهذا الحضور كفيلان بتحوّل الخطاب السياسي إلى مفردات ومفاهيم ومصطلحات تعبّر عن تلك السلطة.

السلطات السياسية الذكية والواعية تسمح بهوامش عديدة، ضيقة ومتسعة حسب مفاهيمها، ليتمّ نقدها من داخلها، وأن يتم الاعتراض عليها، لأن ذلك يحقق أمرين؛ الأول: إقتناع حقيقي بأن النظام السياسي والإجتماعي لا يُصحَّح ولا يُقَوَّم إلا بمثل هذه الإعتراضات والإنتقادات، الأمر الذي يجعل من هذا النظام قوياً ومتجدداً دائماً، والأمر الثاني: أن الاعتراضات والإنتقادات كفيلة بإزالة التوترات وبؤر الإنفجار وإلزام الجميع بقواعد اللعبة السياسية الاجتماعية. ومرة أخرى، نحن نتحدث عن النظام الرأسمالي الذي يجدد نفسه دائماً باعتباره مرجعية ذاته، وهو أمر نفتقده في الأنظمة السياسية والاجتماعية التي تدّعي إمتلاك الحقيقة، بحيث لا يمكن نقاشها أو مناقشتها أو حتى ترف الإعتراض عليها.

نخلص من هذا للقول إن اللغة الإعلامية بكافة تفاصيلها ومقولاتها المكتوبة والمحكية والمسموعة والمرئية ما هي إلا تجلّيات للخطاب السياسي الناظم للمجتمع، حتى وإن بدت هذه اللغة معارضة أو منتقدة أو غير مشاركة أو فاعلة. وأقول أكثر من ذلك: الإعلام في جميع الأنظمة السياسية الديكتاتورية منها والديموقراطية، ما هو إلا فهم المجتمع لنفسه، وتعريفه لذاته، ومقارباته المختلفة

مع المجتمع ذاته ومع تحدياته المختلفة. لا يمكن فصل السينما الهوليوودية عن خطاب الإدارة الأمريكية. الإعلام ولغته هما الشكل الخارجي للنظام السياسي، هما زيّه، وأذرعه واستطالاته، وعقله الذي يردّ به، وآلته التي يقاتل بها، ولا يَغُرّنا في ذلك ديموقراطية أو ديكتاتورية.

والديموقراطية هنا أذكى في التعبير عن نفسها، وفي حماية نفسها، وفي قدرتها على التكيف والاستمرار والإنتصار. الديموقراطية الليبرالية التي أعنيها هنا، هي أسلوب حياة سياسي واجتماعي، يعتقد أن المجتمع هو الوحيد القادر على تصحيح نفسه بنفسه، ولهذا، فإن الحرية المعطاة هنا هي جزء من القدرة على البقاء والإستمرار والنماء والعافية والصحة، ولا اعتراض لنا على ذلك سوى أن هذا لن يعمي عيوننا عن أن الديموقراطية الليبرالية هي لاصحابها ايضاً، وهي ذات أسنان وأظفار حين الحاجة وحين الظرف، والأهم من هذا الاّ تُعمي الديموقراطية الليبرالية عيوننا عن أن ما يبدو فيها من خطابات متناقضة ما هي إلا تمظهر حقيقي للنظام ، الذي حدد قوانين اللعبة وحدودها وأسلوبها وطريقة إدارتها وحتى نتائجها، فليس من الصدفة مثلاً أن تكون بريطانيا وأمريكا اللتان تضمان أكثر من ٤٠٠ مليون شخص ثم لا نجد فيهما غير حزبين كبيرين يتبادلان السلطة بين حين وآخر، إن ذلك يعني ببساطة أن النظام حدد كل شيء.

وثمة مطابخ ومختّصون نفسيون واجتماعيون وسياسيون وإعلاميون، تقف وراء إنتاج مصطلحات جديدة أو بديلة، بهدف الهبوط بالوعي العام من التمسك بالثوابت إلى حُفرة التنازل والتخلّي عن الحقوق، ذلك أن المصطلح يعبّر عن وعي أو وجهة نظر أو موقف محدد، فمثلاً كان مصطلح 'العمليات الاستشهادية' هو ما يُطلق على ما عرفناه في فلسطين، ليصبح المتداول فيما بعد، هو مصطلح 'العمليات الفدائية' ثم صار 'التفجيرية' ثم نزل إلى مصطلح 'الانتحارية' ليصل إلى أدنى دلالة يحملها مصطلح 'العمليات الإرهابية'.

هذا ما تقوم به وسائل إعلام الجهة النقيضة لنا، بوساطة التكرار والإلحاح، وتعميمه في كل خطاب سياسي أو ثقافي أو إعلامي أو اجتماعي أو حتى اقتصادي، عدا عن أن الجهة المُنتجة للمصطلح الجديد أو المُتغيِّر، تسعى إلى أن تجعله مصطلحاً تستخدمه وسائل إعلام أخرى ومؤسسات أهلية وغير حكومية، عبر ترغيبها أو ترهيبها، أو كشروط واستحقاقات مقابل دعمها لها، بوساطة غير طريقة وأسلوب.

ويتم ذلك بغياب جارح للمؤسسة العربية، وبعيداً عنها ! والإعلام لِطبيعة دوره، يقوم: إما بالتشكيك أو بالنفيّ أو بالتأكيد والترسيخ، ثم صار الإعلام، الآن، يخلق خطاب جديد يؤسس لوعي ومعرفة غير مسبوقة هنا أو هناك.

أين المصطلح الإعلامي في هذا كله؟!

يقوم المصطلح الإعلامي هنا بتلخيص المواقف والرؤى والمفاهيم، حسب المقبول والمُضمر السياسي والاجتماعي، وأكثر من ذلك، يقوم المصطلح الإعلامي هنا بقولبة الجمهور وضبط العمليات الاجتماعية بكل مفاهيمها. وهنا أيضاً لا بد من التوسع قليلاً في ذلك، فقولبة الجمهور عملية إتصال جماهيرية يتم من خلالها وضع السقوف والنماذج والسلوكيات المطلوبة والمحبّذة، وتوجيه وإرشاد هذا الجمهور حيث تريد العقلية الناظمة. قولبة الجمهور أي جعله متشابهاً في أفعاله وردود أفعاله، وهذا لا يتم سوى بفرض المصطلح الإعلامي بالتكرار والقوة والإقناع. أما من حيث ضبط العمليات الإجتماعية فهذا خاضع أيضاً للرؤية الكلية التي يخضع المجتمع لها بالجبر أو الطاعة. لنقارن هنا بين عمليات الضبط الأجتماعي في الصين مثلاً، وبين ما تفعله مصر لذات الأهداف، وسنرى الفرق الكبير بين العمليتين من خلال استخدام المصطلح الإعلامي، وكيف تم نشره وتعميمه وما هي نتائج كل عملية.

إذ أن المصطلح يختلف بآختلاف النظام، ويختلف بآختلاف التعريفات الأساسية للمجتمعات، ويختلف بأختلاف الأهداف والاصطفافات والمحاور.

وتناقض المصطلح الإعلامي يعني غيابها وعدم تأثيرها ومحدوديتها، وليس من الغريب هنا أن القضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني هو الذي فرض مصطلحين عالميين هما: الأنتفاضة والنكبة، لأنهما وُلدا من رحم الفعل المقاوم. ولكن، وعلى الجهة الأخرى، ليس من الغريب أن لا تستطيع الدبلوماسية العربية أن تفرض مصطلحاً إعلامياً واحداً على السياسة العالمية كما فعلت إسرائيل، لسببين أثنين لا ثالث لهما: الأول أن المصطلح الأعلامي العربي متناقض تماماً، فالثائر لدى هذا هو إرهابي لدى ذاك، والإستقلال لدى هذا هو احتلال لدى ذاك، والسبب الثاني غياب القدرة على صنع الإصطلاح، فالإصطلاح الإعلامي نستورده عادة مثل استيرادنا باقي المصطلحات الفكرية والعلمية والحضارية. لنأخذ مثالاً بسيطاً من مصطلحاتنا الإعلامية العربية ، فالخط الأخضر والمطلوبين والضفة الغربية والجيش الاسرائيلي، كل ذلك هي مصطلحات تُفرض علينا ونبتلعها دون الأنتباه الى مضامينها السياسية والأمنية.

أكثر من ذلك، نحن نسمع صباح مساء إسم وزير الدفاع الإسرائيلي وأن قوات الأمن الاسرائيلية قتلت فلسطينياً دون أن تعرف أين ومتى وكيف ولماذا، حتى تحسب أن هذا الفلسطيني هو سارق أو خاطف حقائب السيدات الاسرائيليات في إحدى المستوطنات مثلاً.

الحقيقة أن هذا يثير الفزع، لأنه ليس ساذجاً ولا عفو الخاطر، ليس في الإعلام براءة أو حسن نية، كل ما يظهر على الشاشة أو يكتب أو يقال فله هدف!

وضعف النظام السياسي أدى إلى ضعف المصطلح وارتباكه وتناقضه، وآختلاف النظام السياسي العربي في توجهاته أدى إلى أن تكون هناك فوضى إعلامية على مستوى المصطلح وعلى مستوى اللغة، وفي حالة رصدنا لثلاث أو أربع فضائيات عربية سنجد أخطاء وخطايا لا تتعلق بقضية الشعب العربي فقط وإنما بمجمل أهداف الشعب العربي نفسه.

وهذا يدعونا، مسئولين ومثقفين وإعلاميين، إلى البحث عن صيغة مشتركة مقبولة في حدّها الأدنى، من أجل تقريب المصطلحات بما يحقق المصلحة العليا للشعوب العربية، أو على الأقل أن لا تسيء لأحلامها أو آمالها أو أهدافها أو نضالاتها. فالمصطلح الإعلامي ليس كلمة تلقى في الهواء، فخلفه مضمون، ويُخفي أهدافاً، ويسعى لخلق فضاءات في الوعي، من أجل تغيير السلوك.

المصطلحات المفروضة على اللغة والقرار الإعلامي

ولقد كتبت في موضوعات أخرى في هذا الكتاب عن الاستخدام المضلل للمصطلح فمثلاً حين بدأ الإسرائيليون يستخدمون تعبير «الطرفين» للإشارة للإسرائيليين والفلسطينيين بهدف المساواة بين المعتدي الإسرائيلي والضحية الفلسطينية، وحين بدأوا يستخدمون تعبير«اشتباكات» للإشارة إلى جرائمهم في اغتيال طفل أو امرأة أو شاب، أو تعبير «مشتبه» به لتبرير قتلهم لطفل «اشتبه» أنه يحمل متفجرات، علما أنه عائد من المدرسة ويحمل حقيبته المدرسية.

ولكن هذه المصطلحات اليوم أصبحت أساسية حتى في نقل الخبر من قبل ضحايا العدوان أنفسهم. كما أصبح جيش الاحتلال هو المصدر الأساسي للخبر بسبب منع إسرائيل كل وسائل الإعلام الأخرى من التواجد في غزة وحتى في الضفة الغربية، حيث إن عمليات قتل الفلسطينيين تتم في أي زمان ومكان ويبقى مرتكب الجريمة الإسرائيلية هو المصدر الوحيد للخبر.

من هذا المنظور اعتبر القتلة الإسرائيليون الحقيبة المدرسية للطالبة بسمة النادري العائدة من المدرسة خطرا يبرر اغتيالهم لها، وهم يعلمون من هي بسمة النادري ولم يكن قتلها عشوائيا، فهي طفلة شاعرة كتبت القصائد لأطفال غزة.

وبالتزامن مع اغتيالهم للطفلة بسمة النادري، قاموا بقتل صمود محمد عكاشة الشابة الفلسطينية ذات السبعة عشر ربيعا، التي منعتها قوات الاحتلال الإسرائيلي من السفر إلى خارج البلاد لتلقي العلا ج، كما توفيت معها فاطمة

حسين الشندي أيضا من سكان مدينة غزة بسبب الحصار الإسرائيلي المفروض على غزة، وبهذا يصل عدد المدنيين العزل الذين لاقوا حتفهم بسبب إغلاق المعابر كافة المئات قبل البدء بالمجزرة التي أودت بحيات المئات في القصف الغاشم والمجزرة التي ارتكبها العدو الإسرائيلي بحق أهل غزة العزل، والجريمة مستمرة بسبب الحصار الإعلامي الإسرائيلي والعربي على غزة ومعاناتها.

وكي تتوصل إلى مثل هذه الحقائق البسيطة حول ما يجري، عليك أن تجري بحثا شاملا، لتجد أنك لن تحصل على أي منها في مصادر أجنبية، ولن تجد ذكرا لها في الإعلام العالمي الناطق باللغة الانكليزية، وأتوقع أن يكون الأمر نفسه في الإعلام الناطق باللغات الأخرى، وبذلك يرتكب حكام إسرائيل جرائمهم ويفلتون من العقاب، ولهذا يتجرأ الوزير الإسرائيلي العنصري يسرائيل كاتس بالتهديد « بتجويع الفلسطينيين في قطاع غزة» ويهدد ليبرمان سكان غزة بالقنبلة الذرية دون أي استنكار ولو لفظي من «المجتمع الدولي» أو «الصحافة الحرة» .

ولكن لو أن العرب قاموا بواجبهم فطالبوا المجتمع الدولي بإجبار «إسرائيل» على إعادة بناء كل ما دمرته في غزة، ودفع الأضرار لجميع الفلسطينيين الذي تسببت في قتلهم أو قتل أفراد من أسرهم سواء خلال العدوان الغاشم أو بسبب الحصار، لما تجرأت على الاستمرار في ارتكاب جرائم الحرب ضد المدنيين الفلسطينيين. يجب أن يعتبر حكام إسرائيل مسؤولين عن وفاة كل فلسطيني في غزة بسبب الحرب أو الحصار، لأنهم هم الذين يفرضون هذه الجرائم ضد كل القوانين والشرائع الدولية.

وبسبب عدم وجود مراجعة عربية للمصادر، واللغة، والمصطلح الإسرائيلي والتصدي لها بمصادر، ولغة، ومصطلح بديل، فقد أصبحت اللغة الإعلامية المستخدمة اليوم لتوصيف أخبار الشرق الأوسط منسلخة تماما عن حقائق ووقائع الصراع العربي – الإسرائيلي وآفاقه المستقبلية. ومثال ذلك شرط نتنياهو على جورج ميتشل أنه على الفلسطينيين أن يعترفوا «بيهودية الدولة الإسرائيلية»

قبل أن تفكر بالموافقة على إقامة دولتهم. أين يقيم الفلسطينيون دولتهم وكيف بعد أن يسلموا أن فلسطين المحتلة والمستعمرة والمستوطنة هي للمستوطنين وليست لهم، وما قيمة أي شيء آخر للفلسطينيين إذا ما اعترفوا بهذا وهم السكان الأصليون لفلسطين الذين أزيحوا، ولا يزالون يزاحون اليوم، في القدس بقوة السلاح وهدم المنازل ومصادرة الأراضي والتهجير القسري لآلاف الفلسطينيين، ليصبحوا إما لاجئين على أرضهم، أو ليجبروا على السفر خارجها. وما معنى أن يتحدث مسؤولون عن «حل إقامة الدولتين»، مع أن إحدى هاتين الدولتين ليست بحاجة إلى إنشاء من جديد فهي أقيمت وتوسعت على الأرض الفلسطينية بقوة السلاح وارتكاب الجرائم، ولكن هدف استخدام تعبير «دولتين» تجنب التركيز على إقامة الدولة الفلسطينية، لأن أي حديث عن طبيعة وصلاحيات وجغرافية الدولة الفلسطينية القابلة للحياة لا بد وأن يعني وقف وإزالة الاستيطان اليهودي للأرض العربية ووقف إجراءات التهويد الجارية في القدس، ومعالجة حقوق اللاجئين. ولذلك ينشغل المسؤولون من كل حدب وصوب بالحديث عن «إقامة الدولتين» وواقع الأمر هو أن إحدى الدولتين موجودة وتكبر يوميا على حساب حقوق وحرية واستقلال فلسطين التي تقضم أراضيها، ويهجر أهلها، وتهدم منازلها، وتتقلص مساحتها مع كل مغيب شمس بسبب هذه اللغة العائمة المضللة.

وفي كل الاتصالات والأحاديث الرسمية عن الحلول المقترحة للصراع العربي – الإسرائيلي يركز المتحاورون على «إسرائيل» مقابل أشخاص من الطرف الآخر بدلا من التركيز على فلسطين، وبهذا يتبعون أسلوبا برهن على أنه كارثي للعرب جميعا حين تم تلخيص العراق وشعبه بكلمتين صدرتا في التقرير الإعلامي الإسرائيلي لعام ٢٠٠٢ حيث طلب من جميع وسائل الإعلام العالمية حذف اسم «العراق» واستخدام هاتين الكلمتين «صدام حسين». وتضمن التقرير نفسه عدم الإشارة للفلسطينيين وحدهم بل الإشارة إلى الفلسطينيين والإسرائيليين كطرفين.

واليوم يتم تغييب أخبار جرائم إسرائيل كليا، أو أنها تذكر في موقع غامض، أو تبث في لحظة ميتة ويتم بعد ذلك إهمال الخبر كليا وعدم ذكره. فيما تنشغل أجهزة الإعلام العالمية والعربية بالأسير شاليط، تهمل وجود أصغر أسير في العالم «يوسف رزق» الذي لم يشعل شمعته الثانية في سجون الاحتلال، وتهمل الإقامة الجبرية المفروضة على الطفل لؤي شقير في قرية مجدل شمس الجولانية المحتلة.

وها هو يوم الأسير يمر مرور الأسير على الإعلام العربي المحاصر بالمصطلح الإسرائيلي. فيما تختطف مخابرات إسرائيل وتأسر وتعذب وتقتل كل يوم من تشاء من الشباب والأطفال والنساء دون وازع، بحيث يفوق اليوم عدد الأسرى في سجونها اثني عشر ألف أسير، ولا توجد حملة دولية للتضامن معهم أو لإجبار إسرائيل على إطلاق سراحهم، ولا أحد يسمع بالإجراءات الإجرامية التي تتخذ بحقهم. وفي هذا السياق نفسه أفاجأ أن أقرأ في مجلة «الإيكونومست» مقالا مطولا عن الإبادة في رواندا، التي حدثت منذ خمسة عشر عاما، ولم أقرأ في هذه المجلة وغيرها من معالم الصحافة «الحرة» كلمة عن الإبادة في غزة، التي حدثت منذ أشهر ومستمرة حتى اليوم من خلال الحصار والمنع والاغتيال والإغلاق. وهناك شعور لدى الجميع أنه من غير المقبول الحديث عن الإبادة في فلسطين أو العنصرية البشعة التي تمارس بحق عرب فلسطين وهذا الشعور يخلقه التوجه الإعلامي الذي يستكمل العمل العسكري والسياسي الذي يقتل ويهجر ويفتك. فمتى يقرر إعلاميو العرب إيلاء هذه المعركة ما تستحقه من جهد وتمويل ودراسة وتخطيط. لقد أصبحت جزءا لا يتجزأ من الدفاع عن الحقوق ومحاولة استعادتها وهي معركة ممكنة جدا لأننا أصحاب حق وأهل معرفة وأدب ولغة وفكر وحجة ومنطق. قد يكون هذا هو الباب الأول والأسهل لتغيير الموقف الدولي من قضايانا وحقوقنا.

توظيف اللغة الإعلامية لترويج السياسية الفكرية(٤٧)

عرفنا فيما سبق أن وظيفة اللغة هي بناء المعنى، ولذلك يؤكد الكثير من المتخصصين في علم الاتصال الإنساني أن من أهم وظائف اللغة الاتصالية هي بناء المعنى بين القائم بالاتصال والجمهور. والمعنى بهذا المفهوم هو عملية تفاعلية بين المصدر والمستقبل، وبين المتحدث والمستمع، وبين الكاتب والقارئ. وهذه العملية التفاعلية بين القائم بالاتصال ومستقبل الرسالة الاتصالية تتخذ من اللغة أساساً لها في التفاهم والتفاعل وتكوين المعاني المشتركة بينهما من جهة، أو المعاني التي يريد القائم بالاتصال إيصالها إلى المستقبل من وجهة نظره هو من جهة أخرى.

والأيديولوجيا تكمن في المعنى الذي يحاول القائم بالاتصال إيصاله إلى جمهور المتلقين لرسالته، ذلك أن الأشخاص يكونون معاني معينة عن البيئة المحيطة بهم (شخصيات، قضايا، أحداث، وقائع) من خلال وسيلة اللغة التي ينقلها إليهم عبر وسائل الاتصال المختلفة، وقد بين (ويلهيلم دلثي) في مفهومه للرؤية العالمية الكيفية التي ينظر بها الناس إلى العالم من حولهم من خلال الثقافة المكتسبة، واللغة والمعتقدات، ويؤكد أن معظم الرؤى والمفاهيم التي يتبناها الأشخاص خلال الوقت الذي خضعت لكثير من الدراسات التي حاولت أن تعرف الكيفية التي ينظر بها هؤلاء الأشخاص إلى البيئة المحيطة بهم وأفعالهم المتأثرة بها أن المفهوم الشامل الذي شرح فيه (ويلهيلم دلثي) الكيفية التي يبني بها الفرد رؤاه وتصوراته حول العالم المحيط به والتي يتصرف في أفعاله بناء

٤٧- الأيدولوجيا في اللغة الإعلامية / الدكتور. محمد بن سعود البشر

عليها، يتخذ من الأيديولوجيا أساساً له، فهو يقول: إن اكتساب الرؤى العالمية إنما هو نتيجة للأيديولوجيا المكتسبة، والأيديولوجيا المكتسبة إنما تكون عن طريق وسائل الإعلام، ووسائل الإعلام تصل إلى الناس عن طريق اللغة الإعلامية التي تبني أيضاً مفاهيم الناس عن الأشخاص والأحداث والوقائع والقضايا التي يعيشونها أو يسمعون عنها. ولاشك أن اللغة الإعلامية التي تحمل هذه الأيديولوجيا إنما هي من فعل القائم بالاتصال الذي يحاول إيصال المعنى المراد (الأيديولوجيا) إلى الجمهور.

ولإيضاح هذا المعنى ضرب (جون هو) مثلاً بالأيديولوجيا التي صاحبت الثورة الأمريكية المعاصرة، فهو يقول إن الانتشار الواسع للمعتقدات الحضارية والرؤى السياسية للثورة الأمريكية إنما قامت على المعاني المتجسدة في اللغة التي تنقلها وسائل الإعلام الأمريكية للعالم. وهذا المثال يؤكد ما أثبته عدد من الباحثين من أن اللغة هي أساس الفعل السياسي الذي يتخذ من وسائل الإعلام أداة فاعلة ومؤثرة لإقناع الناس به، وأن السياسية بجملتها هي تأثير اللغة، وبخاصة إذا استخدمت في حالات التحذير أو التهديد أو الهيمنة.

وبتأمل التاريخ السياسي المعاصر نجد أن اللغة الإعلامية كانت هي الأداة الأكثر تأثيراً في الترويج لكثير من الأيديولوجيات السياسية. فقد كان هتلر ومن معه يحملون تصوراً أيديولوجياً عن العالم وهم يخططون للتوسع والعدوان والحرب، معتقدين أن السلام لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التصور المستقر في أذهان النازيين. وقد كان هذا التصور الأيديولوجي سبباً لحرب عالمية كانت أكثر الحروب رعباً ودموية في تاريخ الإنسانية. وجاءت الثورة الشيوعية (الاشتراكية) التي تحولت من أيديولوجيا فلسفية إلى واقع مادي جسّده الاتحاد السوفييتي السابق، وفي الأحزاب السياسية التي تبنت الفكر الاشتراكي حول العالم. وشهد العالم كله فصول الحرب الباردة التي واكبتها وسائل الإعلام،

وكانت اللغة السياسية فيها أداة الصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي، إلى أن انتهت بتفكك الاتحاد السوفييتي في مطلع التسعينيات من القرن العشرين المنصرم.

والمد القومي العربي الذي روج له نفر من الساسة والمفكرين العرب في ستينيات القرن الماضي وأحدث تحولات كبيرة في المشهد السياسي العربي كانت فصوله تدار من خلال وسائل الإعلام العربية التي استخدمت لغة الثورة السياسية ضد كل موروث قيمي وثقافي في المجتمعات العربية.

ثم جاءت حرب الخليج الثانية على أثر الاحتلال العراقي للكويت الذي أعاد صياغة المشهد السياسي في العالم العربي. ثم وقعت أحداث الحادي عشر من أيلول فكانت تتويجاً لأيديولوجيات النخب السياسية المحافظة في الغرب لتسعى من خلالها إلى تصدير النموذج الأيديولوجي الغربي وفرضه على مجتمعات العالم تحت ذريعة (الحرب ضد الإرهاب). وقد زاد من تصعيد هذه الحرب الأيديولوجية ضد ثقافات العالم المختلفة التقدم التكنولوجي الهائل في صناعة الإعلام والمعلومة، فكانت اللغة الإعلامية التي جسدها النص المقروء والكلمة المسموعة والصورة المتحركة والساكنة أداة فاعلة ومؤثرة في الترويج للمعاني التي قصدتها من النخب السياسية والإعلامية في الغرب عامة والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص.

وإذا كانت الحرب تعطي الناس معاني مقصودة من السياسيين، فإن (الحرب ضد الإرهاب) التي روجت لها وقادتها الولايات المتحدة الأمريكية غرست مفاهيم معينة لدى الشعب الأمريكي، من مثل (لماذا يكرهنا العالم؟) دون أن تشير هذه المفاهيم إلى أن العالم يكره سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لا قيم الشعب الأمريكي. وإذا كان علماء اللغة يؤكدون أن القدرة على الاقتناع تكمن في القدرة على تعريف الشيء وتحديد مفهومه بطريقة تقنع الناس به، فقد تعامل الساسة الأمريكيون ببراعة فائقة في تحديد المفاهيم التي أرادوا لها أن تسود العالم، مثل تعريفهم للإرهاب والديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة والحرية والتسامح

بالمعاني التي يقصدونها وبالطريقة التي تخدم أهدافهم في الهيمنة على العالم. وقد لخص وزير الدفاع الأمريكي الأسبق دونالد رامسفيلد ذلك في مقولته الشهيرة: انتهت الحرب العسكرية وبدأت حرب الأفكار.

هذه الثورات السياسية والأحداث الكبيرة التي شهدها العالم المعاصر وما حملته من أيديولوجيات متباينة تسعى جميعها إلى الهيمنة على الثقافات والشعوب لم تكن لتحدث أثرها لو لم تكن هناك وسائل إعلام تنقلها للناس، ولغة إعلامية روجت لهذه الأيديولوجيات التي شغلت عقل العالم وفكره ولاتزال، وهو ما يؤكد أن اللغة الإعلامية هي أداة التعبير السياسي عن الأيديولوجيات.

استراتيجيات صفة التذكير في الاعلام(٤٨)

تضج نشرات الأخبار بفعاليات الساسة وصناع القرار، فيما يشيد مقال في جريدة يومية بدور الأطباء وموظفي الصحة بالتوعية بمرض أنفلونزا الطيور، وهذه مجلة عامة تجري لقاء مع هيئة استشارية تتكون من خبراء بشأن السبل الكفيلة بإحياء البساتين، وفي مجلة أخرى تعنى بالشأن النسوي تحديدا، في مقال عن الشخصية المبدعة تأتي العبارة الآتية: (إن ظروف العمل لا تخلق رجالاً مبدعين ولا تصنع عقولاً مفكرة إنما التحديات والمواجهات الكبرى هي التي تصقل المواهب)، وأخيرا وليس أخرا بالتأكيد يتبرع موقع الكتروني في زاوية مخصصة للأبراج بنصيحة مفادها: (اصطحب نصفك الآخر في نزهة نهاية الأسبوع فأنت بحاجة إلى الترفيه واستعادة نشاطك).

كم هائل من الأخبار والتقارير والأبحاث عبر أجهزة البث الإعلامي المسموعة والمرئية ووسائل الاتصال الجماهيري المختلفة تشترك في تقديمها الذكر موضوعا أو لغة وكأنه بؤرة الحياة ومركزها سواء جاء ذاتا فاعلة في تلك الأخبار أو متلقياً لها، يقابلها تغييب كامل للأنثى أو إظهار خجول يدور في ذلك

٤٨- مقال للكاتبة نهلة النداوي

المركز.ترى في ذهن أي من المتلقين/ ات انطبعت صور لطبيبات أو خبيرات أو موظفات صحيات أو مبدعات جنبا إلى جنب مع صور الأطباء والخبراء والمستشارين والمبدعين؟.. بل في ذهن من منهن/ هم ارتبطت صورة كونداليزا رايس عند الإشارة إلى صناع القرار، مع كل ثقلها الذي يصعب إنكاره في التأثير على قرارات صناع القرار في العالم؟ نحو إعلام غير جنوسي أحرزت وسائل الإعلام نتائج ملموسة على الصعيدين الشعبي والرسمي في تغيير الصورة النمطية للمرأة وخلق وعي متميز بقضاياها، على إن الإنصاف الذي اقتضى الاعتراف بجهود الإعلام في تصديه لمسؤوليته الاجتماعية لا يتناقض مع المؤشرات بوجود فجوات في أداءه قياسا إلى الإمكانيات الهائلة لوسائله التي من شأنها أن توظف بتخطيط واع لتعزيز (ندية) المرأة وكفاءتها في إدارة هذا العالم.

يمكن تصنيف ثلاثة مستويات في الأفاق المتاحة لوسائل الإعلام لتفعيل دورها الجهوري في إقصاء كل ما من شانه أن يشي بترتيب قيمي أدنى للمرأة.

المستوى الأول: (كمي)، يوجه وسائل الإعلام إلى أن تعمد كلما أمكن وكلما سمحت الموضوعات المعالجة فيها إلى الالتفات بالموازنة إلى عدد الشخصيات من الذكور والإناث ذواتا فاعلة، أو في أقل الممكنات بأن تعمد إلى مساواة النساء والرجال في التناوب الترتيبي في المخاطبة عندما يكونون ذواتا متلقيه.

المستوى الثاني: يتعلق بالمنحى (النوعي) وفيه يجب أن تحرص وسائل الأعلام على أن لا يقع فيها توزيع غير عادل للأدوار بين النساء والرجال مما من شأنه أن يعكس ثقافة تمييزية تتجلى في القوالب النمطية المهنية والافتراضات المتحيزة للرجال التي تحيط بالعمل والروابط الأسرية (غالبا ما تظهر المرأة سكرتيرة أو ممرضة أو معلمة فيما يظهر الرجل مديرا أو طبيبا أو أستاذا جامعيا وغالبا ما يجري الحديث مع المرأة –على سبيل المثال– عن آليات الوصول إلى قلب الزوج أو إلى تكوين أسرة سعيدة بأن تبتسم في وجه زوجها عند عودته من العمل ولا تتشكى من الإرهاق ومشاكسات الأولاد والبنات فيما يغيب في

المقابل الحديث مع الرجل عن بذل الجهد والتنازلات وصولا للغاية نفسها فضلا عن غياب صورة المرأة التي تعود من العمل مرهقة فيما يكون الرجل عاطلا عن العمل (كما هي الحال في العديد من الأسر).كما يجب الحرص على الانتباه للسمات النفسية والانفعالية والجسدية التي يتم توزيعها بين الجنسين على أساس تصنيفي لا على أساس أنساني (تظهر المرأة مضحية، مطيعة، رقيقة، جميلة، عاطفية، ناكرة للذات، ويظهر الرجل قويا، شهما، ذكيا، قياديا، مبادرا، مع إن الشهامة أو القوة أو الرقة وغيرها صفات إنسانية ممكن أن تتحلى بها النساء والرجال على حد سواء).

أما المستوى الثالث فيتعلق بـ (اللغة المحددة للجنس) في وسائل الإعلام ، وهذا المستوى هو المحور الرئيس لهذا الموضوع ويتميز بأهميته على المستويين المتقدمين بسبب إن الأخيرين قد يتعذر العمل بهما نتيجة الواقع الفعلي أحيانا للذوات الفاعلة كما ونوعا فضلا عن الأدوار المناطة بها الخاضعة عمليا للتمييز،فيما يبقى المستوى اللغوي حاضرا دائما كونه وسيلة الاتصال أولا وبسبب خطورته ثانيا في ضوء جدلية العلاقة بين اللغة والفكر وإسهام كل منهما في تشكل الآخر.

اللغة المحددة للجنس

يمكن القول ببساطة إن اللغة المحددة للجنس تشمل كل تمظهر للغة على مستوى البنية أو الاستعمال، من شأنه أن يصرح أو يوحي بموقف متحيز لصالح نوع (جنس) ضد غيره، قصديا كان هذا التمظهر أم اعتباطيا.– غني عن القول هنا إننا في الغالب نمارس التمييز اللغوي ولن يغير شيئا القول إننا لم نكن نقصد ذلك –.وقد عرف المعجم النسوي اللغة المحددة للجنس بأنها: التصوير لهيمنة الذكورية في البنيان اللغوي والاستعمال اللغوي أيضا.

فاللغة المحددة للجنس واحدة من أهم وأقوى الأدوات التي يتم بها ارتكاب التفسير الذكوري للعالم لما يتضمن أن النساء اقل وإنهن سلبيات مستقبلات، وإنهن بالتعريف خاضعات للرجل وتابعات له.

الوأد اللغوي

تحمل اللغة العربية في بنيتها – تشاركها لغات أخرى – ايديولوجيا تمييزية تتضح بعض تجلياتها مثلا في استخدام قاعدة (المذكر هو الأصل) في أكثر من مبحث أو أكثر من حكم من الأحكام اللغوية...الخ) حتى المثال لا الحصر إذا اجتمع المؤنث والمذكر يتم تغليب الأخير بالقول (أكذا)، وأكثر من ذلك معاملة الجمع اللغوي لمئة امرأة بينهن رجل واحد بالقول (أكذوا) ولا يجوز القول: (أكذن)، وغير ذلك كثير في البنية اللغوية في مباحث مختلفة إذ تصتف المرأة مع الأعجمي في خانة الممنوع من الصرف وتصنف في خانة واحدة مع مالا يعقل في جمع المؤنث السالم، ولا يحق لها أن تأخذ تاء التأنيث في ألفاظ مثل (نائب، وزير، أمين عام.. الخ) حتى لو شغلت مقاعد تلك الوظائف. ويتضح خطر الايديولوجيا التي تقف وراء ذلك التصنيف أو التغليب أو الحجب بامتداده إلى الفكر والى الخطاب المعاصر حيث تعامل المرأة معاملة الأقليات من حيث الإصرار على حاجتها للدخول تحت حماية أو نفوذ الرجل.

فجدلية العلاقة بين اللغة والفكر واثر كل منهما في تشكيل الآخر جعلت الحضور المهيمن والطاغي للذكر في اللغة يقود إلى هيمنته في واقع الحياة، فيما أسهم الوأد اللغوي للأنثى من جانب آخر في تصنيف قيمي سلبي بل في غياب لدورها في الحياة.ضوء في آخر النفقوإذا كان هذا وضع اللغة على مستوى البنيان بعد أن رسخه فكر ذكوري اسقط الجبرية البيولوجية إسقاطا ثقافيا، ثم دافع عنه وحرسه تاريخ ذكوري أيضا على المستويات السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية منفصلة ومتداخلة... إذا كان هذا وضع اللغة فإن للاستعمال اللغوي شأنا آخر لتعلقه بوعي الجماعات التاريخية، فبعض تلك

الجماعات لا تكتفي بأن تكون حاملا سلبيا لوعي اللغة ولايديولوجيتها متصدية لهذه الأيديولوجية بالارتكان إلى الخاصية التحويلية في اللغة بوصف الأخيرة نظاما قادرا على امتصاص الفعل الفردي الجديد وغير المحدود ضمن حدود قوانينها. وقد حدث في تاريخ اللغة العربية وعي تمثل في لغة القرآن في مساواتها بالخطاب بين النساء والرجال بعد أن كان خطاب الأولى يتم بطريقة مباشرة من خلال خطاب الرجال فذكرت المؤمنات مع المؤمنين والمهاجرات مع المهاجرين...الخ.

لكن هذا الوعي لم يمتد على مستوى الاستخدام في الخطاب العربي المعاصر، في الوقت الذي نجحت فيه مجتمعات معاصرة- المتحدثة بالانجليزية مثلا - بتجاوز آيديولوجيا اللغة التي تستخدم كلمة (man) للإشارة إلى الرجال والنساء عموما، تجاوزته بوعي مغاير يدعو إلى اقتراح وضع مفردات جديدة ليس فيها هذا الانحياز مثل (chairperson) أو بتناوب (chairman) و(chairwomen). أسس ستراتيجية إن غياب الوعي المتطور على آيديولوجيا اللغة في الخطاب المعاصر يحمل الأعلام مسؤولية مضاعفة تتمثل في التوعية بظاهرة اللغة المحددة للجنس ثم – وهو الأهم – العمل على التخلص منها في وسائله المتعددة.وإذا كانت أولويات التوعية اللغوية للتخلص من المحددة للجنس تعتمد البدء بالمجموعات شبه الجاهزة لقبول التغيير فان الإعلاميات والإعلاميين بتصديهم الدائم للدفاع عن حقوق الإنسان هم الأكثر جاهزية للتخلص من التمييز اللغوي، مما يجعل الإعلام بالنتيجة احد ابرز الأسس الستراتيجية سعيا لحو انسنة الخطاب والابتعاد عن الازدواجية (الفكر لغوية) حين تتبنى العاملات والعاملون في النهوض بقضايا المرأة واثبات وجودها الكفوء بلغة تغيبها. خطوة أولى على طريق الألف ميل أولت الموجة النسوية الثانية اهتماما كبيرا بالآثار المادية والسياسية المترتبة على حياة المرأة نتيجة التحيز اليومي للرجل في الاستعمال اللغوي الاجتماعي والاستعمال في الإنتاج الثقافي، فيما أثارت الأمم المتحدة لأول مرة في المؤتمر العام لليونسكو عام ١٩٨٨ موضوع اللغة المحددة

للجنس مستكملة بذلك أنواع رفضها لأشكال التمييز ضد المرأة التي نصت عليها اتفاقية عام ١٩٨٠ محذرة من أية استخدامات للغة "قد تترجم على إنها تخفي تحيزا ضد النساء، أو تمييزا للرجال عليهن، أو تقليلا من شأنهن، حتى لو لم يكن المتحدث/ثة تقصد ذلك. وكان ان تصدت بعض مؤسسات النشر ودورها لمسؤوليتها فألزمت شركة ماغروهيل للنشر المتعاملات والمتعاملين معها ببعض الاشتراطات وقدمت لهم دليلا لمعاملة الجنسين بالمساواة منبهة إلى مستويات التعامل المتوازن، وأفردت للغة المحددة للجنس احد هذه المستويات.

وكذلك قدم الناشر والمدير التربوي لدار فريان ناثان توصيات للكتاب والكاتبات بممارسة أقصى درجات الحذر عند الكتابة تحاشيا للوقوع في النماذج التمييزية في الصور المقدمة عن الرجال والنساء.

اقتراحات

تقول "جوليا كريستيفا": "التغيير يبدأ باللغة". ومع ما تقدم من كون أهل الإعلام أكثر الجماعات جاهزية لتقبل التغيير مع زيادة التواصل الجماهيري مع الإعلام ووسائل الاتصال، ومع الإمكانيات الماضية في التزايد في هذا المجال يمكن القول بأن وسائل الإعلام والاتصالات هي الميدان الأمثل الذي يمكن من خلاله إقصاء اللغة المحددة للجنس سعيا للنهوض بصورة المرأة والإسهام بشكل فعال في مجال تنميتها.

ومن اجل تحقيق ذلك هذه بعض المقترحات الأولية التي تحتاج إلى التعزيز والإضافة من قبل المعنيين:

١ - العمل على تطوير إمكانيات العاملين والعاملات في مجال الإعلام عن طريق إنشاء وحدات توعية وتدريب على كشف اللغة المحددة للجنس، ثم التدريب على معالجتها.

٢- التنسيق بين الأجهزة الإعلامية المختلفة وإنشاء شبكة لتبادل الخبرة في مجال تغيير اللغة المحددة للجنس لتوحيد تلك الخبرات والاستخدامات وتعميمها.

٣- العمل على الاستعانة بالخبرة الأكاديمية في مجال التخطيط لتغيير اللغة المحددة للجنس، الباحثات والباحثون في مجال اللغة مسؤولون بشكل مباشر عن تحديد الألفاظ والتراكيب والأمثال والاستعمالات كافة التي تصنف ضمن الجنوسة، ومن ثم تقديم بدائل عنها مما يمكن استخدامه من جوازات اللغة أو أية طريقة أخرى مقترحة.

وأخيرا فان التخلص من اللغة المحددة للجنس في الخطاب الإعلامي قضية صعبة، لكنها بالتأكيد ليست مستحيلة.

لغة الخطاب الإعلامي وأساليب تحليله

لم يحظ الخطاب الإعلامي باهتمام الباحثين اللغويين العرب إلا في الآونة الأخيرة؛ فقد بدأت الدراسات العربية في تحليل الخطاب خلال الثمانينات، على الرغم من تطوره في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، ويمكن استخدام تحليل الخطاب في مجالات البحوث الاجتماعية كافة وفي مقدمتها البحوث الإعلامية، فعملية تأصيل الخطاب الإعلامي ومكوناته وتشكيلاته والتغيرات التي تصاحبه في الممارسة ضرورة لفهم الخطاب الإعلامي وموقعه من اللغة الاتصالية كنظام عام وقد تحول الخطاب الإعلامي في عصرنا إلى خطاب رئيسي، وهو الخطاب السائد والشائع الذي يهدف إلى الإخبار والتأثير على السامعين والقراء، ظهر في الآونة الأخيرة ما يعرف بالاتجاهات اللغوية الاجتماعية التي اهتمت بدراسة اللغة الإعلامية من منظور ثقافي، برز بوضوح هذا الاتجاه في أعمال بل Bell الذي اهتم بدراسة الملامح المتغيرة للسياق الاجتماعي وقد بحث جان جمبيرز John Gumprez في التغييرات التي تحدث في الخطاب والتي تعلمنا الخلفية اللسانية والثقافية والاجتماعية ثم السياقية المتفاعلة فيما بينها من أجل التفسير والتأويل، واقترح نتيجة لذلك مصطلحاً كان قد قدمه دل هايمز D.Hymes، وهو المقدرة الاتصالية Communicative Competence، والتي تعني أننا يجب أن نتجاوز وصف الصيغ المستعملة في اللغة لنركز على وجوه المعرفة المشتركة بين المتكلم والسامع قد دعا جمبيرزGumprez إلى منهج يستطيع أن يربط محددات تأويل السياق بالاستعدادات لإنسانية من أجل الدخول إلى عالم الخطاب، واقترح تعديلاً في تعريف المقدرة الاتصالية ليصبح كالتالي:

المعرفة الاتصالية هي معرفة الأدوات اللسانية- الاتصالية التي يملكها المتكلمون المستمعون من أجل أن يخلقوا حالة معينة تمكنهم من الانخراط في

الحديث لجعله مستمراً وقد طور العالم الاجتماعي الأوربي جورجين هابرمس (J.Habermas) مفهوم المقدرة الاتصالية إلى نظرية

وقد أثبتت نظرية الخطاب أن هناك تنوعاً في حالات الكلام في المجتمعات، كما أثبتت النظرية أن المشاركين في الحديث ينبغي ألا يتفقوا مع ما سوف يقال في الخطاب

مدارس تحليل الخطاب: ظهرت في مطلع الثمانينات مدارس تحليل الخطاب التي انتشرت وأصبح لها وجود وتأثير ملحوظ

في الدراسات الأجنبية والعربية، منها[49]:

المدرسة التوليدية التحويلية Geneticism and Transformatism:

تعد إضافات المدرسة التوليدية التحويلية امتدادا لجهود بلومفيلد وهاريس ويمكن وضع مفهوم الخطاب في مقابل ثنائية شومسكى Chomsky الكفاية والأداء اللغو، والذي تخطى بها الدراسة السطحية التي تنتهجها اللسانيات البنيوية، ولا تتعداها للبحث عن المستوى العميق للكلام، ولا تأخذ مبدأ التأويل في حسبانها، إن الدارس التوليدي التحويلي يعالج عملية التكلم وميكانيزماتها التي تظهر في استعمال المبدع للغة.

مدرسة اللغويات النقدية Critical Linguistics:

ظهرت مدرسة اللغويات النقدية في السبعينات من القرن العشرين، بجامعة ايست انجليا على يد مجموعة من الباحثين، وتقوم هذه المدرسة على محاولة الدمج والتأليف بين الدراسات اللغوية النظامية، والدراسات اللغوية الاجتماعية، والمناهج النقدية، والدراسات السميولوجية، ولعل ترو Trew، وهودج وكريس Hodg&Kress، من أبرز رموز تلك المدرسة، حيث قدم الأول أبحاثا عديدة حول

٤٩- مدارس تحليل الخطاب الإعلامى / هبة عبد المعز أحمد

مسيرة الخطاب في الصحف، بينما ركز كل من هودج وكريس على سلاسل التناص في الممارسات الخطابية.

المدرسةُ الفرنسية:

تمايز بين الملفوظ والخطاب؛ فالملفوظ متتالية من الجمل لا تشترط وجود دلالة، أما الخطاب فهو ملفوظ ذات دلالة، يؤيد مانكينو تعريف المدرسة الفرنسية للخطاب مع (كيسبن) حيث تتم فتكون الدراسة اللسانية لشروط إنتاج النص تجعل منه خطاباً، في فرنسا اهتم تحليل الخطاب بالمعنى التقليدي أي كل ما تهتم به اللسانيات بالمعنى السوسوري، وهو الطابع السياقي غير المتوقع الذي يحدد قيمًا جديدة لوحدات اللسان، قدم تحليل الخطاب الفرنسي نموذج سياسي 'نموذج البطل'، بدأها فريق التحريات برئاسة روبرت في أكس-إن- بروفانس.

المدرسة الشكلية الروسية Russian Formalism:

أفرزت الثورة البلشفية في روسيا بعض الأفكار الجديدة في حقول الأنثروبولوجيا واللسانيات أدت إلى نشوء مدرسة جديدة سميت بالشكلية الروسية أو الشكلانية الروسية، حددت المعطيات الخاصة التي يمكن أن نسمي بها خطابا ما أنه أدبي، إن رومان جاكسون هو الذي أعطى لهذه الفكرة صيغتها النهائية حين قال إن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب، وإنما الأدبي Litteraritأي ما يجعل من عمل ما عملا أدبياً.

مدرسة باريس السيميوطيقية Sémiotique:l'école de Paris:

يعد جوزيف كورتيس J.Courtès من أهم أعضاء مدرسة باريس السيميوطيقية إلى جانب بعض الباحثين الذين درسوا في جامعات العاصمة الفرنسية ومؤسساتها العليا ومنهم: ميشيل أريفي M.Arrivé وشابرول C.Chabrol وجان كلود كوكي J.C.Coquet، وآخرون وكانوا تلامذة أندري جوليان گريماس وقد صدر عن أصحاب هذه المدرسة كتاب جماعي بعنوان:

ألسيميوطيقا: مدرسة باريس Sémiotique:l'école de Paris ألذي يترجم أهم تصوراتها النظرية والمنهجية والتطبيقية. حيث تستند إلى تحليل خطاب النص بنيويا بطريقة محايدة تستهدف دراسة شكل المضمون للوصول إلى المعنى، ما يهم السيميوطيقي هو (كيف قال النص ما قاله)، ويعد هذا منحى صعب في اللسانيات وهو المدلول أو جانب المعنى أو الدلالة أو التدليل Lasignificatio.

المدرسة التوزيعية Distributionalism:

إن النظرية التوزيعية في اللسانيات الحديثة أسهمت بفضل جهود بلومفيلد Ploomfield، وهاري Z. S. Harris في دراسة قواعد الجملة وتحليلها، في ظل تحليل الخطاب الذي يبحث عن معرفة المقاييس وبنائها، دفع تحليل الخطاب هاريس إلى تعريف مجموعة التكافؤ والتقارب، بين ملفوظين حتى يبرز طريقته المنهجية التي ركزت على النص الإشاري، ويشير ديبوا إلى المفهوم الجديد عن طريق نص تم بناؤه، ولقد ارتبط التحليل التوزيعي بالنزعة السلوكية Behaviorism التي راجت في الولايات المتحدة الأمريكية بداية من سنة ١٩٢٠، فكان من أهدافها تحقيق الموضوعية في دراستها، وقد حمل لواءها ليونار بلومفيلد، وتجلت مبادئ المدرسة التوزيعية في محاولتها لتحليل الخطاب ودراسة توزيع الوحدات اللسانية عن طريق المدونة Corpus والوحدات.

مدرسة التحليل الثقافي culture generic analysis:

تأسست مدرسة التحليل الثقافي[1]العام في رحاب مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام في بريطانيا عام ١٩٦٤، إلا أن أصولها ربما ترجع إلى نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات، ومن أبرز أعلامها: ريتشارد هوجارت، وتومبسون، وستيوارت هل، لكن ربما كانت أعمال رايموند ويليامز الأكثر أهمية في تأسيس هذه المدرسة التي ربطت بين الثقافة والإعلام الجماهيري، وقد تأثرت بالفكر الماركسي التقليدي وبالمدارس النقدية خاصة مدرسة فرانكفورت، وكان لنظرية ألتوسير تأثير كبير على مناهج الدراسات الثقافية.

المدرسة الألمانية: ظهرت في الجامعات الألمانية مدرستان في تحليل الخطاب الإعلامي.

١. مدرسة ديوسبرج: وارتبطت بسيجموند ييجر الذي أسس منهجه في التسعينات من القرن العشرين على نقد كل من البحث اللغوي التقليدي والبحث الاجتماعي؛ فاللغويون _ كما يرى ييجر_ يركزون على الشكل دون المضمون والبحث الاجتماعي يفتقر إلى نظرية أو طريقة بحث محددة لتأويل النصوص، ويؤكد ييجر أن إجراءات تحليل الخطاب يجب أن تظل كيفية، كما ينفي وجود وصفة أو إجراءات روتينية يمكن تطبيقها عالمياً عند تحليل الخطاب.

٢. المدرسة الثانية مدرسة فيينا: ترتبط بأعمال أستاذ اللغويات التطبيقية روث ووداك التي تعتبر أشهر من يمارس تحليل الخطاب على المستوى العالمي في الدول الناطقة بالألمانية ويعتمد منهجها على الأبحاث الاجتماعية وأعمال مدرسة فرانكفورت وميشيل فوكو وستيوارت هال واستفادت من عالم اللغة الألماني يوتس ماس وهى تميز بين ثلاث مستويات من التحليل: المضمون والاستراتيجيات الجدلية والملامح اللغوية، كما تؤكد على البحث في تاريخ الخطابات، ويؤكد لنجر أن العنصر الرئيسي في فكر مدرسة فيينا هو منهج الخطاب التاريخي.

مأزق اللغة العربية
في وسائل الإعلام وخصومها

وسائل الإعلام تمثل الواجهة التي تعكس مختلف التفاعلات الثقافية والقيمية في أي مجتمع. ولأنها كذلك، فإنها تؤدي أخطر الأدوار في الارتقاء باللغة العربية أو الحط من شأنها. ذلك أن التأثير الهائل الذي أخذت تلك الوسائل تمارسه في حياة الناس أصبح يضعها في مقدمة العوامل المؤسِّسة والمشكلة للإدراك العام. ذلك حاصل في كل دول العالم الآن، ولا نستثني من ذلك بلادنا العربية والإسلامية وذلك لأن ما يحدث للغة العربية هو أكثر من الإساءة. فلغتنا الفصحى تهان يوميا في مختلف وسائل الإعلام العربي، على نحو لا يكاد يتصوره أي إنسان سوي ينتمي إلى هذه الأمة.

ومن مفارقات زماننا، أن اللغة العربية كانت تعامل باحترام كبير حين كانت الأمية سائدة في مجتمعاتنا، حيث شملت ما متوسطه أكثر من ٧٠٪ من السكان، وحين كانت أوضاعنا الثقافية ووسائل الطباعة والنشر والاتصال أكثر تواضعاً بكثير مما هي عليه الآن. ولكن حين تراجعت نسبة الأمية، وعمت المدارس والجامعات، وتقدمت وسائل الطباعة والنشر، لقيت اللغة العربية ذلك المصير البائس الذي صرنا بصدده.

نعم ارتفعت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أصوات دعت إلى الكتابة بالعامية، وإلى كتابة العربية بالأحرف اللاتينية على غرار ما جرى في تركيا، ولكن تلك الأصوات فضلاً عن أنها كانت استثنائية ونشازاً وقتذاك، فإن أصحابها كانوا أيضاً من المتهمين في انتمائهم الأصيل للأمة.

فقد كان صاحب استخدام العامية في الكتابة بديلاً عن الفصحى هو مهندس إنجليزي عاش في مصر اسمه ويلكوكس (ترجم الإنجيل إلى العامية المصرية ومات

عام١٩٣٢م). أما الذين أيدوا فكرة الكتابة بالأحرف اللاتينية، فقد كانوا نفرا من المبهورين بالغرب، وقد إنتشرت في عصرنا الحالي طرق غريبة لكتابة العامية بالأحرف الإنجليزية وخصوصاً عبر شبكة الإنترنت.

وعلى العموم فالدعوات القديمة وجهت بصد قوي من المجتمع، وماتت في مهدها. وكانت الحملة المضادة التي قام بها المجتمع في مقاومته لتلك الدعوات، تعبيرا عن الغيرة على الفصحى والاحترام والإكبار اللذين حظيت بهما آنذاك.

وليس خافيا على أحد الجهود التي بذلتها الدول الاستعمارية لمحاربة الحرف العربي وليِّ ألسنة الجماهير في بلادنا، كما أنه غني عن البيان أن تلك الجهود كلها فشلت، وظلت أمتنا تدافع عن الحرف العربي الذي عد آنذاك رمزا للهوية وراية للانتماء.

ومن مفارقات الأقدار وسخرياتها أن اللغة العربية ظلت صامدة طوال عهود الاحتلال، ولكنها هزمت بعدما رحل الاستعمار، وارتفعت نسبة المتعلمين، وضوعفت معدلات المدارس والجامعات.

الملاحظ في هذا الصدد أن خصوم اللغة العربية في السابق كانوا من المتغربين والمعادين للانتماء العربي والإسلامي، لكن حدود حركة هؤلاء لم تتجاوز المبادرات الشخصية، التي ظلت محدودة التأثير. إلا أن الأمر اختلف الآن تماما من زاويتين. الأولى، أن إهانة اللغة العربية والحط من شأنها أصبح سلوكا عاما في المجتمع، لم يعد مقصورا على فئة دون أخرى، كما أنه غدا عند البعض من آيات الحداثة. الثانية، أن العدوان على اللغة وابتذالها أصبحا ظاهرة عامة في وسائل الإعلام، بتأثيرها الهائل على عوائد الناس وسلوكياتهم.

محنة اللغة العربية في وسائل الإعلام لها ثلاثة مظاهر، هي:

- شيوع الأخطاء النحوية في العربية الفصحى المستخدمة، والتي هي ركيكة في الأساس.

- شيوع الكتابة بالعامية في المقالات والإعلانات، وفي تقديم البرامج التلفزيونية والإذاعية.
- كثرة استخدام المفردات الأعجمية في ثنايا الخطاب الموجه إلى المتلقي العربي، وفي بعض الأحيان تنشرالصحف العربية إعلانات كاملة باللغات الأجنبية، بل إن هناك مجلات عربية وبرامج إذاعية وتليفزيونية تحمل أسماء وعناوين أعجمية، مكتوبة بالأحرف العربية.

في صحيفة (الأهرام) القاهرية – التي هي من أهم وأقدم الصحف العربية المصرية – ثمة إعلان ينشر كل يوم جمعة بعرض ثمانية أعمدة يقول: إن ما كانش عندك أولاد – اكفل طفل يتيم في بيتك – وتحت هذا العنوان الحديث النبوي الذي يحث على كفالة الأيتام. وفي الإعلان خليط من عامية الخطاب وركاكة الفصحى والخطأ النحوي. وذلك ليس استثناء، ولكنه تجسيد للغة كاملة أصبحت تهيمن على المواد التحريرية والإعلانية في الصحف، ناهيك عن تلك التي تستخدم في التليفزيون والإذاعة.

في تلك الصحيفة العريقة أيضا ظهر ذات يوم إعلان على صفحة كاملة لأحد المصارف تقول كلماته ما يلي: كل اللي حوِّشناه حطيناه في الشقة، حنجيب العفش ازاي؟ (أي كل الذي اذخرناه وضعناه في السكن، فكيف سنحصل على الأثاث إذن؟) والإجابة عن السؤال في ركن جانبي، تهدئ من قلق السائل قائلة إن البنك حاضر للإقراض وحل الإشكال.

ربما عنّ للمعلنين أن الكتابة بالعامية تسهل التوصيل إلى المتلقي، ولذلك فإنهم لا يبالون بالفصحى ولا بالنحو، يشجعهم على ذلك لا ريب أن الصحف لم تعد تكترث باللغة التي يظهر بها الإعلان، لأن كل اهتمامها منصب على مدخوله وحصيلته! لكن مايستلفت النظر في هذا الصدد أن بعض الكتاب أصبحوا يطعِّمون كتاباتهم بعبارات عامية، وهناك آخرون يتزايد عددهم، ينشرون نصوصا كاملة بالعامية.

في أحد ملاحق جريدة (الأنباء) الكويتية وجدت عدة مقالات مكتوبة بالعامية، هذه مقتطفات منها.

تحت عنوان (أقوال مأثورة)، كانت المقولة الأولى كما يلي. كل ريّال كاشخ تلقى مرته غاسله شراعه، لكنه يبى يبين للناس شكثر هو سنع، وشكثر مهتمه فيه وتسوي له كل اللي يبيه.

وفي مقالة عن أشهر عبارات الحب والغزل في التاريخ كما تخيلها أحد الكتاب وردت العبارات التالية، التي يفترض أنها من رجل محب إلى فتاة وقع في غرامها. كتبت بالعراقية العامية.

ساوصف فيج شخللي منج، طيبه قلبج وضحكه سنج، ونبره صوتج، ولوية حنجج جنج حصان قاعد يتعلج! شهالزين وشهالدلال، الشعر جنه نفيش، والقذله جنها شعر بنات.........إلخ.

في مقالة تالية تحدث أحد الكتاب عن قصة ذهابه إلى السينما مع عائلته، فاستهل مقالته بالفقرة التالية: كنا ملتمين نطالع أحد الأفلام الأجنبية، أنا وبناتي، وبصراحة مُحلو الواحد يشوف له فيلم وعنده بنت صغيرة مثل بنتي، كل ثلاثين ثانية تسأل. ليش سوّى هذا جذيه؟ وليش هذي سوّت جذاك؟ هالأسئلة تخلي الواحد يشوف الفيلم أقساط مثل اللي كل ما سألتني بنتي أرد عليها ما اقول لج انتي درسوج انقليزي من أول ابتدائي، والحين انتي بتروحين ثالثه، والمفروض تركزين على الفيلم وتسمعين الحجي وتفهمين... طبعا كلامي ما عجب بنتي النزقه، وبرطمت، وبعدين بجت وبجها غريب عجيب، تقول كميرسير ثلاجه يون.

ليست بلاد المغرب بأفضل كثيرا من بلاد المشرق، فالبلاء عم الجميع، وقد أزعم أن التحديات في المغرب أقوى بكثير منها في المشرق، سواء لأسباب ثقافية تاريخية، بعضها يتعلق بخصوصية الاستعمار الفرنسي المتمثلة في تركيزه على الإلحاق الثقافي، أو لأسباب تتعلق بالقرب الجغرافي النسبي من أوروبا الذي جعل التغريب أشد وطأة، وربما أيضاً لأسباب تتعلق بالتركيبة السكانية وحرص بعض

العناصر ذات المصلحة على تقليص دوراللغة العربية، في إثارة نعرات داخلية تفرق الأمة وتزعزع وجدنها وكيانها الثقافي.

غير أني قبل أن أذهب إلى أبعد في تحرير الظاهرة وتقصي أسبابها، أود أن أوضح موقفا أرجو الاتفاق عليه فيما يخص التعامل مع اللهجات المحلية واللغات الأجنبية. وذلك أنني أرى أن وحدة اللغة من عناصر وحدة الوطن من ناحية، ووحدة الأمة من ناحية ثانية. ومع انحيازي الذي لا أخفيه للفصحى، إلا أنني لست ضد العامية بإطلاق، وبداهة فإنني لست ضد تعلم الأجنبية والتمكن منها. لكني أقول بوضوح إن احترامنا للعامية بوصفها لغة التعامل اليومي في أقطارنا، واحترامنا لتعدد اللهجات واختلافها في العالم العربي، لا ينبغي أن يكون على حساب وحدة اللغة في الدولة أو على حساب الفصحى بأي حال. وكنت أتصور أن يتطور خطابنا بحيث نقرب العامية إلى الفصحى، ولكن الذي حدث هو العكس للأسف الشديد، فقد زحفت العامية على خطابنا على نحو أدى إلى تراجع مستمر للفصحى. ولا أريد أن أقول كلاما نكرره كثيرا حول أهمية التمكن من اللغات الأجنبية، ليس فقط لضرورة التفاعل مع الثقافات الأخرى، ولكن أيضاً لأن هناك لغات تتقدمها الإنجليزية، أصبحت سبيلا وحيدا للتواصل في ظل ثورة الاتصال الراهنة. لكني ألح على أن التمكن من اللغات الأجنبية يصبح قضية ثقافية وحضارية إذا سبق التمكن من اللغة العربية، بل يصبح مقدمة للانتحار الثقافي إذا جاز التعبير.

ومن المؤسف أن عالمنا العربي يركض على نحو مفجع صوب تعلم اللغات الأجنبية، بينما تتسارع بذات القدر معدلات هجرته للغة العربية. وذلك أوضح ما يكون في مدارس تعليم اللغات التي اكتسحت حقلنا التعليمي، وفي جامعاتنا التي افتتحت كليات العلوم الإنسانية فيها أقساما تدرس باللغات الأجنبية أصبحت هي الأرفع مكانا والأكثر استقطابا وجذبا للطلاب، وذلك وجه آخر للكارثة الثقافية أشير إليه إجمالا وبسرعة، لأن التفصيل فيه يخرج على نطاق موضوع الورقة.

نحن نظلم الإعلام ونتجنى على الحقيقة إذا ركزنا على تراجع اللغة العربية الفصحى في نطاقه وحده. وقد أشرت في الأسطر الأولى لهذه الورقة إلى أن الإعلام هو المرآة العاكسة لمختلف تفاعلات المجتمع وتحولاته، أعني أنه يبرز الظاهرة ولا ينشئها. ذلك أن تراجع الفصحى ليس مقصورا على الإعلام وحده، ولكنه يمثل ظاهرة عامة في المجتمع، فالعامية أصبحت تستخدم في السياسة والفن وواجهات المحلات، وفي مختلف نواحي الحياة. وإذا كانت بعض المجلات العربية تحمل أسماء أجنبية مثل (فلاش) و(ستار لايت جايد)، وإذا كانت بعض برامج التلفزيون تمضي على ذات الطريق فنسمع عن برنامج باسم (زوم) وآخر عنوانه (فلاش شو) وثالث بعنوان (ويك إند)..إلخ، فذلك حاصل أيضا في المجالات الأخرى كافة. وفي واجهات المحلات التجارية وأسماء المقاهي وأسماء الأفلام والمسرحيات، وغير ذلك من أنشطة الثقافة والسياسة والاقتصاد.

إزاء ذلك، فإنه يغدو مهما للغاية أن نبحث عن إجابة للسؤال. لماذا حدث ذلك الانهيار في استعمال اللغة العربية الفصحى؟

في رأي عالم اللغويات تشارلز كيفر (أن موت اللغة يتحقق عندما يهتم المرء بأن يتحدث بلغة أخرى يجد أنها أكثر فائدة له اقتصاديا وفكريا، وهو ما يدفعه أيضاً لأن يحرص على أن يصبح إنساناً آخر، وأن يجد فرصة عيش أفضل، ومن هنا يكون من العبث الدفاع عن لغة وعن وضع إثني سوف يتحولان بمضي الوقت إلى (فولكلور) قديم الطراز).

لا أريد أن أذهب بعيداً في التشاؤم، فنحن نتحدث هنا عن هزيمة الفصحى وإضعافها، لا عن احتمالات موتها، إلا إذا قصدنا موتا مجازياً على ألسنة الناس، يعزل الفصحى عن الواقع المعاش، ويحولها إلى لغة لبعض الفقهاء وأهل الاختصاص، على غرار اللغة اللاتينية التي لم تعد تتداول إلا في الكنائس وفي أوساط نفر من الباحثين. ذلك أن وجود القرآن وثباته.ضامنان لاستمرار اللغة، التي سيظل المسلمون –حيثما وجدوا –يؤدون بها صلواتهم إلى يوم الدين، ولذلك فإذا كان هناك من يتحدث عن انقراض بعض اللغات واللهجات من

اللغات السائدة اليوم (عددها ٦٧٠٠ لغة حسب إحصاء منظمة اليونسكو)، فالقدر المتيقن أن العربية الفصحى ليست من بين ما هو مرشح للانقراض في الحاضر أو المستقبل.

فيما يخص السؤال لماذا...؟ فإن الفكرة الأساسية التي تحدث عنها تشارلز كيفر مقبولة بصورة جزئية، لكن الأمر أكثر تركيبا، كما أنه يحتاج إلى بعض التفصيل في هذا الصدد، فإنني ألفت النظر إلى مجموعة من الأسباب هي:

- تجتاح العالم العربي حالة من الهزيمة النفسية، استصحبت حطًا من شأن الذات وانبهارا بالعالم الغربي بكل ما فيه، من اللغة إلى نمط الحياة والسلوك. وهو ما سرب لدى الناس في بلادنا وهما مفاده أننا لكي نتقدم فسبيلنا إلى ذلك أن نتخلى عما عندنا ونلتحق بالآخرين، الأمر الذي يرتب تلقائيا إقبالا على الانخلاع من مقومات الخصوصية والانتماء، إذ إن الهزيمة حاصلة في المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية، لكن أخطر ما أسفر عنه ذلك الوضع هو تلك الهزيمة النفسية، التي أصابت الذات وضربت في الصميم جذور الانتماء.

ولأن المغلوب مولع دائما بتقليد الغالب، كما ذكر ابن خلدون، فإن أمورا كثيرة تغيرت أو انقلبت في حياة العرب والمسلمين من جراء ذلك الوضع، وكانت لغتهم من بين ما لحقه التغيير والانقلاب.

قرأت حديثا لمعلمة لبنانية حول تجربتها مع اللغة قالت فيه: "إن اللغة العربية في المجتمع اللبناني باتت كالتهمة. وفي الأحاديث العامة فإنك إذا لم تكن تجيد اللغتين الفرنسية والإنجليزية، أو إحداهما على الأقل، فأنت تعد إنساناً غير عصري De Mode. وبسبب من ذلك فإن المعلمة لكي تساير التيار ولا تبدو غريبة أو شاذّة، فإنها لجأت إلى تطعيم كلامها وردودها على الآخرين بكلمات فرنسية، حتى تجنب نفسها الحرج، وتقف على قدم المساواة مع الآخرين في (التقدم).

هذا الذي لجأت إليه المعلمة اللبنانية حاصل في أغلب -إن لم يكن كل- أقطار العالم العربي، حيث أصبح استخدام المفردات والمصطلحات الإنجليزية أو الفرنسية من علامات التقدم ودلائل الرقي.

- في الوقت ذاته فثمة واقع عربي يعد التردي من أبرز سماته. ومن مظاهره انهيار النظام العربي، وغياب المشروع أو الحلم المشترك، وتراجع الحس والانتماء القوميين، وهو ما أدى إلى تكريس القطرية وتنامي المشاعر الإقليمية والعصبيات الجهوية، ثم أسفر في نهاية المطاف عن تراجع فكرة الأمة في الإدراك العام. بل إننا قرأنا كتابات لنفر من المثقفين شككت في مبدأ وجود الأمة العربية، ناهيك عن الإسلامية، وعدّتها شيئا تخيله نفر من الحالمين وراحوا يبشرون بها بين الناس.

وأرجو ألا أكون مفرطا في التشاؤم إذا قلت إن الانتماء العربي في هذه الأيام لم يعد مصدراً للاعتزاز بين أعداد غير قليلة من المثقفين. وحين يحدث ذلك - وأرجو أن أكون مخطئا في التقدير- فلا غرابة في أن تتقطع وشائج الانتماء واحدة تلو الأخرى، وأن تنهزم الفصحى، وتزدهر العامية.

وإذا ما صح ذلك، فهو يعني أننا في حقيقة الأمر بصدد أزمة أمة لا أزمة لغة، أعني أن الأحوال المتردية تفرز أصداء في مناح عدة، وما نحن بصدده هو بعض تلك الأصداء. وقد كان ابن حزم حصيفا وبليغا حين ذكر في كتابه (الأحكام)، أن اللغة يسقط أكثرها بسقوط همّة أهلها. وهو ما أراه منطبقاً بدقة على واقعنا العربي الراهن. ذلك أنك لا تستطيع أن تتصور - مثلا- اعتزازا باللغة القومية في أزمنة تراجع الحس القومي، ويتعذر أن تجد تمسكا باللغة العربية في وقت يظن فيه أن المستقبل للمتمكن من اللغة الإنجليزية، أو الفرنسية. (للعلم في أثناء تشكيل إحدى الوزارات العربية نشرت الصحف في القطر المعني بيانا بالمواصفات التي توخاها رئيس الوزراء الجديد في اختياره لأعضاء حكومته، وكان من بينها ضرورة إجادة اللغة الإنجليزية).

- وإذا اهتز البنيان العربي على ذلك النحو، فقد كان من اليسير على رياح

التغريب أن تخترقه وتعصف به حتى تهدده من الأساس. وقد هبت تلك الرياح من جهتين. جهة شرائح النخبة التي تعلقت أبصارها بالغرب وانسحقت أمام كل شيء فيه، حتى عدّته نموذجا وحيدا -وأحيانا حتميا- للتقدم. ومن ثم، فإنها باتت على مسافة بعيدة من بعض مقومات الانتماء لهذه الأمة، وفي المقدمة منها العروبة والإسلام. أما الجهة الثانية، فقد تمثلت في قنوات البث الفضائي، التي تكفلت ثورة الاتصال بحمل رسالتها إلى الجهات الأربع في الكرة الأرضية. ولأسباب مفهومة فقد كانت رسالة البث الأوروبي والأمريكي هي الأقوى تأثيراً ومن ثم الأقدر على الإسهام في إعادة تشكيل الإدراك العام في أقطار العالم الثالث بوجه أخص، ونحن جزء منها بطبيعة الحال، إذ حين تكون واجهات محلاتنا باللغة الإنجليزية، ومناهج مدارسنا الخاصة، حتى في مرحلة الحضانة، تركز على الإنجليزية، وحين يكون التواصل عبر الإنترنت بالإنجليزية، وأهم وأنجح الأفلام والبرامج التليفزيونية بالإنجليزية، فكيف نتوقع أن تقوم للعربية قيامة في مجتمعاتنا؟!.

- أزعم أيضا أن انتشار قنوات البث الفضائي العربي كان له دوره أيضاً في الترويج للعامية في كل قطر، ذلك أن مقدمي البرامج كثيرا ما يعمدون إلى استخدام المفردات العامية، سواء من قبيل التبسط ورفع الكلفة، أو مظنة التظرف والنفاذ إلى عقول وقلوب المستمعين، أو بسبب قلة البضاعة في اللغة العربية. والمشاهد لتلك القنوات يستطيع أن يلمس في مقدميها أن قلة قليلة فقط هي المتمكنة من العربية، بينما الأغلبية تخاطب المشاهدين إما بعربية مكسرة، وإما بالعامية الدارجة.

يقتضي الإنصاف أن نشير إلى أن المسألة تتجاوز مقدمي البرامج التلفزيونية، برغم أن الأضواء مسلطة عليهم بقدر أكبر، لأن قلة البضاعة في اللغة العربية سمة عامة في مجمل المشتغلين بالإعلام، وأكاد أقول إنهم قلة أيضا بين عموم المثقفين العرب. ولأنني أحد الذين تتاح لهم فرصة حضور الندوات والمؤتمرات في مختلف العواصم العربية. فبوسعي أن أقول إن ثمة تراجعاً محزنا في إحاطة الشريحة الأوسع

من المثقفين باللغة العربية. وفي إحدى الندوات استمعت إلى رئيس تحرير إحدى المجلات الشهرية العربية، الذي ألقى كلمة عددت له فيها ٢٤ خطأ لغويا. وكان إلى جواري أحد المسؤولين عن مؤسسة سلطان العويس بدولة الإمارات العربية، التي تخصص جوائز سنوية للمبدعين العرب، فقلت له مازحا إن صاحبنا هذا يستحق جائزة العويس في الأمية العربية بحسبان أنه (أبدع) في إهانته للفصحى!

- لدي شكوك قوية في أن أزمة الديمقراطية في عالمنا العربي لها دور في تدهور أوضاعنا الثقافية، بما في ذلك هزيمة الفصحى وعلو شأن العامية في عموم مجتمعاتنا، وفي وسائل الإعلام بوجه أخص. لقد تمثلت تلك الأزمة في إحكام الرقابة على العقل العام، وفي تغييب فرصة مشاركة الشعوب في تقرير مصائرها، واتساع الفجوة بين السلطة والمجتمع، الأمر الذي أفقد السلطة القدرة على التعبير عن ضمير المجتمع وأشواقه. وتجلى ذلك التغييب في احتكار السلطة لصالح فئات معينة -أسر أو شرائح أو طوائف- وأيضاً في تكرار حالات تولي العسكر للسلطة. وفي حالة العسكر فإننا لاحظنا أمرين. الأول، أنهم- أغلبيتهم الساحقة على الأقل-كانوا من متوسطي الثقافة العامة بطبيعة تكوينهم وتبنوا بصفة دائمة خطابا عاميا، رددته مختلف أبواق السياسة والإعلام. أما الأمر الثاني، فإنهم تخيروا بطانات من بين ما عرفوا بأهل الثقة، الذين كان الولاء السياسي هو العنصر الأساسي في اختيارهم، وهو ما أدى إلى تراجع الكفاءة السياسية والقيمة الثقافية. ولأن الإعلام كان السلاح الثاني الأهم-بعد الجيش وأجهزة الأمن-الذي استخدم في تمكين هؤلاء الحكام، فإنهم نصّبوا على رأسه نفرا من أتباعهم، الذين كانوا بدورهم من أهل الثقة، وبعضهم كانوا من العسكر. وكانت نتيجة ذلك أن تدهور مستوى الأداء الثقافي لتلك الأجهزة، الأمر الذي ترتبت عليه كوارث ثقافية كثيرة، كانت هزيمة الفصحى إحداها.

لقد عشنا زمانا كانت فيه القمم الثقافية وقيادات أجهزة الإعلام من انتخاب المجتمع، لكن الصورة تغيرت جذريا في العقود الأربعة الأخيرة، حيث أصبحت

تلك القيادات من انتخاب السلطة واختيارها، وهو ما حرصت عليه الأنظمة الاستبدادية كافة، التي أدركت مدى القوة التي أصبح الإعلام بها في العالم المعاصر. ومن ثم حولت منابر الإعلام من مراكز للتنوير والتعبير عن ضمير الأمة، إلى أبواق للدعاية وتسويغ ممارسات السلطة وتجميلها.

وكان ذلك سببا كافيا لتدهور أوضاعها، سواء على صعيد المضمون أو على صعيد الشكل.

إننا بصدد معركة حقيقية، تبدو في ظاهرها دفاعا عن اللغة العربية، ولكنها في عمقها وجوهرها دفاع عن الهوية والانتماء، ودفاع عن الوجود العربي ذاته، في مواجهة رياح التغريب والاندثار. وتظل نخب المثقفين العرب هم الطليعة في هذه المعركة، وهم الكتيبة التي تقف في الصفوف الأولى مدافعة عن هوية الأمة ولغتها.

ولا نستطيع في هذا المقام إلا أن نعبر عن الحزن والأسف لأن منظمات عربية عدة مثل مؤتمر وزراء الإعلام العرب، واتحاد الصحفيين، تقف متفرجة على ذلك المشهد الذي تصرع فيه اللغة العربية في وسائل إعلامنا كل يوم. ولا يستطيع المرء أن يكتم أسفا آخر حين يجد خطابنا الإعلامي يتحوط إلى أبعد مدى في التعامل مع الزعامات والقيادات السياسية، بينما يستبيح عرض اللغة العربية بجرأة تدعو إلى الدهشة.

وبرغم أنها أزمة أمة في الأساس، فإننا لا نستطيع أن ننتظر حتى تصلح أحوال الأمة، لكي يستقيم حال اللغة العربية في وسائل إعلامنا، وإنما لا يزال بأيدينا الكثير الذي يمكن أن نفعله دفاعا عن الفصحى؛ إذ ما أسهل أن تعالج الأخطاء النحوية في المواد الإعلامية التي تنشر أو تبث، وما أسهل أن تتخذ الصحف موقفا حازما من نشر الإعلانات بالعامية أو بالمفردات الأعجمية، إذ برغم أن المعلن في موقف قوي لأنه هو الذي يدفع، فإن موقف وسائل الإعلام ليس ضعيفا تماما، لأنها المنابر التي يطل من خلالها المعلن على القارئ أو المستهلك. ومن ثم فإذا كانت لديه أوراق ضغط على الصحف مثلا، فإن هذه الأخيرة لديها أوراق ضغط أخرى مقابلة تستطيع أن تحافظ بها على ما يفترض أنه

ثوابت ومصالح عليا للمجتمع. في الوقت ذاته فإن تمسك وسائل الإعلام باحترام الفصحى، وإلزامها العاملين فيها بأن يكون استخدامهم للعامية على سبيل الاستثناء وفي حالة الضرورة القصوى، مثل هذا الإجراء يظل في حدود الاستطاعة إذا توافرت الإرادة لذلك.

إن وسائل الإعلام أمامها طريقان: أن تنساق وراء التيار الزاحف والضاغط، أو أن تمسك بموقع الريادة والتوجيه، وتحاول أن تقود المجتمع نحو الأرشد والأفضل. وعند الشرفاء المخلصين للوطن ولرسالة مهنتهم فإن الاختيار ليس صعبا، ولا بديل عن النهوض بدور الريادة والتوجيه والتنوير، برغم أنه يمثل سباحة ضد التيار في الظروف الراهنة.

وليس من شك في أن هذا الجهد الإعلامي يمكن أن يحقق هدفه على نحو أفضل، وفي وقت أقصر، لو توافر ظرفان: الأول إرادة سياسية تدرك أهمية اللغة العربية، وتعلن انحيازها لها فيما تمارسه من أفعال وما تتبناه من خطاب. نعم إن ثمة دولا دافعت عن لغاتها بما أصدرته من قوانين، كما حدث في فرنسا مثلا، وهذه خطوة مهمة لا ريب، يكملها أن تبادر سلطة الإدارة باحترام اللغة الوطنية وإظهار التمسك بها. أعني أن تقدم النموذج الذي يحتذيه الناس ومن ثم يربى عليه المجتمع. أما حين يخطب رئيس دولة عربية باللغة الأجنبية، فإن تصرفا من ذلك القبيل يهدم كل جهد آخر يبذل أو دعوات تطلق للدفاع عن الفصحى في المجتمع.

الظرف الثاني المهم يتمثل في تنشيط جهود مجامع اللغة العربية لكي تضع بين أيدي المعنين البدائل العربية للمصطلحات الأعجمية التي تشيع بينهم، لأنه ما لم يتوافر البديل فإن استخدام اللغات الأخرى يصبح خيارا وحيدا، الأمر الذي يفتح ثغرة في دعوات الالتزام بالفصحى قد يتعذر احتواء تداعياتها.

مدى إهتمام وسائل الإعلام العربية بتدقيق اللغة الإعلامية[٥٠]

ليس ثمة من يحسد المدققين اللغويين على مهنتهم، هذا صحيح، لكن المشكلة أن المهنة تزداد صعوبة وعسرا. ومن كانوا يوظفون بشكل أساسي لتلافي خطايا الأخطاء السياسية القاتلة، تعددت مهماتهم وتشعبت، إلى حد يصعب حصره. فأين أصبحت مهنة المدقق اللغوي اليوم؟ وأي مهمة ملقاة على عاتق هؤلاء الجنود المجهولين؟

في قصته القصيرة «تدقيق لغوي»، يقدم حكمت النوايسة وصفا طريفا لا يخلو من المرارة لمهنة المدقق اللغوي، فيقول: «أعمل مدققا لغويا، ولي في هذه المهنة ست عشرة سنة، لم أخطئ، ولم يكتشف أحد بعدي خطأ نحويا واحدا. أولعت بالتدقيق، وصرت أدقق بكل شيء.. التبس الأمر علي، ولم أعد قادرا على فصل هذه المهنة المؤذية التي أمتهنها عن الواقع الذي بت أراه يحتاج إلى تدقيق. أريد أن أدقق كل شيء، الشبابيك، الأبواب، وأسعار الخضراوات، ولافتات المطاعم. خذ هذه مثلا، قرأت إعلانا لأحد المقاهي هذا نصه: «كوفي ميت» وبعد أمتار مقهى آخر عنوانه «كوفي شب». لم يعد الشكل هذه المرة يعنيني، أوضعوا شدة على الياء، أم لم يضعوا. وأخذت أفكر في المعنى. لِمَ اختار صاحب المقهى كوفيا ميتا عنوانا لمقهاه؟ ولِمَ اختار الآخر كوفيا شابا عنوانا؟ وما قصة الكوفيين والمقاهي؟!».

في أقل من أربعمائة كلمة يضيء الكاتب على واحدة من مهن الظل، التي من دونها لا يستقيم عمل إعلامي، بل قد يقع في مطبات خطيرة، وعواقب

٥٠- مهنة «المدقق اللغوي».. تستغيث / سعاد جروس / الشرق الأوسط

وخيمة، مثل ذاك الخطأ الذي ارتكبه مخرج في صحيفة مصرية، حين أورد عنوانا رئيسيا عن إلقاء القبض على السفاح الذي دوخ الشرطة وتحته مباشرة، ودون خط فاصل خبر عن زيارة الرئيس جمال عبد الناصر إلى الهند، فكان الخبر «القبض على السفاح عبد الناصر في الهند».

وربما بسبب هذا النوع من الأخطاء الثقيلة كان هناك اهتمام بالغ في الصحف العربية بالتدقيق اللغوي. وذلك ليس لضمان سلامة اللغة، بقدر توخي الحذر والسلامة. فتبديل حرف بحرف، أو سقوط نقطة، أو العكس لا يغير المعنى وحسب، وإنما يعطيه معنى مناقضا، وربما شنيعا. أما حين يتعلق الأمر بأخبار السياسية والطبقة الحاكمة، فالخطأ يتحول إلى كارثة، مثل أن يقال الرئيس فلان «يعرّي» أخاه الرئيس فلان، بدلا من يعزي، والفارق هنا نقطة ليس أكثر. وكتاب طرائف الأخطاء المطبعية لمنذر الأسعد يرصد عددا كبيرا من أشهر الأخطاء الطريفة والقاتلة، منها ما جاء في صحيفة مصرية أيام الملك فاروق في خبر يقول: «استقبل الملك فاروق ضيوفه في قصره (العاهر)، بدلا من (العامر)».

هذا النوع من الأخطاء يجعل مهمة المدقق اللغوي أصعب وأعقد، وتتجاوز حدود حراسة اللغة لتبلغ حدود تجنب ارتكاب أخطاء مميتة، من نوع استبدال حرف بحرف. فبدل أن يوصف زعيم بلد بالقائد «الفذ» يوصف بالقائد «الفظ». وقد وقعت في هذا الخطأ صحيفة عراقية في عهد الرئيس السابق صدام حسين، ودفع المسؤول عن الصحيفة ثمنا باهظا.

لكن ولدى مراقبة وسائل الإعلام العربية من صحف وتلفزيون وإذاعة وإنترنت، نلاحظ أن هذا النوع من الأخطاء بات شبه نادر، بسبب تطور عمليات التنضيد وسهولة التصحيح قبيل الطبع، في حين أن أخطاء النحو والصرف وحتى الإملاء ما زالت شائعة، وبالأخص في التلفزيونات والإنترنت. وهي أكثر شيوعا في المؤسسات المستقلة الجديدة والخاصة عنها في المؤسسات العريقة، وذلك لضعف المحررين باللغة. إذ لم تعد إجادة اللغة شرطا للعمل في التحرير، طالما

هناك مدقق لغوي، كما أن التفقه باللغة ليس شرطا للعمل في التدقيق وإنما تكفي إجازة باللغة وقدرة على اكتشاف الأخطاء القاتلة، أو تلك التي يتغير فيها المعنى.

مسؤول تحرير في مؤسسة إعلامية سورية مستقلة لديها عدد من المواقع الإلكترونية ذات الطابع الصحافي الخدماتي، قال إن الموقع الذي يعمل فيه كادر صحافي كبير موزع في المحافظات، ولديه عدد ضئيل من المدققين اللغويين، تحولوا باستثناء واحد منهم إلى صحافيين محررين. والسبب - كما يقول - أن «عملهم في تدقيق وإعادة صياغة المواد علّمهم التحرير الصحافي. لذا، ومع الوقت يغدو العمل في كتابة المادة أسهل كثيرا من تصحيحها وإعادة صياغتها».

لا تزال المؤسسات الإعلامية الرسمية في سورية تتمسك بعملية التدقيق اللغوي. وفي الصحف الرسمية عمليات تدقيق كثيرة تتم للنص وعلى الورق، انطلاقا من الحرص على تحديد المسؤول عن الخطأ في حال وقوعه. إذ لا يجري التدقيق على الكومبيوتر مباشرة كما هو الحال في الصحف والمجلات الخاصة التي ترى في ذلك بيروقراطية تأكل الوقت. أما في التلفزيونات فالرقابة على اللغة تتوزع على كل مفاصل العمل والبرامج، من مراقبة وتدقيق نصوص التقارير والبرامج المسجلة إلى مراقبة الإلقاء على الهواء. مديرة التلفزيون السوري ديانا جبور تقول: «يجري تدقيق لغوي لنشرات الأخبار ولكل البرامج المسجلة. كما أن هناك مراقبة لغوية لبرامج البث المباشر»، لافتة إلى وجود تعليمات بمنع «التسجيل قبل مرور النص على المدقق اللغوي»، مضيفة أنه ومع ذلك «تقع أخطاء نتيجة السرعة وأحيانا تفاجأ بكم من الأخطاء».

أستاذ اللغة العربية حسيب بركودة، الذي عمل في عدد من الصحف وفي التلفزيون السوري مدققا للغة لأكثر من ثلاثين عاما، رأى أن «قراءة نص غير مضبوط بالشكل وغير محضر بدون ارتكاب خطأ أشبه بالمعجزة. فهذه مهارة كبيرة تتطلب موهبة وسرعة بديهة لا تتوافران عند جميع الناس». وأكثر الأخطاء شيوعا ما يتصل بـ«الصرف وحركة عين الفعل والمثنى وجمع المذكر السالم.. إلخ.

هناك من يقول إنها بالسليقة، لكن ذلك لا يكفي، وقد يقع المرء بالخطأ، وكذلك الأمر بالنسبة للنحو». أما أخطاء الهمزات فيقول «غالبا تهمل همزات القطع والوصل، وقد جرى الاستغناء عنها في كتابة النص، ولكن يراقب لفظها أثناء الإلقاء». وعن مهمته في مراقبة الإلقاء يصفها بأنها «صعبة وتحتاج إلى قدرات إضافية إلى جانب معرفة باللغة كسرعة البديهة، ودقة الملاحظة في التقاط أخطاء الإلقاء». حسيب بركودة أشار في حديثه إلى أنه «سابقا كان المدققون اللغويون خبراء ومختصين باللغة، أما الآن فأغلبهم حائزون على إجازة في اللغة وليسوا خبراء، وبذلك فقد المدقق حرمته كصاحب قرار وخبرة».

في سنوات سابقة درجت إدارة التلفزيون السوري على وضع تقارير عن الأخطاء اللغوية التي يرتكبها الإعلاميون خلال إطلالتهم على الشاشة، يُبلَّغ بها المسؤول عن البرنامج ومن ثم المدير العام لتنشر بعدها في لوحة الإعلانات (الخطأ مع التصويب). ومع أن هناك من كان يشجع هذا الإجراء كرادع قوي لتجنب الوقوع في الخطأ، إلا أن البعض الآخر وجد فيه تشهيرا. وهناك أخطاء تحولت إلى نكات لا تزال تتداول، كقراءة إحدى المذيعات صواريخ (جَو - جَو)، صواريخ (جُوجُو)!!

يقول أحد مدراء الأخبار إن إتقان اللغة بشكل ممتاز ليس أولوية بالنسبة لشروط اختيار المتقدمين للعمل في القناة. «وعندما يأتينا إعلامي موهوب، يرفع بدل النصب أو العكس، يمكن تدريبه على تفادي أخطائه بمساعدة المدقق اللغوي». وأضاف سارة أنهم يراقبون نشرات الأخبار والشريط الإخباري بشكل أساسي، كما أن «هناك مدققا يتابع الإلقاء ويحضّر المذيع أو المذيعة قبيل البث».

الخطأ اللغوي في المسموع والمرئي يطير عبر الأثير، وقد لا يشعر به أحد، لكن في المادة المطبوعة الأمر مختلف، وإذا كان ثمة هامش للتصحيح في المواقع الإلكترونية، فليس كذلك في الصحف الورقية، فبإمكان المتصفح للمواقع الإلكترونية ممارسة دور المدقق للمواقع، ويبلغ عن الأخطاء من خلال

التعليقات، كما أنه قليل جدا عدد المواقع التي تعتمد مدققا لغويا في كادرها المهني، سوى بعض المؤسسات الكبرى. وتقول محررة في موقع إلكتروني إخباري، إن «تدقيق اللغة مهمة تقع على ديسك التحرير المؤلف من ثلاثة صحافيين، غير مختصين باللغة، يصححون الصياغة والأخطاء الشائعة وفق السليقة أو السمع. إلا أن هذا ليس كافيا».

الشاعر محمد عضيمة، الذي يصف نفسه بالمتابع الجيد جدا للصحف والمواقع الإلكترونية، يعزو سبب كثرة الأخطاء في المواقع إلى أن أغلبها يحرره أفراد، أما في الصحف فالأخطاء قليلة جدا.

ومع ذلك فإن واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام العربية بخير، وديانا جبور، مديرة التلفزيون السوري، تقول «إن ظهور قنوات متخصصة إخبارية وثقافية يسهم في تعميم استخدام اللغة الفصحى المبسطة، ووضع اللغة العربية اليوم أفضل من السابق». ويتفق مع هذا محمد عضيمة الذي يعتبر أن هناك «ظاهرة صحية في تعميم لغة ثالثة بين الفصحى والعامية أسهم في نشرها الإعلام».

لا شك في أن الأمية من الأخطار التي تهدد اللغة العربية في عصر وسائل الاتصال السريعة، البوابة التي تتدفق منها آلاف الكلمات الهجينة. لكن ثمة خطرا آخر قد يكون أشد وهو ما تحمله الأجيال الشابة القادمة إلى عالم الإعلام من حصيلة لغوية ركيكة تجد ملاذا آمنا في الإنترنت بعيدا عن الرقابة اللغوية، وأيضا في التلفزيون متسترة خلف الصورة تارة، واستخدام العامية تارة أخرى، فلا تنكشف ضحالتهم اللغوية إلا في الصحافة المكتوبة. تروي مسؤولة في مجلة منوعات صادرة حديثا أن المجلة منذ انطلاقها قررت الاعتماد على محررين شباب، وكانت النتيجة معاناة مسؤولي التحرير من مواد حافلة بأخطاء من كل الأنواع.

وتقول مسؤولة أخرى، إن الشباب يقدمون «تحقيقات ذات أفكار مبتكرة لكن الصياغة رديئة واللغة بائسة، ونضطر لقبولها، لأننا لو أخذنا الفكرة فقط سيقال إن المجلة تسرق أفكارهم، وهذا صحيح، لذلك نضطر لإعادة صياغتها وتصحيحها ثم نشرها». أما أسوأ ما تتعرض له، فتقول، إنه «مع مرور الوقت وكثرة قراءة اللغة الرديئة تضعف لغة مسؤول الصفحة ويتراجع مستواه المهني». وتختم بالقول: «عملنا لم يعد حراسة سلامة اللغة، وإنما معالجة أمراضها، والطامة الكبرى إذا كانت هذه الأمراض معدية». فعندما يكون هناك محرر لا يدرك الفارق بين الجيش وقوات حفظ النظام، سيكون كارثة نقله لخبر اعتصام في دمشق، كما فعل محرر في أحد المواقع الإلكترونية، حين قال إن عددا من المواطنين السوريين اعتصموا وتواجد في المكان رجال الجيش، في حين أن قوات حفظ النظام هي التي تواجدت. مما دفع وكالات الأنباء العالمية للاستفسار من مراسليها في دمشق عن صحة خبر نشر الجيش في شوارع المدينة. هذا يذكر بقصة مماثلة حصلت في صحيفة عربية في عقود سابقة، نشرت تغطية لحادث انقلاب دراجة كان يقودها عسكري. وجاءت بعنوان «انقلاب عسكري في مدينة...» وهو ما فهمه مراسلو الصحف الأجنبية ووكالات الأنباء على أنه انقلاب على السلطة قام به عسكريون في البلد.

حيال هذا النوع من الأخطاء والخطايا يحق لحراس اللغة قول ما قاله حكمت النوايسة في قصته: «مهنتي مدقق لغوي، وأتمنى أن أستبدل بها بطاقة تموين، أو بطاقة تأمين صحي خاص بالعيون. العيون وحسب. وأعاهد من يعالجني على الا أدقق بأي شيء».

ضبط التطور اللغوي في وسائل الإعلام

اللغة عملة أبدية أزلية متداولة بين الناس، وإذا كانت الدول تُنشئ القوانين وتسُنّ التشريعات لحماية العملة من التزوير فمن باب أولى أن تُصان اللغة من التدنيس والتدليس، حتى لا يتعرض العلم والفكر الذي تحمله إلى الإفلاس. واللغة العربية باعتبارها مكون ارتكازي من مكونات الثقافة العربية،وعنوان هوية المجتمع العربي الإسلامي وقناة إيصال وتواصل بين الأجيال تنقل أثار الأجداد إلى الأبناء وتحفظ أمجاد الأبناء للأحفاد، تعتبرضرورة لبناء مهارات التواصل الإنساني، وهى محورية وأساسية في منظومة الثقافة لارتباطها بجملة مكونات من فكر وإبداع وتربية وتراث وقيم المجتمع العربي الإسلامي.

ومع ما تمتاز به هذه الحقبة من تفجر عام في تكنولوجيا الإعلام والاتصال،استحال بموجبها العالم إلى قرية صغيرة يسعى فيها الأقوياء تكنولوجيا وإعلاميا إلى فرض لغتهم على الآخرين،يجدر بنا التساؤل عن واقع استخدام اللغة العربية في وسائلنا الإعلامية المرئية قبل الحديث عن آفاقها المتوقعة في ظل التحولات المتهافتة على جميع الأصعدة محليا وإقليميا وكونيا؟

الأهمية الاجتماعية للُغة:

تحظى اللغة في أي مجتمع بأهمية بالغة بالنظر إلى الدور الذي تمارسه في التواصل الاجتماعي، فهي عالم رحب ووطن فسيح يُمارس من خلاله الإنسان حرية التعبير والتفكير، فاللغة رداء الفكر ولباسه، وكل تطور يحصل في المجتمع يتردد صداه من خلال مؤسسة اللغة، باعتبارها الناطق الرسمي باسم الأمة والمعبر عن حياتها. ولذلك تُعتبر اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب...لأنها أداة الحاضر وصورة التاريخ، ومنها تقتبس الألوان الحضارية والاجتماعية الدالة

على مجاري الأمور ومصائر الأقوام. والعربية ليست بدعا من اللغات، وإنما هي أصدقها شاهدا على هذا الانعكاس والتأثر. وعليه فاللغة العربية أولى من غيرها بموفور الرعاية وبالغ العناية، لأنها حاملة كلام الله، وحاضنة تراثنا الغني، وناقلة تاريخنا المجيد إلى الأبناء والأحفاد، فهي الجسر الذي يصل بين الأجيال والحضارات المتعاقبة، وبالنظر لهذا الدور الذي تضطلع به اللغة العربية، لابد من توليها بالتحديث والتطوير حتى تكون دائما في مستوى التحديات التي يحفل بها العالم المعاصر.

ومن ثمة فحياة اللغة العربية وحيويتها رهن استعمالنا لها وقدرتنا على توسيع مجالها، وحملها على الاستجابة لحاجاتنا لا يتوفر إلا بقدر ممارستنا لها وتحميلها لتجارب بشرية جديدة...وإبقاؤها لغة تواصل بين كل العرب رهين جمعنا لشتات معطياتها وتجسيمها في وسائل عمل متجددة وسعينا المتواصل على متابعة تطورها وتعهده.[٥١] ولعل خير توصيف لأهمية اللغة ما قاله في حقها شاعر صقلية أجنازيو بوتيتا:إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل، وتسد أفواهها، وتشرد من بيوتها، ويظلون مع ذلك أغنياء، فالشعب يفتقر ويستعبد ما إن يُسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، عندئذ يضيع إلى الأبد.

فأي أمة لا تستطيع البقاء دون لسان يعبرعن ذاتها، فبوساطة اللغة يتم توصيل ما تفكر فيه الذات داخليا إلى موضوع يعيه من هم بخارجها، فاللغة هي الرابطة الوحيدة بين عالم الأجسام وعالم الأذهان، ومن هنا يصح القول بأن الإنسان جسم وروح ولغة، فمسلسل الحياة اليومية لايمكن كتابة حلقاته وتصميمها بشكل مترابط في غياب لغة تشكل أداة التفاهم والتواصل والتفاعل، مما يجعل من اللغة ضرورة حضارية ولازمة إنسانية، وظاهرة اجتماعية لايمكن

٥١- إبراهيم إمام / الإعلام والاتصال بالجماهير/ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٧

الاستغناء عنها في صيرورة حياة المجتمع.مما يقتضي بذل مزيد من الجهد والعناية لجعل اللغة تستجيب لحركية التحولات التي يشهدها راهن المجتمع العربي.

اللغة العربية في وسائل الإعلام المرئية:

إذا كانت اللغة تعني حسب تعريف ابن جني لها:"مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" فهل يكفي رجل الإعلام أن يظهر على الشاشة ويتحدث حتى يفهمه الجمهور؟ذلك أن كثيرا من وسائل الإعلام المرئية كانت تعتقد واهمة أن الجمهور يفهم رسائلها، في حين أن العكس هو الصحيح.وعليه فمهما اختلفت لغة وسائل الإعلام، فإنها تخضع لحقيقة بسيطة وهي:

- الوضوح.
- والدقة.
- والمباشرة.

على الرغم من أن العربية تعد اللغة الأولى في الضفة الجنوبية والشرقية للبحر المتوسط، غير أن واقعها على مستوى الممارسة الفعلية(من خلال الحوار والإنتاج الفكري)، يتقهقر إلى آخر السلم لتأتي بعد اللغة اليونانية التي لا يتكلمها إلا حوالي ١٠ مليون ! ومع تنامي وسائل الاتصال وسعة انتشارها، وكثرة الإقبال عليها، ولاسيما منها وسائل الإعلام المرئية، ازداد التوجس من مغبة تحول هذه الوسائل -بما تملكه من نفوذ جماهيري- إلى معاول تنسف اللغة، وتفسد استقامة اللسان، وتهوي بالذوق اللغوي إلى الحظيظ. لاسيما إذا كان التلاميذ يقبعون أمام جهاز التلفزيون أكثر مما يجلسون فوق مقاعد الدراسة، فمع إكمالهم مرحلة الدراسة الثانوية يكون التلاميذ قد قضوا ٢٠٠٠٠ ساعة مشاهدة في مقابل ١٥٠٠٠ساعة في المدرسة، ومع إغراءات الوسيلة الإعلامية تقيم جسرا متينا مع هؤلاء تتسلل من خلاله قيم معرفية عديدة، قد تؤدي إلى إزاحة ما تقدمه المدرسة أو على الأقل مزاحمته. وفي حديثه عن وظيفة التلفزيون

في المجتمع، يحذر الباحث "رينيه شنكر" من مغبة انحراف التلفزيون عن دوره وإسهامه في فساد الذوق اللغوي حيث يقول:على التلفزيون أن يأخذ بعين الإعتبارأنه وسيلة ترفيه، بالإضافة إلى غايات أخرى، أنه في هذا المجال وفي المجالات الأخرى يخترع لغة محادثة غير طبيعية، تؤثر حتما في سلامة اللغة الكلاسيكية التي نتعلمها في المدارس.

فاللغة في التلفزيون تتعرض يوميا لموجات من التشويه والتحريف، والواقع أن لغة التلفزيون في شتى البرامج والأفلام تخترق حرمة اللغة الخاصة التي يكونها كل إنسان لنفسه وتتكون فيه من خلال عائلته وبيئته ووطنه.

والحقيقة أنه لا يُطلب من رجل الإعلام أن يتحدث إلى الجمهور بلغة سيبويه، بأن يبالغ في التقعر والتفاصح، وإنما أقصى ما يُطلب منه هو احترام قواعد اللغة والمعايير المنظمة لها، مما يضفي على أسلوبه مسحة من الأناقة والجمالية، وينأى به عن الإسفاف والرداءة والقصور، وعليه يجدر بمن يتصدى لمهنة الإعلام أن يُحسن التقدير في إبلاغ رسالته إلى الجمهور بحيث يوصل محتواها إلى المتلقي دون التجني على اللغة تطرفا أو قصورا.غير أن هذا لا يعني أن في إمكان محبي اللغة العربية، وهم كثر كما نعتقد في طول العالم العربي وعرضه، السكوت دائماً عن تلك المجزرة اليومية التي تنحر اللغة العربية في كل ساعة ودقيقة على الشاشات الصغيرة، في معظمها، إن لم يكن في مجملها، أو عن تلك المجزرة الأخرى التي تطاول أبسط المعلومات وبعض البديهي منها، في برامج عدة. يتحدث فيها مقدموها، أو المشاركون في تمثيل حلقاتها بلغة ذات أداء سيئ أو منحرف، كما في كلام مقدمة أحد برامج الأطفال على شاشة المؤسسة اللبنانية للإرسال الذي يصطبغ بلهجة مطاطة ومتعثرة تعبث بلفظ الحروف وتراكيب الكلمات، وتُخلط دون مبرر، بين العربية والفرنسية والإنجليزية.

ويقينا أن هذه العجالة لا يمكنها أن تحصي أخطاء تعد بالمئات في كل يوم، من نصب الفاعل، إلى جر المفعول به، إلى اعتبار كل كلمة حالاً وتمييزاً، إلى رفع

المضاف والمضاف إليه. ناهيك بالكوارث التي تحل بالمبتدأ والخبر وما إلى ذلك.[٥٢] ويصبح الخطر أكثر عندما نعلم أن مجتمعاتنا تكثر فيها نسبة الأمية وتقل فيها نسبة المقروئية، وفي غياب فضاءات التثقيف والترفيه في الغالب يظل التلفزيون القبلة شبه الوحيدة التي تمتص وقت فراغ المشاهد.

ويجدر بنافي هذا المقام الإشارة بمرارة إلى دورالكثيرمن الفضائيات المحسوبة على العربية التي لا زالت تحاول جاهدة أن تكتم ما تبقى من أنفاس اللغة العربية لترديها ذبيحة على سطورها المشبوهة والتي باتت لا تمت إليها بصلة، وحينما تموت لغتنا لن يصلي أحد عليها الجنازة ولا الوحشة إذ الصلاة لا تجوز إلا باللغة العربية !! فرغم الوعي بالحاجة إلى أهمية تجديد الصيغ الإعلامية وجعلها متناسبة مع التطور التقني المهول لوسائل الاتصال وتنوعها، فإن الوعي باللغة لا يختلف عن الوعي بالحرية، أو الوعي بالآخر.

وقد أشارت إحدى الدراسات التي حاولت رصد دور بعض البرامج التي تبثها بعض الإذاعات والتلفزيونات العربية في تلبية احتياجات الأطفال إلى أن:اللهجة العامية هي الغالبة على البرامج الموجهة للطفل، يليها استخدام لهجة تجمع بين الفصحى والعامية، مما يشير إلى أن برامج الأطفال لاتسهم بدورها المفروض في الارتقاء بالمستوى اللغوي للأطفال.

وفي دراسة أجريت على عينة من الشباب الجامعي حول دور الفضائيات العربية في نشر الثقافة العربية، ذكر نسبة (٧٠ ٪) من المبحوثين أن القنوات الفضائية العربية أدت إلى تخريب الذوق اللغوي العربي من خلال استعمال العامية الفجة، ومسلسل الأخطاء اللغوية الشائعة والمتكررة، والتوظيف السيئ لأسماء البرامج، إضافة إلى ضعف مستوى مقدميها.

وفي ذلك بيان كاف على أن وضع اللغة العربية على شاشات الفضائيات

٥٢- عز الدين ميهوبي/ القاموس الإعلامي/ صحافتنا وتعويم اللغة/ الجزائر/ ص٣٦

العربية غير مريح ولا يبعث على الأمل إلاماندرحيث نجد بين الحين والآخر محاولات تثلج الصدور لكنها تتسم بالظرفية وتفتقد عامل الاستمرار ومن أمثلة البرامج التي ساهمت في التعريف بالكثير من قضايا اللغة والأدب العربيين نذكر برنامج أفتح يا سمسم، مدينة القواعد، لغتنا الجميلة، كلمات ودلالات، فرسان الشعر...الخ من البرامج التي صالت بالمشاهد وجالت في بحر اللغة العربية وشواطئها الجميلة، ولعل هذه المبادرات الخلاقة تستدعي الإشادة والتنويه وتستنهض هممنا للمطالبة بمزيد من المشاريع الإنتاجية بغرض سد الثغرات وتجاوز النقائص وهو أمر يتطلب تظافر الجهود الغيورة على اللغة العربية رسمية كانت أو شعبية إضافة إلى التنسيق المحكم بين الفضائيات العربية وتوحيد جهودها الإعلامية خدمة للهدف المشترك، وهو النهوض بالثقافة العربية وجعلها مواكبة للتحولات ومواجهة للتحديات التي يفرضها عصر العولمة.

اللغة العربية بين مطرقة الفضائيات وسندان العولمة: الإعلام سلاح ذو حدين، فإذ أكان بالمستوى المطلوب لغة وأداء، أصبح مدرسة لتعليم اللغة، وهذا يعني أن وسائل الإعلام قادرة على تربية الملكات اللغوية ورعايتها وتنميتها مما ينعكس ايجابا على الإعلام نفسه، أما إذا تردى الإعلام إلى مستوى من الإسفاف، فإن ذلك نذير شؤم على تحوله إلى مستنقع آسن، يوشك أن يطال المجتمع بأسره ولاتسلم اللغة من عواقبه المؤذية.

ومن الطبيعي أن يؤدي هجر اللغة إلى هجر الثقافة والقيم المرتبطة بها، وبذلك يتأسس فراغ لغوي وثقافي تتدفق اللغات والثقافات الأجنبية إلى ملئه.إن قتل الفكر جريمة أشد من قتل الجسد، إنه يرد الإنسان مجرد كائن حيواني دون هوية، إن الشعوب تنهار إن لم تكن محصنة من داخلها لا من حولها.

ولمواجهة عصر الكوكبية والتفجر المعرفي المتنامي لثورة الاتصالات والمواصلات، والسماء المفتوحة، كان لابد من الرجوع إلى اللغة العربية بوصفها بوتقة الانصهار العربي والوجداني والفكري لأمة عربية واحدة.اللغة العربية هي

التي تصنع وحدة الفكر والعقل واستعمال الفصحى لغة للإعلام ليس مطلبا عسير المنال، فلغة الإعلام هي الفصحى السهلة المبسطة في مستواها العملي... والمرونة والعمق، وهي الخصائص التي تجعلها تنبض بالحياة والترجمة الأمينة للمعاني والأفكار، والاتساع للألفاظ والتعبيرات الجديدة، التي يحكم بصلاحيتها الاستعمال والذوق والشيوع.

وعلى الرغم من غنى اللغة العربية وقدرتها الدائمة على استيعاب مختلف التطورات، وقابليتها المستمرة للتجديد والتكيف مع التطورات، فإن دعاة وأحبار العولمة مافتئوا يروجون لاغتيال اللغات القومية، مشككين في جدوى قدرتها على الحيلة في عصر الكوكبة، ولاشك أن هذه النظرة على مايطبعها من تحيز تقوم على عنصرية واضحة تتهم فيها اللغات العريقة بالمحدودية والفقر... وترتكز هذه النظرة الدونية للغات الأخرى على وهن طبيعة اللغة العربية مثالا، وضعف قابليتها للتكنجة اللغوية والأدبية والثقافية... وعندما ننظر في بعض المسائل الدالة ندرك تهم هذه الفرضية مثل علاقة اللغة بالفكر، فاللغة العربية لغة الوحي والتقليد الثقافي العربي برمته، على أن عناصر الثبات فيها ليست عقبة أمام عناصر التغير الطارئة أو الوافدة، وبالقدر الذي نخدم فيه لغتنا، فإنها قابلة لخدمة تطور المعرفة وتكنجة الأدب والمعلومات.

ونختم هذا الموضوع بما يلي: بأحرف اللغة رُسمت معالم الحضارات وخلدت صفحاتها المشرقة في التاريخ، وبفضلها انتقلت إلينا كنوز الأقدمين ومآثرهم النفيسة، واللغة ليست كيلنا مجردا عن كيان أصحابها، بل أنها مرآة صادقة تعبرعن واقعهم، يعتريها ما يعتريهم من قوة وضعف، ورغم مايصل إليه أهلها من وهن تظل اللغة أحد أهم القلاع الحصينة المتأبية على الاستسلام، تستنفر همم أهلها للنهوض والتقدم.

يحسن بنا الإقرار بأن اللغة العربية لم تنل حقها بإنصاف في وسائل الإعلام المرئية ، فعلى الرغم من أن عدد القنوات الفضائية العربية يزيد عن١٠٠٠ قناة،

حكومية وخاصة ،عامة ومتخصصة ، إلا أن البرامج التي تُقدم بالفصحى قليلة ، وأغلبها سيء التنفيذ والإخراج ويغيب فيه الاهتمام بجماليات اللغة العربية ، ويفتقد عنصر التشويق الإعلامي ، أما معظم البرامج والمحتويات الأخرى ، فإنها أكثر ميلا إلى توظيف العاميات المحلية واللهجات المزوجة بالألفاظ الأجنبية ، فما عدا بعض المسلسلات التاريخية ، والأخبار ، وبعض الحصص الخاصة ، لجد أن العامية تسرح وتمرح وتقدم إلى الجمهور على أنها لغة العصر ، والغريب أن هذه العدوى تسللت إلى بعض البرامج الثقافية التي بدأت تنزع إلى تطعيم نفسها بالعامية نزولا عن رغبة الجمهور الذي كان من المفروض أن يرتقي هو بنفسه إلى مستوى فهم هذا الخطاب. ولذلك لا نبالغ إذا قلنا أن تفصيح لغة وسائل الإعلام أضحت فكرة غير مستساغة لدى الكثير من القائمين على الإعلام في الوطن العربي.

إنه من المؤسف أن يخوض العرب معركة العولمة عزلا من أي سلاح ؟ ليس المادي فحسب بل السلاح المعنوي أيضا الذي يستمد قوته ويستعير عنفوانه من اللغة العربية الفصحى التي تقف في الخطوط الدفاعية الأولى للذود عن الهوية والانتماء العربي الإسلامي. ورغم حالة الغموض التي يسبح فيها الوضع العربي عموما فلا مندوحة من الإشارة إلى بعض الاقتراحات التي يمكن أن تساهم إلى جانب غيرها من الرؤى في إعادة المياه إلى مجاريها وجعل اللغة العربية رافدا من روافد النهضة العربي المنشودة.

استغلال الرسالة الإعلامية للفضائيات العربية بما يخدم اللغة العربية ويساهم في الارتقاء بها، من خلا ضبط النشاط التلفزيوني وإخضاعه للسياسة التربوية الشاملة.

إنتاج المصطلحات العربية وترويجها إعلاميا والمتابعة المستمرة لأنشطة المجامع اللغوية ومراكز التعريب وتوظيف جديدها إعلاميا حتى تجد هذه المفاهيم طريقها للذيوع الجماهيري.، وتكون اللغة العربية أكثر مواكبة للتطور المعرفي والتقني

للحضارة المعاصرة، ونعفي المستعملين والناطقين بالعربية من توظيف لألفاظ أجنبية للتعبير عن هذه المنتجات الحديثة.

نقل الوعي باللغة من مستوى النخبة إلى مستوى الجماهير، وذلك ليس معناه النزول باللغة العربية إلى دركات الإسفاف والابتذال بل التخلص من لغة الدواوين على المستوى الإعلامي، لتصبح اللغة العربية لغة تفكير إعلامي وعلمي تتكيف مع التحولات وتفي بغرض واقع الحال، وتحتفظ بأصالتها وقوتها بحيث تؤدي الغرض وتنقل المعنى بجزالة التعبير وسلامة الأسلوب.

استثمارا لثورة الإعلامية، ومن خلالها موجة البث الفضائي العربي في تعزيز الوحدة العربية الإسلامية والعمل على إعادة الانسجام للنسيج اللغوي، وتجنب الدعوات الرامية إلى توسيع هوة الخلاف العربي من خلال تمزيق النسيج اللغوي إلى مجموعة من اللهجات المتنافرة التي تبث الفرقة أكثر مما تجمع الشمل العربي.

تنمية القدرات اللغوية لدى المذيعين وتنقية الفضائيات من شوائب الخطأ اللغوي، ومما لاشك فيه أن التزام القائمين على الإعلام بقواعد اللغة من شأنه أن يظبط التطور اللغوي ويضعه في مجراه الصحيح فيصبح مثل النهر تدفقا ونماء، ودون ذلك فإن اللغة مهددة بالتحول إلى مجموعة من البرك الآسنة التي تشوه اللغة وتجعلها عرضة للأمراض والأوبئة.

الازدواجية والثنائية اللغوية في وسائل الإعلام

التدني في التعبير بالعربية فرع عن تدني روح التدين لدى العرب والأعراب والمستعربين، فالقلة القليلة سمت والكثرة الكاثرة تخلت عن المقولات - على تفاوت - بما كسبت الأيدى في أزمنة التردي، حتى صار التباهى بالتحلي بلغات العجم ظنا - بغير علم - أنها عنوان المدنية ومفتاح الحضارة، وأنها السبيل لاستلام المناصب العالية في الدولة، وكذلك دولياً، ولاشك أن انصراف القوم إلى التوافه والمبالغة فيها بقوة صرفهم عن المطالعة والقراءة، فاستخفت الهمم، فرضيت بالذي هو أدنى، ورغبت عن حفظ النصوص الأدبية الرفيعة، أيا كانت: قرآنية أم حديثية، شعرية أم نثرية، خطباً أم امثالاً، فإن قلباً لم يمتلأ بالنصوص القوية يهوي بلسان صاحبه إلى هاويه العي والعجمة والرطانة، لأن اللغة ملكة بالفطرة، ويصار إليها أيضا بكثرة الممارسة والمزاولة، وقديماً نصح العلماء الأمراء بأخذ اللغة من أهلها، وحفظها من أفواههم بالرحلة إليهم، والإقامة معهم في بواديهم، أو استقدامهم وملازمتهم، إن العزوف عن المطالعة من أسبابه عدم تقديرها حق قدرها، وتوهم أن الوسائل السمعية البصرية تغنى كل الغناء، وذلك غلط وخطأ يجب التراجع عنه، ببيان أن هذه الأجهزة العصرية تجعل وسائل التعقل عند الإنسان جهازاً واحداً، اختزلت فأضلت وأجحفت فإن حق السمع والبصر التكامل والتداخل، لاالغلبة والطغيان. وكأني بهذه الأجهزة تلبي حاجة واحدة تشفي لكن لاتجدي، لأنها تقصي سائر الملكات العقلية والقلبية، علما أن من بني آدم من جعلت قوته في سمعه، ومنهم من رزقها في بصره، ومنهم من كانت وديعة في عقله وقلبه.

شغلنا عن التنمية اللغوية كثيراً بالتنمية الاقتصادية وغيرها، لدى المتكلمين والمستخدمين للغة، وأيضاً في إثراء معجمهم اللغوي الذي يتسع يوما بعد يوم للجديد من أمور الحياة العامة وشؤونها المختلفة، ويزيدون من مساحة الوعي والقدرة على المشاركة والانتماءوالتقريب بين اللهجات والمستويات اللغوية المختلفة، الأمر الذي يتطلب دراسة ميدانية تعكف على البحث في الواقع الميداني وتحليل مايحدث فيه من تغير وتطور وإضافة.

اللغة ناقلة وخالقة:

إن اللغة في وسائل الاتصال ناقلة وخالقة فهي ناقلة لصورة المجتمع اللغوي بكل ما يضطرب فيه من إيجابيات وسلبيات وبالتالي فليست صورة مغايرة لمايحدث بالفعل في المجتمع كله: مؤسساته التعليمية والثقافية والسياسية والاجتماعية وغيرها، من اختلاط، وضعف، وتدن، واتساع، وتطور وإضافة.

وهي خالقة للجديد من المادة اللغوية التي تلبي احتياجات وضرورات يومية وعاجلة، من خلال توسعها في القياس والاشتقاق والنحت والتعريب، وبين الأمرين معاً، النقل والخلق، تقوم حدود هذه المسؤولية، وتتعاظم أبعاد الدور والرسالة أمام الباحثين عن السلبيات والإيجابيات، والمنادين باكتمال صورة الهّوية اللغوية والقومية، وسلامة اللسان العربي وصحته واستقامته، وقدرته على الإبداع والانطلاق بلاحدود.

فالعولمة ليست « ديانة جديدة » كما يبشر حاملوها وإن تنطوي عليه في جوهرها من إلغاء الآخر، وما تسعى إليه من ردم حضارة وثقافة الآخر وإلغائه بل وإلقائه في مصهر المادية الغربية – الأمريكية بالذات – يفتقر إلى مقومات الأصالة وإلى مقومات التميز، صحيح أن التقنية الحديثة قد جعلت من العالم قرية صغيرة ولكن فقط في نظر من يمتلكها ويسيطر عليها في الوقت الذي يتصغّر فيه جميع الآخرين وكأنهم كائنات ميكروسكوبية، فانقلبت المعادلة بطريقة تم فيها

إخراج القطاع الأكبر من البشرية خارج دائرة الفعل والتأثير، هناك إنسان « سوبر» و« متعولم» وهناك مهمش وميكروسكوبي» حسبما تفرضه طواحين العولمة التي لاتعرف الإنسانية ولا القيم الأخلاقية، تتميز هذه المقاصد بصفتين: تأخذ أولا شكل البداهة، معتقدة أن الثقافة القومية العر بية قائمة وواضحة الوجود، ومؤمنة ثانياً بمستقبل هذه الثقافة، طالما أن مستقبلها الواضح إمتداد لحاضر لااضطراب فيه ولانقصان.

أعلنت اللغة القومية عن المساواة في حقل اللغة بين أفراد يتساوون في الحقوق والواجبات لتوطيد الانتماء القومى والبحث والتوجه إلى مستقبل مشترك متخذاً من « الأيدولوجيا القومية» لا الماضي المجرد، مرجعاً له، عرف العرب في تاريخهم الحديث الدولة – القومية؟ وهل خلقت الدولة – القومية العربية، التي لم تخلق: ثقافة قومية بالمعنى الحديث للكلمة.

اللغة القومية ووسائل الإعلام:

إن الواقع اللغوي الذي نعيش فيه الآن يمر بمنعطف تاريخي خطير بالنسبة للغة العربية الأصيلة – رغم جهد الجاهدين المجاهدين من أبناء العربية الغيورين عليها – خاصة اللغة الإعلامية المتبعة في مؤسساتنا الإعلامية المحلية والدولية، الأرضية والفضائية.

الأمر المتفق عليه أن اللغة في وسائل الإعلام تكتسب أهميتها من أهمية هذه الوسائل الإعلامية التي تكشف عن تنامي الثورة الاتصالية وتعاظم آلتها الجبارة نفوذاً وسطوة وتأثيراً وسعة انتشار الأمر الذي يجعل هذه اللغة – من خلال الإذاعة المسموعة والمرئيات والفضائيات يتزايد تأثيراً ويتصاعد ويتسع مداه، مع النجاح الهائل لهذه الوسائل في اجتذاب ملايين المستمعين والمشاهدين من كل الأعمار والمستويات، وعندما نبحث عن موقف المثقف العربى، الخلقي والإنسانى فى من قضايا أمته وشعبه وموطنه، ومن قضايا الإنسان في العالم هل

سيتفرج على مايحدث من إهانة للإنسان العربي واستهانة بحقوقه وقيمه وحرياته وحياته ؟ أم سيقف في صفوف المدافعين عن القيم والأخلاق والحريات والحقوق وعن الإنسانية؟ وموقفه من معنى المساواة أمام القانون ومن تطبيق تلك المساواة، على الرغم من الاختلاف في الرأي والرؤية؟

ويظهر ذلك بوضوح في تعارف علماء اللغة كما يعرفها سابير اللغة Sapir بقوله: اللغة وسيلة غير غريزية، وإنسانية تماما لإيصال الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من الرموز المؤداة اختياريا.

، من الضروري في هذا المجال أن نشير إلى انفجار شبيه بالانفجار السكاني أو الانفجارات الكونية كالبراكين والزلازل، حدث في إذاعتنا المسموعة والمرئية وفضائياتنا العربية جميعها، وهو مايسمى بالبث المباشر الذي يستغرق ساعات عدة من حجم الإرسال ويهبط فيه مستوى الأداء اللغوي إلى أدنى درجة له حيث الصحة والصواب، ليصبح أكثر اقتراباً من السوقية والابتذال فيما تدور حوارات طويلة مملّة بين المستمعين والمشاهدين من ناحية، ومقدمي البرامج من ناحية أخرى، لامضمون لأغلبها ولاقيمة لها في مجملها، فضلا عن امتلائها بكل مايؤذى السمع من أخطاء في التعبير والنطق، واستخدام الكلمة المناسبة والأداء السليم: « فاللغة لاتعجز عن التعبير عن أي معنى من المعاني، متى قام في نفوس المتكلمين بها. فالفكرة متى قامت في ذهن الإنسان، استطاع التعبير عنها بلغته، إن كان متمكناً من هذه اللغة، وعاملا على رفعة شأنها.

وتمثل اللغة دائماً مرآة للثقافة، وللإعلام ووسائله تأثير كبير في تكوين ثقافة الإنسان فلا حكر ولاوصاية على الفكر مادام صاحبه لم يخرج عن حدود اللياقة الأخلاقية والفنية فمن حق المفكر أن يعرض فكرة ويجب أن نساعد على ذلك، ونفسح له المجال، ويجب عليه أن يكون صدره رحباً لتقبل النقد الذي يوجه إليه من قبل المختصين، ويجب أن يكون النقد موضوعا بناءً من أجل الوصول إلى الحقيقة التي ترتكز على الإقناع، وعندئذ نكون على الطريق الصحيح.

العربية وأزمة الفكر:

تتعرض اللغة العربية لكثير من الأزمات الفكرية حولها، ويقود هذه الأزمات مجموعة من الحقدة الذين تطفلوا على لغة القرآن الكريم، واستعملوا بعض أبنائها السذج الذين انخرطوا وسقطوا في الهاوية المدبرة، فأصبحوا أداة لغيرهم، فرموا لغتنا العربية، واتهموها بالصعوبة والتعقيد، والعجز عن مسايرة ركب الحضارة الحديثة، وتقنية العصر ومعارفه، واتخذوا من هذه الاتهامات ذريعة إلى الدعوة لإحلال العامية محل الفصحي بدعوى جمود هذه اللغة وقدمها، ولم يكتف هؤلاء بذلك، بل نادوا بإحلال الخط اللاتينى محل الخط العربي.

الحقيقة أن اللغة قد تتدخل في تحديد وتركيب أنماط الفكر في المجتمع وأن كل ماوصفوه وادعوه افتراءات ماأنزل اللّه بها من سلطان، لأن صعوبة العربية في نحوها وإعرابها قاسم مشترك بين معظم اللغات الحية التي يحاول أبناؤها الوصول بها لأفضل صورة في الاستعمال، كما وضح ذلك الأستاذ الدكتور «: رمضان عبدالتواب - رحمه اللّه - قائلاً: إن الإعراب المعقد الصعب لاتنفرد به العربية الفصحي وحدها، بل هناك لغات كثيرة، ولا تزال تحيا بيننا، وفيها من ظواهر الإعراب المعقد مايفوق إعر اب العربية بكثير، ومن هذه اللغات الألمانية مثلا.

فنحن نعتز بلغتنا رغم مايعترينا من هفوات الإهمال التي تعد من تداعيات الزمن وظروفه، فلغتنا قادرة غير عاجزة على خلق المعانى الجديدة.

ومايدعوا إلى العجب أن هؤلاء يقرأون النصوص من الكتب المترجمة ولا يفهمونها، بل يؤولونها وفق أمزجتهم، نحو قول ماريوباي في كتابة لغات البشر:» إن اللغة الحقيقية التي يستخدمها الناس فعلا لا اللغة التي يعتقد أن على الناس أن يستخدمو ها» فما قصده ماريوباي لم يفهم، يقصد اللغة المستخدمة، ولغتنا مستخدمة، وبقوة حيث إننا نتعلم في مدارسنا، ونكتب، ونقرأ في كتبنا التراثية والحالية بالمستوى الفصيح، رغم مابه من هفوات مقصودة بشكل مباشر أو غير مباشر، ونصلي ونركع ونسجد ونبتهل إلى ربنا بها.

وأرى أن قضية العربية – باختصار شديد – قضية الإسلام فالهجوم هجوم عقيدة وليس هجوم لغة، ولو لم تكن العربية لغة الإسلام لكان الحال غير الحال، فالقضية ليست قضيتها بل قضيتنا ومن لم يفهم الأمر هكذا فقد ضل به الفكر ضلالا بعيداً.

أولاً: الازدواجية اللغوية، ودور الإعلام في تقليص خطرها:

الازدواجية اللغوية قدر اللغات البشرية، وظهرت هذه الازدواجية بظهور الشكل المتكامل للغة الإنسانية، وبالأحرى عندما اخترعت الكتابة، وتستوي في هذا الأمر كل اللغات البشرية حيث كانت اللغة واحدة ثم تفرق أبناؤها واختلفت بيئاتهم التي عاشوا فيها فاختلفت لغاتهم لاختلاف الأدوات التي يستخدمونها، فظهرت اللهجات التي زاد انعزالها حتى أخذت شكلا كتابياً مستقلاً وبمرور الزمن أصبحت اللهجات لغات مستقلة.

الازدواجية والثنائية اللغوية:

فالازدواجية اللغوية كما ذكر سابقاً استعمال مستويين لغويين بينهما اختلاط المستوى الفصيح والمستوى العامي ووجه المقاربة بينهما يخلص في الجانب المعجمي على مستوى المفردات ناهيك عن استخدام الفصحاء المبالغين في فصاحة الكلمات المتقعرة أما وجه الخلاف بينهما يكاد ينحصر في طريقة الأداء فالفصحى تحتاج لأسلوب خاص في النطق باستخدام النبر والتنغيم، وكل الأمور المتعلقة بالجانب الصوتي بفرعيه الفوناتيكي والفونولوجي، أما الثنائية اللغوية يقصد بها من يمتلك أكثر من لغة، أو مايطلق عليه أصحاب اللغة الثانية second language، أي لغة غير اللغة الأم mother toungوالحقيقة المرة التي لابد أن نعترف بها أنك لاتسمع الفصحى نقية كما ينبغي، ولا من أربابها، أو معلميها وهذا مؤشر خطير فلاتسمع لها حساً إلا في الخطب الدينية كخطب الجمعة والعيدين، ويكثر ظهور الفصحى في الدرس العلمي والمحاضرات، فالمرفوض في

اللغة استعمالا وذوقا التركيز على الغريب من الألفاظ لأنه لايتساوي حظ الجميع فيه فلم نر ولم نطالع في كتب الأدب من يشتكى أسلوياً، بل كانت الشكوي تنحصر في علاقة اللفظ بالمعنى.. ونقل عن عبدالله بن مسلم أنه دخل أبوعلقمة النحوي على « أعين» الطبيب فقال له: أمتع الله بك، أني أكلت من لحوم هذه الجوازل فطسأت طسأة فأصابني وجع من الوالبة إلى ذات العشق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الخلب والشراشيف فهل هناك دواء ؟ فقال أعين:: خذ حرقفا وسلقفا فزهزقه وزقرقه واغسله بماء روث واشربه، فقال أبوعلقمة: لم افهم عنك فقال أعين أفهمتك كما أفهمتني.

ومن الناس من يدعى أن الازدواجية اللغوية تعطل القدرة على الإبداع، وهذا عكس ماكان يظن في الغالب، والحقيقة - ومن وجهة نظري - أنه لاتقف لغة أمام إبداع علمي أو أدبي لأنه لاتوجد لغة قاصرة مادامت حية يتحدث بها ويكتب بها، ويسجل بها تاريخ الأمة.

- إن الازدواجية اللغوية في بيئاتنا الآن إنما هي صورة صادقة لمايمر به العقل العربى الآن من مرحلة التخبط وعدم تركيز الذهن، أو مايطلق عليه التشتت الذهني ممايجعله مستعداً لقبول أي وافد فكري عليه يفكر له ويرسم له.

وإن كان الأمر هكذا فإننا في عصر المعرفة والمعلوماتية التي لاتقف عند حد من الحدود الإقليمية الهامشية وأدوات هذه المعرفة هي المؤسسات الإعلامية من صحف ومجلات وإذاعة مرئية وأخرى مسموعة، وحفاظاً على الهوية العربية الإسلامية، وكواجب قومي ديني فلابد، وحتما من تسخير مؤسساتنا الإعلامية لخدمة هذا الواجب.

أثر وسائل الإعلام العربية في تراجع اللغة العربية

أصدرت منظمة اليونسكو تقريراً حول اللغات التي ماتت خلال القرن العشرين والتي بلغ عددها ٣٠٠ لغة، إضافة إلى لغات أخرى مهددة بالتراجع والضياع، تأتي في مقدمتها اللغة العربية، وأنه لولا القرآن الكريم لاندثرت هذه اللغة منذ زمن طويل.

والمشكلة أن العرب أنفسهم هم من يساهمون في هذا التراجع والاندثار بإهمالهم لها حتى أصبح دورها يكاد ينحصر فقط في أداء العبادات وإقامة الشعائر مثل اللغة السريالية واللاتينية، ومن أهم العوامل التي تؤدي إلى هذا الانهيار غزو اللهجات العامية في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والذي امتد بعد ذلك إلى صحافة الأطفال ويأتي انتشار المدارس والجامعات الأجنبية والوطنية التي يتم فيها التدريس باللغة الإنجليزية أو الفرنسية ليسهم في هذا الانهيار، ولا يخفى علينا أن المدارس والجامعات أصبحت تهمل دراسة اللغة العربية وتجعلها اللغة الثانية بعد اللغات الأجنبية.

أما في الدول المتقدمة فإنه لا يتم فيها تدريس لغات أجنبية إلا بعد سن الثانية عشرة حيث يكون الطالب قد أجاد لغته الأصلية وسيطر على قواعدها وأصولها، فإذا عرفنا أن عدداً من الأثرياء العرب يرسلون زوجاتهم إلى الولايات المتحدة للإنجاب حتى يأتي المولود حاملا الجنسية الأمريكية ثم يقومون بإلحاقهم بالمدارس الأمريكية بسهولة ويسر وهي مدارس لا تعبأ بتدريس اللغة العربية كما أن الطلبة العرب الذين يتخرجون في الجامعات الأجنبية لا يعرفون أبسط قواعد اللغة العربية، وقد حذر تقرير لمركز المعلومات واتخاذ القرار في مصر من تفشي اللهجة العامية والألفاظ السوقية بين الشباب لأن هذا يعني الاستغناء عن لغتهم

الأصيلة، حيث إن انتشار هذه اللهجات يضر اللغة العربية إضراراً جسيماً ويضعف من قدرة الجماهير على الاستخدام الصحيح للغتهم بشكل سليم سواء في الكتابة أو في القراءة أو التحدث.

مما يزيد الطين بلة اختفاء اللغة العربية في اللوحات والإعلانات بالشوارع ولافتات المحلات التي طغت عليها اللغات الأجنبية ووسائل الإعلام ومواقع الإنترنيت حتي في الكتب حيث بدأت اللغة العامية تزحف إليها وأصبحت اللغة الفصحي مثاراً للسخرية بين طلبة المدارس الذين يتفاخرون بإجادتهم للغات الأجنبية وهكذا أصبحت اللغة العربية في خطر وأصبح الشباب العربي غير قادر على الكتابة بها والدليل على ذلك تفشي اللهجة العامية المبتذلة التي يتعامل بها الشباب مع بعضهم البعض، وأصبحت الموضوعات الصحفية تكتب بلغة عامية ركيكة أملاً في الوصول إلى قارئ ضعيف في اللغة العربية، وعندما يتخرج الطلبة في الجامعات والمعاهد العلمية يجدون أن معظم الوظائف تشترط إجادة لغة أجنبية بطلاقة، ولم تعد للعربية ميزة مطلوبة وإذا استعرضنا النصوص العربية في المناهج الدراسية سنجد أنها تنفر الطالب من لغته العربية.

وهذا الاتجاه يشكل خطراً كبيراً لأن اللغة ليست مجرد وسيلة للتخاطب فقط وإنما هي وسيلة للتفكير وهي واحدة من أهم أركان الأمن القومي في الأمة ثقافياً وفكرياً ومع أن الدساتير العربية تنص على أن العربية هي اللغة الرسمية إلا أنه لا توجد قوانين محددة وواضحة تدافع عن هذه اللغة وتحميها من المتلاعبين بها.

وبهذا أصيبت اللغة العربية بالغموض والإبهام نتيجة لافتقارها لرسالتها الهادفة بعد أن تم صرفها عن أهدافها الأصلية، فضاع الفكر بين الحقيقة والخيال، وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة بين مفرداتها ومعانيها، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى بعث اللفظ الدقيق من لغتنا، وإحياء الفروق بين الألفاظ

لتكون لدينا لغة تصلح لأن تكون أداة رئيسية للعلم والتكنولوجيا في مواجهة التقدم الهائل الذي فرض نفسه على الساحة العالمية.

وقد أثرت وسائل الإعلام العربية على مقومات شخصية اللغة العربية حيث اتسمت بالاعوجاج والانحراف عن دلالاتها المعنوية وطبيعتها اللفظية الأمر الذي أخرجها من اللغة الواحدة إلى اللهجات المتعددة التي تشتمل على خليط من الكلمات الأجنبية والدخيلة ومن الألفاظ المنحرفة.

وقد أدرك عدد من المستشرقين والمغرضين في الغرب الترابط الوثيق بين اللغة العربية والدين الإسلامي، وعرفوا أن الإسلام لا يعرف إلا بهذه اللغة، فهي ركن جوهري من أركان هذا الدين فأخذوا يوجهون إليها السهام، وبذلوا جهداً كبيراً لإضعافها وتدميرها وإبعاد المسلمين قواعدها وصرفهم عنها وأخذوا يروجون للغة العلمية واللهجات المحلية لتكون لغة التخاطب والكتابة والآداب والفنون والمعاملات وكان ذلك سبباً جوهرياً لإضعاف اللغة العربية وإهمالها وكان الاستعمار قد خطط ليجعل فصحى التراث مثاراً للسخرية، ونجح في إبعاد اللغة الفصحى عن الكتابة والتخاطب.

وكانت اللغة العربية في مطلع العصر الحديث قد عادت لها الحياة حين أدلى العلماء العرب الرواد بدلوهم في عصر النهضة يؤلفون في علوم شتى بلسان عربي فصيح، وقاموا بجهد محمود في هذا الصدد، وعكف كثير منهم على تحقيق تراثنا العلمي الناهض في مجال العلوم والطب ليتم صياغتها بلسان عربي وكانت العربية هي أهم عوامل تشكيل الفكر والوجدان، والأداة الرئيسية للتعبير والتفاهم بين العرب، وتقوي روابطهم، تقوي صلاتهم، وتبني ثقافتهم ووحدة اللحمة بينهم، بينما كما كانت مستودع ذخائر الأمة ومخزونها الثقافي وتراثها الذي يربط بين حاضرها ومستقبلها ويصل ماضيها بحاضرها، ويحدد قسمات شخصيتها وملامح هويتها، فهي الوطن الذي يصنع الوجدان ويترجم المشاعر والأحاسيس، ويغير السلوك ويحرك التفكير، وييسر تبادل المعارف وتلقي العلوم،

وهذا يعني أن اللغة العربية تعتبر وعاء ومحضناً لضمير الأمة، تعكس منحنيات تفكيرها واجتهادها لأنها أقوى أداة للتعبير عن دينها وهويتها.

وتتميز هذه اللغة بأنها لسان القرآن الكريم الذي منحها قوة على قوة ومتن بنيانها انطلاقاً من أنها أغنى لغات العالم في مفرداتها، ودقة تعبيرها، وتأسيساً على ذلك فإنها يجب أن تتبوأ مكانة رفيعة لدى أصحابها، واختيار الله لهذه اللغة وعاء لوحيه قد أعلى قدرها وميزها عن سواها من اللغات، وإذا تم تهميش هذه اللغة ولم تعد لغة التخاطب والكتابة والتوثيق والعلم والحضارة، فإن القرآن نفسه سوف يتم وضعه في المتاحف بعد أن كانت لغته هي أصح وأدق الأصول البيانية، وكانت المقياس والميزان لكل ما يراد للاستشهاد على صحة عربيته.

وقد أدى الابتذال واستخدام الكلمات الهابطة في المحافل العلمية والإعلامية والسياسية وتم استخدام الألفاظ والكلمات الهابطة، وعدم الحفاظ على الحد الأدنى من الأصول والقواعد اللغوية إلى الاستخفاف بقواعد اللغة العربية، كما أدى إلى ترويج السوقية، وشيوع الكلمات والمصطلحات غير اللائقة والتخلي عن الأساليب الصحيحة في التعبير، وتغليب العامية في هذه المحافل إلى أزمة في لغة الضاد في وانتصاراً للتخلف حتى التخلف والجهالة والانحطاط لأن اللغة العامية كثيراً ما تسهم في تشويه أصول اللغة وتقوض أعمدتها.

وفي فرنسا توجد عشرات الهيئات الرسمية والخاصة التي تقوم بالمحافظة على اللغة الفرنسية وإبعاد الكلمات الدخيلة، وعلى رأس هذه الهيئات يأتي المجمع العلمي الفرنسي الذي لا يدخل في قاموسه إلا ما كان سليماً من حيث الأصل الفرنسي وموافقاً للذوق والأساليب الفرنسية، وبقيت ألمانيا أمة موحدة بمحافظة الألمان على لغتهم الأصيلة التي بقيت متعلقة بجذورها انطلاقاً من أن اللغة الأصلية هي من أهم مقومات كل أمة.

وفي الحقيقة أن وسائل الإعلام تستطيع الإسهام بفاعلية في الحفاظ على العربية وتنمية الملكة اللغوية، والتحول من لغة الجهل والعامية إلى لغة العلم

والحضارة فالإعلام يمكن أن يكون مسانداً للعلمية التربوية والتعليمية بدلاً من أن يتحول إلى وسيلة للاستلاب الثقافي داخل الأمة وجسراً لنقل الآخر بكل أحماله، أي أن هذه الوسائل قادرة على تغطية العجز والتخلف اللغوي.

وتتيح لغة القرآن للإعلام المكتوب بالعربية استقامة الأسلوب لأنها تتسم بمزايا جمالية وبلاغية لا تتوافر في أي لغة أخرى لأن الأسلوب القرآني يوافق الكلام لمقتضى الحال ويناسب المقام، ويعتمد الإيجاز دون الإخلال بالهدف، ويستخدم الإطناب غير الممل، والتراكيب المتنوعة، كما أن تدبر الإعلامي للغة القرآن يكسبه الأدوات التعبيرية الملائمة لكل حدث ولكل حال.

ومَن ثم أن رجل الإعلام الذي يكون زاده اللغوي ضحلاً سينتج عنه نصوص مشوهة تنقصها الصلابة والدقة وقوة التعبير ومن ثم فإنه لا يمكن أن تضطلع وسائل الإعلام برسالتها إلا إذا توافرت وسيلة الإعلام القادرة على التعبير عن طبيعة الأحداث، وبذلك يمكن وصف اللغة الإعلامية بأنها لغة كل شيء، وطالما أن اللغة الإعلامية مسخرة لهذه المهام، فإن أدواتها التعبيرية والفنية يجب أن تستجيب لمقتضيات التنوع ولخصوصيات الوسيلة الإعلامية لأن هذه اللغة تتجاوز مخاطبة شرائح معينة وفئات متخصصة، ولكنها تتوجه إلى الجمهور الواسع ذي المستويات المتفاوتة، ولهذا يصبح على لغة الإعلام أن تتسم بالبساطة والوضوح والنفاذ المباشر والصحة والاختصار وينصح الكاتب القدير أرنست همنجواي الإعلاميين باستخدام الجمل القصيرة والفقرات الجملة والعبارات القوية ويكتب بسلامة ووضوح ويتجنب التكرار الممل والصيغ المبتذلة.

وتكمن مشكلة اللغة العربية في محاولة كثير من الإعلاميين إغراق لغة الصحافة والإذاعة والتليفزيون في التبسيط الشديد بحجة مسايرة التطورات الجارية في مختلف مجالات الحياة مما أفضى إلى استبعاد الألفاظ والعبارات الفصيحة والآيات القرآنية لأنها كما يزعمون – ليست من طبيعة العصر، ومن ثم فإن عدم مراعاة أصول فن القول والكتابة، واستعمال اللهجات المحلية في

الإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح وإحلال العامية محل الفصحى بها يعني تعميم الجهل وإلغاء التعليم.

وهذا يؤكد أن استعمال اللهجات المحلية في وسائل الإعلام يعد من أكبر العوامل الضارة بمستقبل اللغة العربية لأن هذه اللهجات تحمل طياتها أخطاء إملائية ونحوية تترسخ في أذهان الأجيال الجديدة مما يجعل من الصعوبة بمكان محو هذه المفاهيم من أذهانهم، ولو استعرضنا برامج الإذاعة والتلفزيون في معظم البلاد العربية لوجدنا أن نسبة ما تبثه هذه الوسائل بالعامية يبلغ أضعاف ما تبثه الفصحى لاسيما في الأعمال الدرامية والمنوعات التي يندر فيها استعمال الفصيح من اللغة.

أثر المصطلحات الإعلامية الغربية في خطابنا الاعلامي

مارسة الصحافة منذ البداية دورها كعامل مهم في التأثير بالمجتمع، وأصبح العالم منشغل ومهتم بتأثيرتها. لهذا اصبح لهذا الفن باحثون ومتخصصون وعلماء نفس يدرسون مدى تأثير الكلمة على ذهن وعقل المتلقي. وتعدى ذلك الى خزن المصطلح المتداول في الاعلام في العقل الباطن للانسان أو اللاشعور ليصبح طريقة في التفكير. والاعلام هو أحد المكونات الرئيسة للصراعات على الساحات الدولية،وقد يحسم الصراع أحياناً ويسوّق مواقف أطراف الصراع ويجلب لهم الدعم الخارجي والداخلي.وعملية تضبيب العقول بوسائل الاعلام هي أحدى ظواهر الحرب النفسية التي يشكل تعميمها وتكريسها وترسيخها الى تغيير الثوابت والمسلمات لدى الناس.

وتوضيح المصطلح وصياغة الخبر هما في الواقع جبهة من جبهات الصراع ، فالاستخدام الواعي للمصطلح إعلامياً يسهم بشكل كبير في خلق صورة إيجابية أو سلبية لأحد طرفي الصراع وبالتالي يمكن أستغلال الرأي العام وتظليله في الوقوف مع هذا الطرف أو ذاك. النفسية التي يشكل تعميمها وتكريسها وترسيخها الى تغيير الثوابت والمسلمات لدى الناس.وأن توضيح المصطلح وصياغة الخبر هما إحدى جبهات الصراع ، فالاستخدام الواعي للمصطلح إعلامياً يسهم بشكل كبير في خلق صورة إيجابية أو سلبية لأحد طرفي الصراع والأمر الذي يمكن من أستغلال الرأي العام وتظليله في الوقوف مع هذا الطرف أو ذاك.

وبسبب الثورة المعلوماتية والصراع الدائر بين الافكار والحضارات اصبح للاعلام اهمية في توجيه حركة المجتمعات ، ومع وجود هذا التقدم والتطور

العلمي والتقني للمعلوماتية لا يمكن تجاهل دور الاعـلام أو التغاضـي عنـه ، ولا يخفى على احد ما للاعلام من تأثير على تكوين العقل الجماهيري. حيث لم يكن للاعلام الغربي تأثير قبل عدة عقود الا بمقدار المحيط الذي يصدر به. فمـا كانـت تنشره جريدة في باريس او نيويورك او لندن يظل محصوراً في حدود قـرا ئهـا وفي المحيط الذي تنشر به. ولكن اختلف الوضع اليوم كليا فقد أصبح الإعلام منفـتح بشكل أوسعُ.

واصبح الاعلام حرفه ومهنة وبأيدي اناس يمتازون بالمهنية والحرفية والمهارة ، ويشتغل به قطاع كبير من الناس ، وانشأ له مؤسسات كبرى واصـبحت تعتمـد على التكنولوجيا المتطـورة في نقـل وتوظيـف الخـبر. فمـن يمتلـك مهنيـة أعلـى وامكانية اكبر وتكنولوجيا متطورة هو صاحب التأثير الاكبر.

ويسبب نظرية العولمة المنبثقه من الغـرب احتـل الاعـلام الغربـي الـصدارة وتسلم زمام مبادرة التأثير على المتلقي لمعرفتهم بمستقبلية تلـك الوسـائل ومـدى تأثيرها فاستغلها الغرب أفضل إستغلال ، وحتى تغلغـل الى كـثير مـن الـصحف واليوميات في العالم الاسلامي واصبحت هذه الصحف اما نسخ مقلدة او لاتخلو من نص مترجم مع ما يحمل ذلك النص من مصطلحات مُسقَطه ومترجمة ترجمـةً حرفية الى الاعلام في العالم الاسلامي وهناك كـثير مـن الـصحف قـد خصـصت مساحات منها وبشكل يومي لنصوص مترجمه من الصحف الغربية.

وليست المشكلة في الترجمة بل على العكس فلتلاقح الافكار دور ايجـابي في اثراء الفكر الانساني.ولكن المشكلة تكمـن في نقـل المـصطلحات علـى عواهنهـا دون الرجوع الى مدى تأثير ذلك على القارىء. فكما لايغيب عن ذهن المهـتمين بهذا الشأن ان لكل اعـلام لغـةً خاصـة بـه. فمـع الاسـف ان الاعـلام العربـي والاسلامي قد اخذ بعض المصطلحات الاعلامية الغربية واصبحت متداولة دون

النظر الى هذه المصطلحات وانها لاتمت الى واقعنا بصلة او لاتعطي المعنى الدقيق في ثقافتنا العربية الاسلامية. فأضحى تأثير هذه الكلمات سلبياً ومثال ذلك.

مصطلح الاصولية:

وهي كلمةٌ مترجمة ومنقولة عن الاصل اللاتيني هو (fantametalist) وهذه الكلمة اطلقت بعد العصور الوسطى على المتطرفين المسيحيين ولا تنطبق الكلمة على المسلمين حيث ان كل مسلم هو متمسك بالاصول فعليه ان المسلمون اصوليون بمعنى انهم متمسكون بأصولهم الاسلامية ،ولاضير في ذلك.

ومصطلح الارهاب:

وهو مترجم عن كلمة (torrism) وتعني الترويع والاعتداء بغير حق وهو ما يشبه البغي واصبحت متداولة ايضاً ولها تأثيرها السلبي على عقل الانسان المسلم في الغرب خصوصاً ، بينما هذه الكلمة بمعناها الاصطلاحي الاسلامي يختلف تماماً عما سوقت به. حيث يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ والارهاب هنا له معنى اخر هو اظهار القوة للردع وليس للاعتداء وهذا المعنى توضحه الاية المباركة التي تقول ﴿ان الله لايحب المعتدين﴾ ثم ان ارجاع المجتمع من حالة التنظيم والقانون الى الفوضى تعتبر فساد في الارض. ﴿والله لايحب المفسدين﴾.

الاستعمار:

وهي مترجمة عن ((IMPRYALISM)) بينما الكلمة الاكثر قرباً هي الاستكبار وهي كلمة متواجدة في القاموس الاسلامي وهي اكثر تعبيراً ومحاكاتنا ًوتوحي كلمة الاستعمار الى التعمير وترقية الشعوب وتطويرها.

الشرق الأوسط: يتفق معظم المؤرخين على أن مصطلح (الشرق الأوسط) The Middle East ظهر أول ما ظهر في كتابات المؤرخ العسكري الأميركي الفرد

ثاييت ماهان (Mahan) إذ اقترح في مقال نشره في مجلة (National Review) الصادرة في لندن في أيلول ١٩٠٢، إطلاق هذا المصطلح على المنطقة الواقعة بين الهند والجزيرة العربية.وسرعان ما التقط فالنتين جيرول (Chirol) مراسل جريدة التايمز اللندنية في طهران، هذا المصطلح وبدأ يستخدمه في مقالاته التي كانت تنشرها جريدة التايمز.

والسؤال هنا الشرق بالنسبة لمن، فأن العرب كان يطلقون كلمة المغرب على شمال أفريقيا، والمشرق على المنطقة الواقعة شرق بغداد يوم كانت بغداد قلب العالم وهو أنعكاس لوجهة النظر العربية في تقسيم العالم وبدون شك، فان مصطلح الشرق الأوسط يعكس وجهة نظر غربية ترى أن أوروبا، هي مركز العالم، وان الأقاليم الأخرى تتجمع حوله. وكان الأوروبيون يعدون على سبيل المثال، التحدي العثماني الإسلامي لهم مسألة شرقية، والغريب ان مصطلح الشرق الأوسط ساد في الأوساط العالمية، فاستعمله الروس، مثلا الذين تقع منطقة الشرق الأوسط بالنسبة إليهم جنوبا واستعمله الهنود الذين تقع منطقة الشرق الأوسط بالنسبة إليهم غربا، وحتى أبناء منطقة الشرق الأوسط يستعملون اليوم هذا المصطلح.

لقد أصبح معلوما ان مصطلح الشرق الأوسط هو أكثر من مصطلح جغرافي، فهو مصطلح سياسي واقتصادي، يضم بين جناحيه أقواما من عروق شتى عربية وتركية وفارسية، ومن أديان شتى إسلامية ومسيحية ويهودية وتمتد حدوده لتحتوي الوطن العربي ولكن مجزءاً مبتدئاً بمصر دون الشمال الأفريقي ثم إسرائيل وتعانق ذراعاه بلدانا تصل إلى أفغانستان وحتى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية شمالا.

والمصطلح الاقرب والادق هو العالم الاسلامي أو العالم العربي كما كان يستعمل سابقاً ومصطلح العالم الثالث: ومترجم عن الانكليزية ((THE THERD

WORLD)) مصطلح العالم الثالث يُعد مصطلحا حديثا، لم يبدأ في طَرْقِ أسماع الناس سوى في النصف الأول من القرن العشرين، وأول من استخدم هذا المصطلح (الفريد سوميه) عام ١٩٥٦. وقد ارتبطت هذه الكلمة واطلقت على شعوب العالم الاسلامي وذلك ضمن تقسيم العالم من قبل الغرب ، وتعني الشعوب المتخلفة.

واضحى لها تأثير في عقل الانسان المسلم مما ادى الى نزعة رفض ذلك العالم.وهذه الكلمة في الحقيقة هي ترسيخ للهزيمة والشعور بالدونية والاحتقار الى كل ما يرتبط بها. والكلمة الاكثر تناسباً هي ((المستضعفين)).

ومن هذه المصطلحات المتداولة وبقوة في الاعلام العربي:

حرب الايام الستة: أي حرب حزيران وهذا المصطلح له مدلول ديني يهودي ، فحسب رواية العهد القديم أن الله خلق الكون في ستة أيام وأستراح في اليوم السابع وهو يوم الغفران أو عيد الغفران وهو العيد الرئيس لدى اليهود. والكلمة الأقرب والأدق هي حرب حزيران أو حرب الـ ٦٧ .

عرب إسرائيل: مصطلح أطلقه الاعلام الإسرائيلي على الفلسطينيين في المناطق التي أحتلتها في عام ١٩٤٨م لتعطي إنطباعاً للمتلقي أن هؤلاء أقلية قومية ضمن الدولة الاسرائيلية وأستخدم هذا المصطلح بعد ذلك في الاعلام العربي والأسلامي.

الأسلام السياسي: وهنا أتساءل هل هناك إسلام غير سياسي ؟ وهذا المصطلح له مدلوله الفكري والثقافي، الذي يوحي بأن هناك نوعين من الاسلام. واحد على المواصفات الامريكية والاخر غير مطابق للمواصفات وبالتالي خلق نظرة دونية للأحزاب الأسلامية وتتحدث وسائل الاعلام عن الاحزاب الأسلامية وكأنها لأناس من كوكب آخر في حين نجد أن الاحزاب المسيحية التي

تحكم أوربا اليوم كالحزب الديمقراطي المسيحي في المانيا وهولندا وبلجيكا والسويد وغيرها من الدول هي المسيطرة على الواقع السياسي وتقوم على أساس ديني محافظ ، فيحق (للعالم الأول) أن يؤسس أحزاب على أساس ديني ويستهجن من المسلمين ذلك.

مستوطنون ومستوطنات: وهو مصطلح أستخدم للأيحاء بأن هؤلاء القادمون ليسوا مهاجرين بل هم أبناء الوطن المتغربين والمشتتين في العالم وقد عادوا الى بلدهم الأم، فالاعلام الغربي سوّق هذه الكلمات ودخلت في قاموس الاعلام العربي الاسلامي واصبح لها تأثير وشكلت وجدان الانسان العربي والمسلم يتفاعل معها، وصار لهذه الكلمات مرادفات حسية سلبية لدى المتلقي وبالتالي اوجدت او قل خلقت صورة مشوشة للاسلام والمسلمين عند المسلمين انفسهم وخصوصاً هؤلاء الذين يعيشون في الغرب.

والحقيقة ان الاعلام الغربي حقيقة ضخمة لايمكن ان نغمض عيوننا عنها ، وهي حقيقة كبيرة في حياتنا السياسية والثقافية ولن تنفع محاولات الاعتراض عليه والتقليل من شأنه او ان نصفه بالاعلام المعادي فهذا لا يجدي بل العكس سيزيد من تأثيره على الشارع الاسلامي وخصوصاً بعد تطور وسائل الاتصال.

فعلينا ان نعمل من اجل:

- خلق لغة اعلامية لها خصوصياتنا قادرة على الوقوف والتأثير ولا يتحقق ذلك الابأحترام الاخرين والاعتراف بعقولهم اولاً ثم احترام عقول الناس في مجتمعاتنا وكسب المصداقية في طرح ماهو موضوعي وحقيقي.
- خلق لغة ومصطلحات إعلامية تتفاعل مع المحيط الذي يعيش فيه الانسان المسلم.
- تحفيز مكامن الابداع لدى الاعلاميين المسلمين.

وحول الحديث عن النقطة الثالثة هناك امثلة اسوقها في هذا السياق ان محولات تضبيب العقول بوسائل الاعلام هي احدى ظواهر الحرب النفسية التي تشكل ترسيخها وتعميمها الى تغيير الثوابت والمسلمات عند الانسان البسيط. كأن يصبح الدين من رواسب الماضي ، والغرب مصدر كل رقي مثلا والى اخره. هذه بعض التأثيرات على الاعلام الاسلامي وبما ان المسلمين الذين يعيشون في الغرب يقرأون الصحافة الاسلامية والغربية معاً. ويجدون ذات المصطلحات في كلتا الصحافتين فيعتقدون ان الامر طبيعياً ومستساغاً.

ونحن في الحقيقة أصبحنا متلقين ما ينتجه الآخر لا مبدعين أو مشاركين في صناعة الأدوات والآليات الأعلامية. وفي بعض الاحيان يفرض الاعلام الغربي رؤاه الثقافية والفكرية وبوسائل متعددة وليس في عالمنا العربي والاسلامي من يحلل ويدرس هذه الظواهر وحتى المسؤولين عن الشأن الاعلامي كوزراء ومداراء عامون وغيرهم فعلى سبيل المثال ما ذكره الاستاذ الدكتورعلي كريم في كتابه (مراجعات في ذاكرة طالب شبيب/ وزير الخارجية العراقي في عام ١٩٦٣) ونقلاً عن الوزير العراقي قوله في أحد الايام وقبل ذهابي لأجتماع مجلس قيادة الثورة شاهدت في التلفزيون فيلماً عن الحرب الكورية وكان يعكس وجهة النظر الامريكية ، وعند الاستعلام عن الفيلم عرفت انه واحد من الافلام التي تصل الى المديرية العامة للأذاعة والتلفزيون كهدية من مصلحة الاستعلامات الامريكية ويبثها تلفزيون بغداد دون تدقيق أو رقابة.

ويضيف الوزير أن بتقديري فإن أحداً لم يرِ تلك الافلام لا الوزير ولا المدير العام ، ثم يقول فحين لقائي بوزير الاعلام سألته فيما إذا كان مطلعاً عما يبثه التلفزيون أجابني بالنفي ، وسألني بأستغراب وماذا رأيت قلت دعاية أمريكية رسمية تبرر حربها ضد كوريا وتهاجم الصين، فقال وزير الاعلام لا علم لي بذلك فأجبته: إذا كنت وزيراً للأعلام والمدير العام هو قيادي من الصف الأول

وقد مرت عليكم هذه الأمور الخطيرة معنى ذلك نحن فاقدين لجهاز الأعلام وهو أخطر أجهزة الدولة.

من هذه الحادثة وغيرها كثير في عالمنا العربي والأسلامي عالم الحسوبيات لا الكفاءات يتضح ان المؤسسة الأعلامية العربية والإسلامية تحتاج الى الكثير من العمل والمهنية لمواجهة آلة الأعلام الغربي الضخمة. ونحتاج من اجل دراسة مثل هذه المواضيع الى معاهد للبحوث الاستراتيجية اولاً وكذلك رصد ماهو ذا تأثير سلبي من خلال كادر متخصص كفوء.

أثر وسائل الإعلام في إفساد اللغة وتشويهها[٥٣]

مما لا جدال فيه وجود صراع واضح الأثر بين العاميَّة والفصحى في مختلف مضامين الحياة اليومية، ونجد ذلك في المدارس والجامعات، ووسائل الإعلام، وهي ساحات لحماية الفصحى والذَّود عنها؛ لأن العامية داء استشرى بين العرب.

بدأت الظاهرة منذ بداية عصر النهضة، وأحس بها الغيارى، ودافعوا عن الفصحى مثل الرافعي وحافظ إبراهيم وغيرهم، وقد عرف من دعاة العامية وليم سبيتا الذي أراد إثبات رأيه فوضع كتابه قواعد اللغة العاميَّة في مصر، وطالب بأن تكون العامية لغة الآداب، والعلوم، والفنون، ورأى الفصحى محدودة في المفردات، وظن أن هناك اختلافاً كبيراً بينها وبين العاميَّة، وقال بأن الفصحى تؤخر الحضارة.

وفاته أنها اللغة التي دامت طوال القرون الطويلة، واستوعبت ثقافات الأمم وحضارات العالم، وازدهرت بها، وما تزال تفهم الكثير من الأدب الجاهلي والإسلامي والأموي بيُسر وسهولة، وأن الإنجليز اليوم لا يفهمون لغة جوسر CHAUCHR ولا لغة شكسبير، ولغة كتابهم إلا بواسطة المعاجم على الرغم من قصر عمر الإنجليزية واللغات الأخرى، واضطرت الشعوب الغربية إلى التخلص من اللاتينية، واستعمال الشعبية؛ للبعد الكبير بينها وبين الإيطالية والفرنسية والأسبانية.

٥٣- مجلة الأدب الإسلامي – المجلد التاسع – العدد السادس والثلاثون ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

دعاة العامية: وجاء ولكوكس WILCOKS الذي كان في دعوته يهاجم الفصحى ويسخف اللغة العربية، ويزعم أنها عاجزة عن مسايرة ركب الحياة الحديثة، وادعى أن الشعب المصري تأخر؛ لأنه لم يستعمل العامية، وعاقته الفصحى عن الابتكار والاختراع، ونشر إعلاناً في "مجلة الأزهر" يغري فيه باتخاذ العاميّة لغة للكتابة والأدب قال فيه: "من قدم لنا هذه الخطبة باللغة الدراجة المصرية وكانت موافقة جداً يكافأ بإعطائه أربعة جنيهات (إفرنكية)، وإن كثر المتقدمون فيعطى هذا المبلغ لمن يحوز الأولية".

والدعوة إلى العاميّة انتشرت في كتابات الغربيين والعرب. ومن الغربيين كارل فولرس الألماني FULLERS (ت ١٩٠٩م) الذي هاجم الفصحى؛ لأنها جامدة، فلم تساعد المصريين على النهضة الفكرية والتقدم الحضاري، وحسبها كاللاتينية التي ماتت، فألف كتاب "اللهجة العامية في مصر" ١٨٩٠م، كما ألف سلدن ولمور الإنجليزي كتاباً سماه "العربية المحلية في مصر"، وحسب أن اللغة الإنجليزية ستسيطر على مصر، واتفق هؤلاء على ضرورة جعل العامية لغة العلوم والآداب والفنون، ولعلي أستغرب من الأستاذ أحمد لطفي السيد تساهله في قبول المسميات الأجنبية ورأيه بأن العربية فقيرة، وأن لغة الجمهور ستخرج الفصحى من جمودها، وأن يكون الصلح بين العامية والفصحى، وعندها تستعمل مفردات العامية وإن وضع شرط عدم الابتذال ولكنه يعود فيقول: "يجب أن نتذرع إلى إحياء العربية باستعمال العامية ومتى استعملناها في الكتابة اضطررنا إلى تخليصها من الضعف، وجعلنا العامّة يتابعون الكُتّاب في كتاباتهم، والخطباء في خطاباتهم، والممثلين في رواياتهم"(٥٤)

وأعمال مجمع اللغة العربية في مصر دليل على أن الفصحى قادرة على استيعاب الجديد عندما وضع عدداً كبيراً من معجمات متعددة في كل العلوم

٥٤- الفصحى في مواجهة التحديات / نذير محمد مكتبي .

الحديثة، وما زال يوالي عمله ومعه مجامع اللغة العربية في دمشق والأردن وبغداد والمغرب.

الدعاة في الوطن العربي: أما دعاة العامية من أبناء العرب فمنهم الأموات والأحياء، فكان منهم سلامة موسى (ت ١٩٥٨م)، ومارون غصن (ت ١٩٤٠م) وسعيد عقل، وكان قبلهم يعقوب سنوا الذي سمى نفسه يعقوب صنُّوع (ت ١٩١٢م).

والخطر الكبير من الذين عاشوا في البلاد العربية وكانوا من أبنائها، وكان هؤلاء أشد ضراوة عليها من الأجانب، وآزرتهم وسائل الإعلام التي تدخل في كل مكان من المسلسلات والروايات، والندوات والمحاضرات التي تذاع في هذه الوسائل.

الإعلام اليوم:

وهذه المشكلة أخذت حيزاً من الكتاب في الصحافة اليوم، فقد كتب فهمي هويدي [جريدة الشرق الأوسط ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٠ مقالاً بعنوان: "دعوة إلى تعريب لسان العرب" يذكر ما حاق باللغة العربية من إهمال وعبث، وسماه كارثة في العالم العربي؛ لأنه رأى طلاب الأزهر في المرحلة الابتدائية ملزمين بتعلم الفرنسية، مع أن فرنسا تحرم تعليم أي لغة أجنبية في تلك المرحلة المبكرة، ولما رأى تفاقم الحال قال بصراحة: آن الأوان لرفع الصوت عالياً بالدعوة إلى تعريب لسان العرب".

وقال: إنه كان يلح طوال سنوات على الدفاع عن لغة القرآن في الدول الإسلامية في آسيا وأفريقيا حيث يطلق على الحرف العربي اسم الحرف الشريف، ولكن لم تبق غير دول محدودة تستعمله مثل إيران وباكستان وأفغانستان، وقال: إن حجم الكارثة جعل صوتي أكثر اختناقاً بعد أن حلت الكارثة باللغة العربية، وأشاد بقرار تونس جعل عام ٢٠٠٠م عام اللغة العربية،

وتألم للتراجع المستمر عن العربية التي تمثل شخصية الأمة القومية، وألا يكون تعلم لغات أجنبية على حساب اللغة العربية، وقال بمرارة: "لنعترف بأن اللغة العربية هُزمت في بلادها، وأنها تتلقى كل ضربة موجعة ومهينة".

وأشار إلى أن موريتانيا تخلت عن العربية في مدارسها وكانت إحدى قلاع العربية ومناراتها التي وصلت إشعاعاتها إلى أرجاء غرب إفريقيا، وقال: إن أحد الرؤساء العرب يدير المؤتمرات باللغة الفرنسية، وإنه كان يجيب عن أسئلة الصحافة العربية بالفرنسية.

وفي بعض دول الخليج أصبحت الأوردية اللغة الثانية بعد العربية، وأشار إلى انتشار خطر قائم في الخليج من كثرة المدارس التي تدرس باللغة الإنجليزية، وغدت اللغة العربية لغة هامشية.

وعن مصر قال: "شيء محزن حقاً أن يصل تراجع اللغة العربية في أكبر دولة عربية، حيث أصبح تعلم الأجنبية هدفاً قومياً، وأصبح الدخول إلى المدارس الأجنبية هدفاً، وأن الرطانة هي المعتمدة في أوساط كثيرة منها وقال: نشرت بعض الصحف أن إجادة اللغة الأجنبية كانت إحدى شروط الدخول في الوزارة في مصر. ومن الطريف أني قابلت رئيس وزراء الصين شون لاي وكان يتحدث معي باللغة الصينية، فقلت يا سيادة الرئيس أنت تعرف الفرنسية والإنجليزية فلماذا لا تتحدث معي بالإنجليزية؟ فكان رده علي باللغة الصينية، وتجاهل قولي.

وكتبت زينب حفني مقالاً: "حتى لا توءد لغتنا على يد أبنائها"، وعزَت انتشار العامية إلى الإعلام، وتساءلت عن الكيفية التي من الممكن اتباعها لإيجاد توازن بين الفصحى والعامية؛ حتى نحافظ على لغتنا من الاندثار.

وقد رأت عدة عوامل هدمت اللغة العربية؛ أهمها: مجال الفن المتمثل في السينما والمسرح، الزاخر بالإسفاف، والإعلام بجميع وسائله، والفضائيات العربية التي تتسابق في إذاعة الغث من المضامين، ودور الأسرة، ومناهج التعليم، كما صرفت الشابكة والحاسوب الشباب عن لغتهم، وألقت اللوم على النوادي

والجمعيات الأدبية التي لا تتحمل مسؤولياتها، وإلى كتاب يستعملون العامية واللغات الأجنبية، وودّت أن تسعى المجامع اللغوية في رفع مستوى العربية، وأشارت إلى توصيات الدورة الخامسة والستين، وهاجمت المحال والشركات والفنادق التي لها أسماء أجنبية، ورأت وجوب منع هذا الأمر بتاتاً، إلا أن هذا لم يطبق حتى الآن وأصبح نسياً منسياً، وفات الكاتبة الفاضلة أن المجمع ليس سلطةً تنفيذية، وأن قراراته طالما حُفِظت في أدراج الوزارات المسؤولة.

ومن الغيارى على اللغة العربية كاتبٌ من الهند، فقد قرأت مقالة في مجلة الداعي بتوقيع: أبو أسامة. بعنوان اللغة العربية تتطلب اليوم اهتماماً أكبر من العربّ؛ لأن لسان العربية ليس للعرب والمسلمين، كعامة اللغات، وإنما هي جزء من حقيقة الإسلام، فقد كانت لغة الوحي ومعجزة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولسان دعوته، وخلّدها القرآن الكريم بخلوده، وأكرم بها المسلمين أن ينطقوا باللغة التي نطق بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأن يخطبوا ويكتبوا باللغة التي اختارها رب العالمين.

وسائل الإعلام:

إن وسائل الإعلام بصورة عامة تخرب اللغة العربية، وقد رأينا بعض هذه الوسائل وهي الصحافة نموذجاً للشعور المؤلم عن الكتاب، فالأغاني بلهجات متعددة والمسرحيات والمسلسلات والقصص. فقد نشرت جريدة الأهرام في الملحق قصة باللغة العامية.(٥٥)

إن التناحر السياسي وحب الذات والإقليمية والبلدانية فرضت على الإعلام لتكون هناك لغات متعددة ولهجات متباينة، وأخذ بعض الكتاب العرب ينخرون في جسمها؛ فكثرت الأشعار النبطية في الجرائد، وأخذ بعض المسؤولين، وقادة السياسة ينظمون باللغة النبطية أو العامية التي سميت الشعبية، وكثرت

٥٥- جريدة الأهرام، العدد الصادر في ٧/ ١/ ٢٠٠٠م.

دقات الطبول والزلفى لها، فهل يحس هؤلاء بمقدار الضرر الذي يعود على أمتهم المسلمة إذا ابتعدوا عن الفصحى، بعد أن بدأت وَحدة الفكر والعقيدة تتأكّل، وغُرست العادات الفردية بيننا، وخُلقت دول ومناطق لها حدودها السياسية، حتى لا تستفيد الأمة من خبرات شعوبها.

هل انهزمت الفصحى؟

إن الواجب القومي والإسلامي أن تقوم حملةٌ كبيرة للتوعية بضرورة العودة إلى الفصحى، بعد أن انتشرت العامية هذا الانتشار السريع، وبخاصة في البيت والمدرسة والجامعة، وتخطط لوقف هذه المؤامرة وبدراسة عميقة للطرق التي توصل إلى حب اللغة العربية لأبنائها؛ لأن لها قدرة قوية على الوقوف ضد هذه التيارات، ولا لوم علينا فالغرب شديد المحافظة على لغته والتخلص من اللغات الأخرى، ففي ولاية تكساس قرية صغيرة عدد سكانها ٧٨٠٠ اختارت الأسبانية لغة لها، فثارت طبول طواحين الإعلام على مدينة (السنزو) الأمريكية، ورأوا الخطر المحدق بأمريكا، وعلى اللغة الأمريكية من هذه الظاهرة، وهي قرية صغيرة في ولاية تكساس، وبدأ العلماء والباحثون يدرسون خطر اللغة الأسبانية التي اتخذتها قرية السنزو على أمريكا، وعُدّت القرية خطراً على لغة أمريكا القومية، وقورنت بما صنعت كيويك في كندا التي تستعمل الفرنسية بالرغم من اتساع اللغة الإنجليزية وسيطرتها العالمية.(٥٦)

وفي فرنسا صدرت مذكرة عن تعليم العامية للعرب وكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وحجتهم أن العرب الذين في فرنسا يتكلمون العامية، ولا يعرفون الكتابة، والنص المكتوب باللاتينية يسهل عليهم الفهم، ويساعدهم على النجاح في تعليمهم الجامعي، والواقع أن البعد السياسي والتعصب الديني ضد العربية من أهم دواعي هذه الحملة.

٥٦- جريدة الشرق الأوسط ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٠م .

إن وسائل الإعلام العربي المرئية والمسموعة أخذت تمعن في استعمال العامية، والعامية المحلية وأقول بصراحة: إن دعاة العامية أو النبطية أو الشعبية يدارون ضعفهم في ركوب موجة العامية؛ مدعين بأنها أقرب إلى فهم العامة، وأتساءل لماذا يهبطون إلى العامية ولا يرتفعون على الفصحى؟ وهذه المسلسلات التراثية يقبل عليها الناس بلهفة ويفهمون أحداثها فهماً واضحاً.

ومما نشر في الصحافة رأي لعائلة أبو فرح تقول لتلفزيون (M T V) ترد على دعاة العامية وتقول: إن الفصحى توحد اللهجات في الوطن العربي لوجود اللهجات التي يتحدث بها أهل كل بلد حتى في البلد الواحد فلهجة أهل الجنوب غير التي يتحدث بها أهل الشمال، إذ أن بعض سكان الشمال مثلاً لا يفهمون اللهجة التي يتحدث بها أهل الجنوب أو الوسط؛ لذلك فالفصحى تكون حلاً وحيداً لإيصال الخبر الصحيح بالصورة الصحيحة.

وقد نشرت إحدى الجرائد مقالاً تحت هذا العنوان "انكفاء الفصحى في البرامج الإذاعية والتلفزيونية" وقالت: "المذيعون يجنحون إلى العامية بامتياز المرئي والمسموع"، وعن انتشار العامية في معظم وسائل الإعلام، وابتعاد عدد كبير منهم عن الفصحى، ومن حسن الحظ هناك من يقاوم هذا التحدي، فقال بعضهم: إنّ تراجع العربية الفصحى عن مجالات المشافهة يؤدي إلى عواقب وخيمة، وردّ آخرون بأن العامية هي أقرب إلى أذن المواطن والأيسر للاستيعاب، بعد أن تخلى المنتجون عن مسلسلات الفصحى، ولا أدري هل هناك عامية عربية سليمة، وهي مشحونة بالإنجليزية والفرنسية، وتدخل الآن السرلنكية؟! كما قالت إحدى الصحفيات في مقالها، وقد وجدت اختلافاً بين المذيعات في الوطن العربي، وكان مع الفصحى عدد من المذيعات، ونسي هؤلاء أن الفصحى تجمع العرب والعامية تفرقهم.

استعمار اللغة الإعلامية (٥٧)

الاعلام في المعنى العام يعني التبليغ والإبلاغ أي الاتصال وجاء في الأقوال على سبيل المثال "فليبلغ الشاهد الغائب أي فليعلم الشاهد الغائب والإعلام هو التعريف بقضايا العصر ومشاكله وكيفية معالجة هذه القضايا في ضوء النظريات والمبادئ التي اعتمدت لدى كل نظام او دولة او مؤسسة من خلال وسائل الاعلام المتاحة داخلياً او خارجياً وقد عرفه الألماني أوتوغروت Ootogrot"بأنه التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه"وهذا التعريف هو لما ينبغي ان يكون عليه الاعلام لكن واقع الاعلام صار اليوم وبعد التطورات الكبيرة في وسائله ودوره وتأثيره في حياة الناس والمجتمعات شيء مختلف فقد تحول الاعلام من سلطة رابعة الى سلطة أولى او ثانية.

الإعلام في عالم اليوم هو من يوجه فكر المجتمع نحو القضايا التي يريدها أصحابه وموجهيه للتأثير باتجاهها فهو القادر على تمرير الثقافات والأيدلوجيات الفكرية من مجتمع الى أخر وهو الذي يستطيع هدم ثقافات وانشاء ثقافات اخرى محلها تتناسب مع مايهدف اليه الداعم لتلك الوسيلة من الاعلام، ان اللغة في الاعلام هي من المقومات الأساسية لتكوين لغة اعلامية يمكن ان تصل المتلقي بالشكل المراد التأثير فيه ويقول الفيلسوف الانكليزي" الفريد نورث وايتهد Alfred North Whitehead" ان اللغة هي جوهر الفكر وماهيته فكثيراً ماتقتصر اللغة على التعبير عن الأفكار من ناحية وعن العواطف والانفعالات من ناحية اخرى من هنا نجد ان اللغة ليست هي الكلمات التي تصدر عن اللسان فحسب وليست هي اللغة الوحيدة التي عرفها الإنسان فهناك لغة الإشارة ولغة الحركة ولغة الصورة

٥٧- مقال للكاتب الكبير عبدالكريم صالح المحسن / مجلة الحوار

والعديد من اللغات اللاصوتية التي يعبر فيها الإنسان عما يجول بخاطره وقد احتوت اللغة الإعلامية على كل تلك اللغات بحيث يتم صياغتها والشكل الذي يتناسب مع ماتود تلك الوسيلة الإعلامية من طرحه، ويقول عالم الإشارة والصوت كندراتوف Kondratov "ان اللغة هي وسيلتنا الأساسية لنقل المعلومات في المجتمع البشري وهي تستطيع ان تفعل اكثر من ذلك حيث يمكن ان تصوغ العالم فلغة العالم هي التي تصوغ الحضارة عليه فان اللغة الإعلامية هي التي تنتشر ويقوة داخل المجتمعات مهما اختلفت مستوياتهم الفكرية والعلمية "فالإعلام فن حضاري بالضرورة، يتصل بأسباب الحضارة وينتشر اكثر ماينتشر في المناطق الحضرية "فمع وصولنا الى الثورة المعلوماتية الخامسة في مجتمع أصبح مجتمع معلومات والذي اعتمد على استثمار التكنلوجيا الحديثه في إنتاج المعلومات الوفيرة من اجل تقديم الأخبار والمعلومات من خلال الاعلام على نحو سريع وفعال ومع دخولنا القرن الحادي والعشرين نكون قد وصلنا الى مرحلة الانفجار المعلوماتي الهائل فأصبح سوق أنتاج المعلومات سوقاً كبيراً لايختلف عن أسواق البترول او الذهب لذلك نجد ان الاعلام ومؤسساته العالمية بدأت في التفنن في وسائل الاتصال واللغات الإعلامية.

في العصر الحديث أصبح الاعلام الخبري هو الأكثر شيوعاً وتأثيراً حيث تكثر الحروب والثورات والانقلابات والاحتكاكات السياسية لذلك نرى ان كل جهة تريد ان تظهر حالها كأنها المتقد والحر والبعيدة عن الشبهات والمتصر الدائم، فقد صارت صياغة الإخبار اليومية وتوظيفها لخدمة جهة معينة من خلال التحليل بما يتناسب ويتلائم مع تلك المقاصد السمه الأبرز للأعلام في الوقت الحاضر حيث تعددت وسائل الاعلام المساندة للأعلام الخبري كالانترنيت وما يطلق عليه بالإعلام الرقمي والإعلام هو المستخدم الأكبر لهذه الوسائل بعد وزارات الدفاع والجيوش العالمية حسب أخر دراسة أعدت من قبل مجموعة من الباحثين في جامعة جون هوبكنز Johns Hopkins University في امريكا، وأصبحت الصحافة الالكترونية سمه من سمات الاعلام الحديث ووجدت

الطـرق والوسـائل المتقدمـة والمتنوعـة في الإخـراج الفـني والمونتـاج والنـشر الالكتروني، فمصطلح الاعلام الحديث صار التـوأم لمصطلح "الاعـلام الرقمـي" وتغير وجه الاعـلام بـشكل كـبير وأصبح زوار الانترنيـت ومـستخدميه ليـسوا متلقين فحسب انما أصبحوا صانعي الصياغة الخبرية والإعلاميـة في ضـوء هـذا التقدم الهائل في المجال الإعلامي فقد نقلت الصحافة والإعـلام بـشكل عـام مـن صحافة الإعلامي المتخصص والمحـترف الى صـحافة المـواطن وكمـا أسـلفنا بـان الاعلام هو من يوجه فكر المجتمع نحو القـضايا الـتي يريـدها اصـحاب الوسـائل الإعلامية والكثير منهم قد يستغل المتلقي دون شعور مـن المتلقـي وهـو مـايطلق عليه "المخادعة الإعلامية Deceptive Media".

إعلاميا نحن في حاضرة الاعلام المتعدد الوسـائط "Multimedia" هـو عنـوان الثورة الإعلامية الحديثـة الـتي نعيـشها حيـث يـتم مـزج مختلـف أنـواع الاعـلام والتكنلوجيا فنجد الصوت والصورة والعمارة والـنص الأدبـي والمهـارة اللغويـة والتقنيات التكنلوجية والبث الرقمي واستخدام الكمبيوتر وأنظمتهـا والانترنيـت كل ذلك يتحالف ويقف صفاً واحداً مع الاعـلام مـن اجـل انتـاج إعـلام بـالغ التعقيد والإبهار.

لقد كتب نُوربرت فاينر Norbert Wiener "المنغاري الأصـل في عـام ١٩٤٨م في كتابه الشهير "Cybernetics" الذي أسس لمرحلة "التواصل الحي" Interactivity الـتي تشكل الآن الجوهر المثير والجـذاب في وسـائط الانترنيـت والكمبيـوتر والفيـديو حيث قال انه لايمكن فهم المجتمع الا من خلال وسائل الرسـائل والاتـصال الـتي تنتمي اليه وتقوم بين مكوناته وأشار الى ان التطورات في المـستقبل في مجـال هـذه الرسائل وأنماط الاتصال سوف تحمل أشكال اتصال بـين الإنـسان والالـه وبـين الاله والاله وبين الإنسان والإنسان عبر الاله مباشرة وسوف تتـضاعف أهميتهـا بشكل مطرد.

لقد قام مهندس البرمجيات الأمريكي "بافال كيرتـس Pavel Curtis" بدراسـة

عن الحقيقة الافتراضية Virtual Reality المعتمدة على النص وأبعادها الاجتماعية عام ١٩٩٢م كنقطة تحول كبرى في عالم الحقيقة الافتراضية خاصة لأنها ليست تقنية الأبعاد فحسب بل تقدماً منظوراً اجتماعياً وسيكولوجياً لهذا التطور العلمي ونرى في دراسة الفيلسوف الفرنسي "بيير ليفي Pierre Levy" تصوراً معمقاً عولمياً عن الفضاء السيبيري" وكيف ان هذا الفضاء بات عالماً جديداً له قوانينه وتأثيراته واندفاعاته وضغوطاته على الهياكل الاجتماعية التقليدية المعروفة واهم مايرصده ليفي في هذا الفضاء الجديد" هو تكاملية وتواصلية المبدع مع المتلقي وانتقال عملية الإبداع برمتها من صفتها الفردية الى مرحلة ان تصبح ابداعياً يساهم فيه الجميع بديناميكية لاتنقطع عبر التواصل الحي والتغذية العكسية او الراجعة والمساهمة المباشرة في تأسيس وتصميم العمل الإبداعي إعلامياً كان أم اتصالياً وبسبب استحواذ فكرة الإبداع الجماعي كمميز للفضاء السيبيري الجديد فقد اسماه"الذكاء الجماعي".

الاستعمار كم هذا الاسم وهذا اللفظ مدان فهو مرتبط بشكل مباشر في الأذهان والعقول باقترافه جرائم كبيرة ضد الإنسانية والبشرية احتلالاً وإبادة ونهب لخيرات الشعوب يعود ألينا اليوم بأدوات ومؤامرات جديدة من اجل التدخل في شؤون بلادنا عبر "الاستعمار الإعلامي Colonialism Media" من اجل تغيير اتجاه بوصلة نفسيتنا العربية والإسلامية نحو كل ماهو غربي وتحويلنا الى تابعين لأرادته فمن خلال اختراع "الأقمار الاصطناعية" بدأ الاستعمار الإعلامي بالانتشار في فضائنا ودخل بيوتنا دون اي استئذان وتكفي الإشارة الى ان عدد الأقمار الفضائية يقدر بزهاء ٣٤٠٠ قمر اصطناعيا تبث وتستلم في ٤٨٠٠ محطة استقبال وإرسال الكترونية موزعة فوق ارض الكرة الأرضية وبالطبع من بينها محطات عربية وإسلامية، من خلال هذه الأرقام لأعداد الأقمار الصناعية الفضائية نعرف حجم الخطط والمؤامرات الامبريالية التي لا أول لها ولا آخر.

ان الهدف الأساسي للاستعمار الإعلامي هو احتلال العقول وهو بالتاكيد اخطر بكثير من الاستعمار العسكري فالاستعمار العسكري يستمد قوته من آليات خارجية الإخضاع بينما الاستعمار الإعلامي يستمد قوته من آليات داخلية الإخضاع يقول ابن خلدون:"انما تبدأ الأمم بالهزيمة من داخلها عندما تشرع في تقليد عدوها" هو عين الصواب لما نريد ان نصل اليه فالكثيرين اليوم يدافعون عن هذا الغزو والاستعمار الإعلامي والثقافي فيختارون له أسماء اخرى معتبره اياه بأنه سبيلاً للمثاقفه ويعتبرونه تلاقح معرفي وحضاري وهم يسردون لك ذرائع وحجج لاتنتهي لتبرئة يد هذا الاستعمار ويعتبرونه استكمالاً للنهضة والتقدم لكن الحقيقة الواضحة ان ذلك جزء من الغزو العام والشامل لأوطاننا من اجل النهب الاستعماري لخيرات الشعوب وثرواتها ومواقعها الاستراتيجية فالاستعمار الإعلامي يهدف الى الغزو من الداخل وهو الأخطر لأنه يحاول فيما يحاول من تخريب المناعة الذاتية من اجل دوام الهيمنة على الإرادة.

ان الاستعمار الإعلامي متداخل بشكل كبير وشائك مع العديد من المصطلحات والمفاهيم المرتبة به منها "الاستقطاب والهيمنة Polarization and Dominance" والذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية وصولاً الى الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي وتشكل الأحادية القطبية التي ترافقت مع المعلوماتية والتقنية والاتصالات ولاشك بان هذه الآليات والوسائل كل واحدة منها تعادل جيوش كبيرة أنها الثروة والمعرفة وهما يتبادلان الأدوار وتتكاملان فيما بينهما، ثم جاءت "التبعية Dependent" في الإطار الاقتصادي وصولا الى التنمية الموجهة للخارج اي تغذية المركز بالمواد الخام والنفط وتصريف منتجات المركز، فقد بدأ اقتصادياً وانتهى الى المجال الأعم والاشمل العالمي او كما يطلق عليه الكوني ومع اصطلاح وتحول العالم الى قرية صغيرة بتأثير سلطات العصر الاتصال والمال والمعلوماتية وغير خافي ان التبعية الإعلامية والثقافية هي اخطر من التبعية الاقتصادية ثم وصلنا الى مفهوم"

التغريب Westernization" وهو سيادة النزعة الغربية والاحتذاء بالمغرب طبعا الغرب هنا المقصود منه الولايات المتحدة الامريكية وأوربا والاستلاب او الاغتراب اي خلق فضاء وفجوة بين المرء وواقعه عندما يتم تغليف الذات بغشاء اللاانتماء وشعوره بأنه مبعد عن البيئة التي ينتمي اليها فيصبح منقطعا عن نفسه ويكون عبداً لماحوله ثم يأتي مصطلح التنميط (التنميط الثقافي Cultural Profiling)حيث يعبر الاستعمار الإعلامي عن آليته أساسا بالتنميط الإعلامي الذي يعني انتاج نمط ثقافي وإعلامي واحد بما يتناسب مع إرادة المنتج والصانع المهيمن وهو مانلاحظه في الاعلام من شيوع ثقافة الصورة بديلاً عن ثقافة الكلمة.

ان الغزو الإعلامي يعبر عن آليته بشكل رئيسي من خلال التنميط الذي يعني انتاج نمط أعلامي وثقافي واحد عبر وسائل السيطرة المختلفة كالتقنية والمعلوماتية والاتصالات ثم يحضر مصطلح "التغطية The Covering" وهو أسلوب أعلامي من اجل التضليل بقصد قلب الحقائق او تزييف الوعي وتشكيل العقول وفق أملاءات شروط الهيمنة وقد تحدث ادوار سعيد في كتابه "تغطية الإسلام" وهو باللغة الانكليزية في عام ١٩٨٢م عن التضليل الإعلامي والأيدلوجي الذي مارسته وسائل الاعلام الامريكية للتغطية على الاسلام والحكم عليه بالإرهاب ولابد لنا ان نعي بمدى القدرة الاستعمارية لهذا الأسلوب في عمليات غزو واحتلال العقول، وصولاً الى "العولمة Globalization" وهي جعل نمط العيش والثقافة عالمياً وفي الحقيقة هي أمركة العالم وهو طموح ليس بالجديد فهو قديم للولايات المتحدة الامريكية ونشير هنا الى قول الرئيس الأمريكي "جروفر كليفلاند ١٨٩٣م-١٩٠٨م Grover Cleveland": "أن دور امريكا الخلاق هو تحضير العالم ليصبح امة واحدة تتكلم لغة واحدة" وقد استمد الطموح الجديد "العالمي الجديد" من هذا الطرح الرئيس كلفلاند والنظام العالمي الجديد تجده شعار الدولار الأمريكي الذي اخذ شكله منذ نهاية القرن التاسع عشر إذ يوجد على الدولار صورة لهرم تعلوه عين انسان ووضعت في أسفل الهرم عبارة "النظام العالمي الجديد"، ان العولمة الإعلامية والثقافية ليست كنظام

عالمي أعلامي وثقافي جديد يقوم على احترام مبادئ عقد التنمية الذي اقرته الأمم المتحدة عام ١٩٨٩م ومراعاة البعد الثقافي للتنمية وتأكيد الهوية الثقافية انما هو أمركة العالم اي فرض ثقافات جديدة وغريبة والفرق بين المفهومين واضح لا لبس فيه حيث تبتدي في إشكالية السيطرة العالمية الكاملة في العولمة عبر إنتاجها الاحتكاري لأدوات الهيمنة.

ان الاستعمار الإعلامي يعتمد اليوم بالاضافه الى الوسائل التي تطرقنا لها فهناك أيضا استراتيجيات واهم تلك الاستراتيجيات هي "الخداع الاستراتيجي Strategic Deception" بالرغم من ان هذه الاستراتيجية غالباً ماتستخدم في الحروب وقد استخدمها الجيش المصري في حرب أكتوبر بشكل فعال الا أنها اليوم قد أدخلت وبشكل كبير من قبل الاستعمار الإعلامي من اجل التضليل والتأثير على المتلقين وإيهامهم بإحداث لم تحدث بالشكل الذي يظهره الاستعمار الإعلامي.

سنأخذ مثلان لإمكانية الاعلام من استخدام الخداع الاستراتيجي لتحريك بعض الأحداث ففي رومانيا عند أواخر فترة حكم الرئيس الروماني "نيكولاي شاوشيسكو Nicolae Ceausescu" في عام ١٩٨٩م وخلال إلقاءه خطاب في الجماهير المحتشدة تم قطع البث التلفزيوني الذي كان ينقل الخطاب بشكل مباشر على شاشات التلفزيون وبفترة اقل من نصف ساعة انتشرت أشاعه مفادها ان الجماهير قد صعدت الى الشرفة التي يلقي منها "شاوشيسكو"خطابه وتم سحله في الشوارع انتشرت هذه الاشاعه كانتشار النار في الهشيم بينما انهى شاوشيسكو خطابه بشكل طبيعي وعاد دون ان يدري ماالذي يحدث، اشتعلت شوارع رومانيا معلنة الثورة ضد شاوشيسكو واعتصمت الجماهير في شوارع بوخارست مطالبة بإسقاطه وما هي الا ساعات حتى انضم الجيش الى الثوار حتى تم اسقاط حكمه وتم إعدامه وزوجته، وخلال فترة التأجيج استخدمت خدعة اخرى اكثر ضراوة من اجل استشاطة عواطف الجماهير للمناداة بسقوطه والخدعة هي فقد

اضهرت شاشات التلفزيون مقبرة في مدينة "ديمشتورا" الرومانية تظهر مجموعة من جثث الموتى كانت مدفونه حيث قال الثوار بأنها مقابر جماعية قد أعدمهم الرئيس الروماني شاوشيسكو وبعد سقوطه وإعدامه بعشرة أيام كشف الاعلام ان تلك الجثث التي أظهرها الثوار هي جثث قد تم جلبها من المستشفى لموتى من الأمراض اي موتى بشكل طبيعي وقد تم دفنهم في هذه المقبرة للادعاء بأنها مقبرة جماعية قد قام بها نظام شاوشيسكو من اجل الإسراع بإسقاط النظام.

مثلاً آخر لما يمكن ان يقوم به الاعلام والفبركة الإعلامية من تأثير في تغيير مجريات الأحداث في احد الأيام زار الرئيس السوداني حينذاك جعفر النميري القاهرة وخلال زيارته هذه وقع انقلاب على النميري في السودان لم تكن خلال تلك الفترة فضائيات او فيس بوك او تويتر بل كانت الإذاعة هي صوت الدولة الإعلامي وقد سيطر الانقلابيين على الاذاعه وأعلنوا انقلابهم من خلالها، بعد فترة قامت الحكومة المصرية بإصدار موجه إذاعية أقوى من الموجه التي تبث عليها الاذاعه السودانية بحيث دخلت على ترددها وبدأت تبث ان الانقلاب قد فشل وان النميري قد استعاد السيطرة على الأوضاع وفعلاً هكذا فشل الانقلاب وعاد النميري الى السلطة.

.اما امريكا فحدث ولا حرج في فبركتها الإعلامية وتدخلها في شؤون الدول وهو أساس الموضوع ومانعنيه بالاستعمار الإعلامي هو الاستخدام الأمريكي الغربي والصهيوني وحلفائهم للأعلام المفبرك والموجه ضد بلداننا في الوطن العربي من اجل زعزعة استقرارنا والتمكن من شلل عقولنا وأدمغتنا وشلل الثقافات العربية باستخدام سطوة الاعلام من اجل ان نكون في عراء فكري وأيدلوجي يريدون ولادة عالم مثالي من عالم ملعون يريدون ان يكون الحق والخير والجمال من الظلم والفساد والقبح انه ضد منطق التاريخ وضد ناموس الحياة.

ان موضوع الخداع الاستراتيجي هو ليس بجديد فهو قديم وقد كانت آلياته ليست متقدمة كالاشاعه واستخدام الطابور الخامس لكن اليوم تطورت الآليات بشكل هائل لكن بقي الشعار نفس الشعار "اكذب اكذب حتى تصدق أنت كذبتك وبالتالي يصدقك الآخرون".

مخطئ من يظن ان وسائل الاعلام تدور في فراغ او أنها تعمل من اجل نقل الحقائق والأحداث دون أي غاية او هدف تنشده بل على العكس من ذلك فان وسائل الاعلام تهدف الى أحداث تأثير في الجمهور الذي يتلقى منها الرسائل التي لاتنتهي اياً كان حجم ونوع ذلك التأثير وهناك العديد من النظريات حول ذلك التأثير مثل نظرية الرصاصة السحرية Magic Bullet Theory" او نظرية ابرة تحت الجلد التي تعتبر ان تأثير الاعلام والاتصال على الجماهير المتلقية هو كقوة تأثير الرصاصة او الإبرة التي توخز تحت الجلد حيث اعد علماء الاجتماع والإعلام بان هذه النظرية مبالغ فيها فليس للأعلام هذه القوة والسرعة في التأثير لكن اقرب النظريات للحقيقة حول تأثير الاعلام والاتصال في المتلقي هي نظرية التسويق الاجتماعي" Theory of Social Marketing حيث تقوم هذه النظرية على مبدأ استخدام أدوات اتصالية مختلفة (حملات إعلامية-اتصالات شخصية-علاقات عامة-أحداث مفتعلة) لترويج فكرة اجتماعية، بهدف تحقيق أكبر قدر ممكن من الانتشار للموضوع، والتأثير على الجمهور، لتبني سلوك يتفق والفكرة المطروحة.

الإعلام لغة الحضارة وهوية شعب

يوجد ارتباط وثيق بين عنصري التفكير والتعبير في عملية التحرير الإعلامي، وهذا لا يعني أن اللغة هي جوهر الفكر وما هيتة. فكيثرا ما تقتصر اللغة عن التعبير عن الأفكار من ناحية وعن العواطف والانفعالات من الناحية الأخرى. زمن هذا المنطلق نستنتج أنه لم تكن اللغة اللسانية وحدها التي يعرفها الإنسان وإنما هناك لغات أخرى غير كلامية تستخدم أيضا في التحرير الاعلامى. وستتحول الآن عن التعرف على الطبيعة الأساسية للإعلام، من حيث ارتباطه بالتعبير والاتصال، ونواجه مفهوم الإعلام وما هيته، قبل أن نتعرف على لغة الحضارة، .التي تحقق في مجلها إنسانية الإنسان ، في إطار مجتمع كبير، يصبح فيه الإعلام حامل العملية الاجتماعية، ويمكن الناس من أن يصبحوا كائنات اجتماعية. فقد إرتبطت مهمة الإعلام بتزويد الناس بالإخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة، التي تساعدهم على تكوين رأى صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعتبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهيروا اتجاهاتها وميولها.

وهذا يعني أن الغاية الأساسية من الإعلام هي الإقناع عن طريق المعلومات والحقائق والأرقام والإحصاءات ونحو ذلك. فهنالك تعريف لـ(أوتوجروت) يقول فيه: (الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت) والإعلام تعبير موضوعي وليس ذاتيا من جانب الإعلامي سواء كان صحفيا أو إذاعيا أو مشتغلا بالسينما والتلفزيون.

والإعلام لا يعنى الاتصال بكل الناس، وإنما ينطوي على اختيار الفئات الجماعات أو الجماهير التي يمكن أن تكون كبيرة تماما من حيث العدد. ووسائل الإعلام تتلاقى مع الجماهير، عن طريق عملية اختيار متبادل. حيث تميل

وسائل الإعلام لاختيار جماهير، أساسا، عن طريق المضمون. وتميل الجماهير أيضا إلى الاختيار من بين وساءل الإعلام على أساس المضمون أيضا، ويمكن أن يختلف الجمهور الذي تجتذبه وسلية إعلام ما، اختلافا تاما عن الجمهور الذي تجتذبه وسيلة أخرى، بحسب الميول والثقافات والإهتمامات ، وقد أفرز مع تطور الدراسات الإعلامية مجموعة من التخصصات الإعلامية التي تتناسب مع الأذواق والإهتمامات لتكون موجهة لفئة معينة بعينها. ويضم التلفزيون اليوم من بين عشاقه، كثيرين ممن لم يقلبوا صفحات كتاب أبدا. ولكن للصحف قراء، نادرا ما شاهدوا فيلما سينمائيا. والمجلة العادية مثلا، تستهدف مجموعة من القراء تتصنف ببعض التجانس من بين السكان كافة، وهم القراء الذين يشتركون في المهنة أو الاهتمام أو الذوق. وإذا كان لفظ "الإعلام" قد شاع في حضارة العصرالحديث ، فإن ذلك لا يعني أن الإعلام فن مستحدث، وإنما هو ظاهرة اجتماعيه يضرب بجذوره في جميع مراحل تطور معها، مجددا في وسائله، محققا لأهدافه النابعة من احتياجات الجماعات البشرية، فلا يزال الرجال والنساء يحيون أصدقاءهم في الشارع، ولكن أصبح من المألوف أيضا أن يوجه زعيم وطني تحياته للسكان جميعا عن طريق الإذاعة. ولا يزال الناس يعتقدون الصفقات ولكن نشأ حول نظام المقايضة القديم إعلام ضخم معقد للشراء والبيع وللإعلان. وإذا كانت الوظيفة هي التي تخلق العضو.. فإن الوظائف الإعلامية هي التي خلقت ما نسميه (بالأجناس الإعلامية)، حيث لم تتغير هذه الوظايف على مر القرون فما بين الثقافة القلبية وحضارة العصر، وإنما برزت مستحدثات وهياكل لتكبير هذه الوظائف ومد نطاقها. نمت (الكتابة) حتى يحتفظ المجتمع برصيده من المعرفة فلا يضيع في اعتماده على الاتصالات الشخصية أو على ذاكرة الشيوخ. ونمى فن (الطباعة) حتى تضاعف الآلة ما يكتب الإنسان أرخص وأسرع مما يستطيع الإنسان أن يفعل.

والدور الذي قامت به (الكتابة) و(الطباعة) في سبيل البحث عن الحقيقة كما هي الحال في اللغة، خليط من اختراعات عديدة قد حوكيت

وتنوقلت وطبعت بالطابع الاجتماعي _ فالكاتبة قد خلقت أشياء متكلمة، والطباعة أكثرت من عددها إلى غير ما حد وخلدتها. وهكذا أمكن للفكر أن ينتصر على المكان والزمان والموت، ولكن كثيرا ما ينتهي التفكير المجرد إلى سراب والى الابتعاد عن الجادة. فالفكر في هذه الحالة يجول في (عالم غير مخلوق يرجع إلى عهد الإنسان البدائي) عالم الأفكار الذي هو أيضا عالم الألفاظ.

وطورت الآلات فيما بعد حتى لا يتقيد ما يمكن أن يراه الإنسان بالمكان أو الزمان، واكتشف المجتمع كيف يشارك في الإعلام وكيف يخزنه متخطيا بذلك المكان والزمان ليصون التاريخ الضياع وليزيد المجتمع الفعال من العشرات إلى الملايين.

ليس في الإمكان أن نتخيل مجتمعا متحضرا عصريا يستخدم نمط التبادل الاعلامى الذي كان يستخدم النوع الذي يستخدمه مجتمع عصري. فلكل مرحلة من مراحل المجتمع مراحله الاتصال المناسبة لها، وهنا نتلمس العلاقة الوثقى بين الإعلام ولغة الحضارة من خلال استقراء التاريخ الإنساني.

فالإعلام فن حضاري بالضرورة، يتصل بأسباب الحضارة، وينتشر أكثر ما ينتشر في المناطق الحضرية؛فالبيئة القروية أو القبلية تكتسب فيها المعرفة بالتجربة المباشرة والشخصية، ولا يحتاج الأمر لاى وسيلة من وسائل الإعلام الحديثة، على النحو الذي تقتضيه طبيعة نمو المجتمع، وتنوع تخصصاته، وتعقيد مشكلاته، حيث يغدو فن الإعلام ضرورة حتمية، تبعد كل البعد عن الخبرة الفردية المباشرة. ثم لا يلبث هذا المجتمع المتحضر أن تظهر فيه فنون وعلوم وتخصصات بالغة التجريد والتعقيد، فيصبح الإعلام حلا لصياغة المعرفة بطرية عملية واقعية. لأن المجتمع الحديث لا يقع في مجال الرؤية المباشرة لأحد، كما أنه غير مفهوم على الدوام، وإذا فهمه فريق من الناس فإن فريقا آخر لا يفهمه. وهكذا تغدو لغة الإعلام لغة حضارية تسعى للشرح والتفسير والتكامل.

ذلك أن لغة الإعلام واحدة من أهم مذاهب صوغ العالم. فاللغة فهي وسيلتنا الأساسية لنقل المعلومات في المجتمع البشرى. وهى تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك إذ يمكنها أن تصوغ العالم، ولذلك لا نبالغ حين نقول إن لغة الإعلام هي التي تصوغ الحضارة أو بمعنى آخر على سبيل المجاز، كما أنها بمثابة منشور تحليل الطيف الذي ننظر إلى العالم وحضارته من خلاله.

واللغات المتباينة تعكس العالم الذي حولنا على نحو مختلف، ولذلك فإن المرء يتعلم لغته منذ طفولته المبكرة، حيث يبدأ في إدراك العالم من خلال إطار لغة الأم. ومهما يكن العالم الذي حوله غنيا ومتنوعا فإنه يرى ويدرك إلا تلك الظواهر التي لها مسميات في اللغة. إن لغة الإعلام تحلل لنا العالم وحضارته وفق طريقتها الخاصة وتفرض علينا جميعا هذا الطراز من التحليل وإدراك العالم.

والناس لا يعيشون فقط في نطاق عالم الأشياء الذي يحيط بهم وفى نطاق الحضارة والحياة الاجتماعية، بل يعيشون أيضا في نطاق عالم لغة الإعلام. وإننا نبنى حضارة عصرنا وفق عالم اللغة. وكل لغة تتضمن بالاضافه إلى مفرداتها وجهات نظر وأحكاما مسبقة ضد وجهات نظر أخرى. وليس هذا كل شيء. وتخضع اللغات لأطوار من التغير منها تغيرات تطرأ على العالم الذي يحيط بمتكلمى تلك اللغة. وكي نكون أكثر دقة وتحديدا، فإن العالم يبقى كما هو من الناحية الفيزيائية، ولكنه يصبح عالماً آخر مغايراً في الوعي البشرى.

ولكن هل هذا الفرض صحيح ؟ هل كان صواب حينما قلنا أن كل لغة لها ميتافيزيقا خاصة بها ؟ هل تؤثر اللغة على التفكير ؟ واضح أنها تؤثر فعلا، بيد أنها تؤثر على تكنيك التفكير أو أسلوبه دون جوهره فجوهر الفكر انعكاس للواقع الموضوعي..للوقع الحضاري.. وهدف اللغة هو التواصل أي نقل المعلومات عن الواقع، أي نقل الرسائل. ويذهب علماء النفس إلى أن الطفل يبدأ في إدراك العالم المحيط به حتى من قبل أن يكون هناك أي تفكير لغوى يدور في

ذهنه. أخيرا وبعد أن يتعلم الطفل الكلام يبدأ في استخدام لغته ليسمى خبرته الحسية المكتسبة بمسميات لغويه.

فالأشياء تسبق الكلمات لا العكس. فقد كنا محقين حين قلنا أن اللغة تؤثر على تفكيرنا في ظروف معينة، ونضيف إلى ذلك أنها تؤثر على نمط التفكير لا جوهره، وبالتالي فإنها تؤثر على سلوك الناس. ولكن يجب أن لا ننسى حقيقة أخرى أكثر أهمية وهى أن الفكر يتأثر بالواقع أي يتأثر بالخبرة العملية للبشر أو بالحياة والحضارة. إن الواقع الموضوعي الحضاري والحياة، فوسائلة هي المضاعفات الكبرى، كما استطاعت الآلة في الثورة الصناعية أن تضاعف القوة البشرية مع أنواع الطاقات الأخرى، كذلك تستطيع أجهزة الإعلام الآلية في ثورة الاتصال أن تضاعف الرسائل الإنسانية إلى درجة لم يسمع عنها من قبل.

ووجود وسائل الاتصال الجماهيرية يحدث فارقا له دلالته في مستوى الإعلام حتى بين أولئك الذين لا يستطيعون قراءة الكلمة المكتوبة والذين لا يتسر لهم الوسائل الإلكترونية. لقد ظل الإعلام طوال تاريخه كله فعالا في محاربة التميز، فدلالة تنمية الطباعة في القرن الخامس عشر ليست في أنها حولت الثقل الذي ظل قرونا طويلة على الاتصال المنطوق المباشر، حولته إلى الاتصال البصرى المنسوخ على نطاق واسع لم تفعل ذلك فحسب، بل مدت، وهو الأهم، نطاق المعرفة فلم تعد مقصورة على حفنة من المحظوظين. وأصبحت أداة الطباعة ما بين يوم وليلة أداة للتغير السياسي والاجتماعي. الثورات التي اندلعت في أوربا وشمال أمريكا، لولا الطباعة لربما ظلت في طي العدم. والمدارس العامة كان من غير المحتمل، إن لم تكن مستحيلا، أن تقوم لها قائمة، لولا الطباعة. وظهرت في القرن التاسع عشر تطورات جديدة في الاتصال الجماهيري لتقدم الإعلام والمعرفة لجماهير الناس فوق رءوس المحظوظين والخاصة من المتعلمين. الديمقراطية السياسية والفرص الاقتصادية والتعليم العام المجاني والثورة الصناعية والاتصال الجماهيري تشابكت جميعها في نسيج واحد لتحدث تغيرا عظيما في

حياة البشر ومجتمعاتهم في قارات عدة.والان يتحول الثقل نره اخرى بفعل المستحدثات الالكترونية في الاتصال، نحو الاتصال الذي يستطيع المرء أن يرى فيه ويسمع الموصل. لقد هيأت هذه المستحدثات للدول النامية قنوات ذات طاقات تستطيع بواسطتها أن تصل غلى جماهير أكبر من أن تحصى أون تخاطب الجماهير غير المحظوظة برغم عائق الأمية وان تعلمها مهارات صعبة بأن (تريها كيف تصنع) وأن تكلمها بفعالية لا تقل عن فعالية الاتصال المباشر. ولأن لوسائل الإعلام هذه القدرة الاتصالية الفائقة، فان العلاقة بينها وبين الحضارة تجسدها اللغة تجسيدا عمليا، لأنها تعكس بطبيعة الحال حضارة الإنسان.

فالحضارة لا تنعكس في شيء مثلما تنعكس في الكلام واللغة، بحيث فكل ما يظهر في لغة مجتمع من المجتمعات من نقص او قصور هو دليل قاطع على مدى الزمن تنكس في اللغة وتجد تعبيرا لها، سواء اتخذ ذلك التعبير شكل الكلام العادي أو الكتابة المعروفة أو الرسوم والنقوش التصويرية التي تركها الإنسان المكبر على جدران الكهوف أو حتى في الانجازات الفنية المختلفة من معايريه أو موسيقية أو حركية كالرقص والتمثيل الصامت، ما دامت كلها تترجم في آخر الأمر إلى ألفاظ وتصورات ومفهومات وما دامت تعتبر عن مشاعرنا وأفكارنا وتنقلها إلى الآخرين.فاللغة حتى في معناها الضيق الدقيق الذي يقتصر على الكلام والكتابة؛عنصر أساسي في حياة البشر، إذ بدونها يصعب قيام الحياة الاجتماعية المتماسكة المتكاملة وبالتالي يستحيل قيام الحضارة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من نظم اجتماعية وأنماط ثقافية وقيم أخلاقية ومبادئ ومثل، بل وحياة مادية ومخترعات، لأنها هي أداة التفاهم والإعلام اللذين هما أساس التعاون بين أفراد الجماعة. فكثيرون ممن يعيشون في مجتمع تقليدي يرون صفة سحرية في وسائل الإعلام الحديثة عند لقائهم بها لأول مرة.وهم على حق.فهي سحر _ لأنها تستطيع أن تأخذ الإنسان إلي تل أعلى مما يكن أن نرى عند الأفق ثم تجعله ينظر فما وراءه. وحتى عند زوال هذه الفتحة السحرية فأنها تستطيع إن تعاون في تحطيم قيود المسافة والعزلة

تنقل الناس من المجتمع التقليدي إلى المجتمع العظيم حيث تتركز العيون كلها على المستقبل.

وهذا يعني افتراض وجود علاقة قوية بين الإعلام واللغة والحضارة، ولقد درج الكتاب على الكلام عن لغة الحضارة ، وكيف أن حضارة معينة بالذات تجد لها تعبيرا واضحا وصادقا في ألفاظ ومصطلحات اللغة السائدة في المجتمع الذي توجد فيه. فمفردات اللغة والأساليب والتصورات وبناء الجملة والتراكيب اللغوية والتشبيهات والاستعارات وما إلى ذلك في المجتمع الصناعي الحديث الذي يتميز بتعقد نظمه الاجتماعية والاقتصادية وبشعور أعضائه بفرديتهم الذاتية تختلف اختلافا جذريا عن مفردات اللغة وبنائها وأساليبها في المجتمع البدوي القبلي الذي يعيش على الرعي والترحال والذي يرتبط الفرد فيه ارتباطا وثيقا بالجماعة القبلية التي ينتمي إليها بحيث تكاد شخصيته تفنى وتذوب تماما في تلك الجماعة[٥٨].

وهذا يأخذنا إلى دراسة فكرة تتصل بموضوعنا من قريب، وهي فكرة حضارة اللغة ، وهي مستعارة من عبارة عارضة وردت في محاضرة للفيلسوف الرياضي الشهير (ألفردنورث وايتهد) ونشرها في كتاب بعنوان (أنماط الفكر). وحضارتنا الإنسانية يرتبط وجودها ارتباطا قويا باللغة بحيث يمكن القول إنه لولا وجود هذه اللغة لما قامت هذه الحضارة، أو لظهرت حضارة أخرى من نوع تختلف عن حضارتنا المعروفة، فالجنس البشري يمتاز على بقية الكائنات العضوية الحية _ بما فيها القردة العليا التي تعتبر أقرب هذه الكائنات العضوية إلينا _ بالفكر واللغة، وعلى الرغم من انا القردة العليا بالذات تعيش في تجمعات يتميز بعضها بكبر الحجم، وعلى الرغم من قدرتها على تعلم بعض الحركات محاكاة بعضها، فإنها تفتقر إلى اللغة والى الحضارة بالمعنى الذي نفهمه من هاتين الكلمتين. وتأسيسا على هذا الفهم، فان اللغة في النظرية الإعلامية عامل من

٥٨- الإعلام ولغة الحضارة بقلم: د . محمد ناصر

عوامل الحضارة، ذلك أنها من أهم خصائص الإنسان، فاللغة، أداة هامة من أدوات الحضارة وعامل أساسي في نشأتها واستمرارها وتطورها، وهناك بعض العلماء ألان يحاولون إثبات أن الشعوب التي تتكلم لغات مختلفة تعيش في (عوالم من الواقع) مختلفة، وان اللغات التي يتكلمونها تؤثر بدرجة كبيرة في مدركاتهم الحسية وفى أنماط تفكيرهم، وإنها بذلك تكون هي العامل الاساسى في توجيه الحقيقة الاجتماعية أو الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه الناس الذين يتكلمون تلك اللغات، فالناس لا يعيشون في العالم الموضوعي الخارجي وحده كما أنهم لا يعيشون في عالم النشاط الاجتماعي فقط كما يظن الكثيرون من العلماء وإنما هم خاضعون لرحمة اللغة التي يتخذونها أداة أو واسطة للتعبير.فعالم الواقع أو الحقيقة يرتكز إلى حد كبير بطريقة لا شعورية على العادات اللغوية للجماعة ولا يوجد لغتان متشابهتان تشابها كافيا بحيث تعتبران ممثلتين لنفس الحقيقة أو الواقع الاجتماعي، فالعوالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم متمايزة إذن وليست عالما واحدا ألصقت عليه أسماء وعناوين مختلفة.

فالإعلام يقوم بدور كبير في تكوين الصور اللغوية، الحضارية، فكلما تحرك المجتمع التقليدي نحو العصرية فهو أيضا يبدأ في الاعتماد على الوسائل الجماهيرية. ونتيجة ذلك فإن حصة كبيرة من الاراء فيما يتعلق بالأشخاص ذوي الأهمية أو ذوي الخطورة وكذلك بالأشياء، المهم منها وغير المهم، تجيء بالضرورة عن طريق وسائل الإعلام. فالصحيفة والراديو والمجلة الورقية منها والإلكترونية، تقوم بدور كبير ويتعين عليها أن تقرر ما تبلغ عنه. علمية الاختيار هذه أي اختيار من تكتب عنه أو من تسلط الكاميرا عليه أو من تقتطف من أقواله أو ما تسجيل من حوادث، إن هذه العملية تتحكم بدرجه كبيرة فما يعرفه الناس ويتحدثون عنه.هذا أمر له دلالته بالنسبة للغة الحضارة فهو يعني أن انتباه الجمهور يمكن أن يظل مركزا على التحضير، إذ يمكن أن يوجه الاهتمام من حين لحين إلى لفظ جديد أو سلوك حضاري، أو مصطلح علمي، أو إلى أسلوب يؤدى إليه التحول العصري. فوسائل الإعلام بتوجيهها الانتباه إلى دلالات أو

موضوعات من هذا النوع تستطيع أيضا أن تتحكم في بعض الدلالات التي يتم بشأنها الاتصال المتبادل بين الأشخاص.

ذلك أن عملية الاتصال الاعلامى ليست موقفا ساكنا أو جامدا، وإنما هي عملية ديناميكية، بحيث تحتل اللغة في مركب عناصرها الحضارية، مكانا ذا دلالة خاصة، وهى تؤدى وظيفة ذات دلالة خاصة أيضا، فهي في حد ذاتها نظام الاعلامى، وهى الأداة الرئيسية التي تنتقل بها سائر تلك النظم الأخرى والعادات المكتسبة، كما تتغلغل الألفاظ في الصور ومضموناتها في آن واحد، وتتميز بتركيب خاص بها له قابلية التجرد باعتبار اللغة صورة من الصور. وذلك هو المعنى الواسع للغة، فاللغة بهذا المعنى، هي الوسيلة التي تتقمصها الثقافة فتبقى، وعن طريقها تنتقل. فعملية الإعلام ليست إلا عملية ترامز، فهناك دائما مصدر يرسل الرموز بوسيلة من الوسائل ليستقبلها آخر فيحل رموزها ويفسرها. وفى كثير من الأحيان تصبح الرسالة الإعلامية حرفيا ميتة على الورق، أو اصواتا لا معنى لها. عندما ينعدم الفهم وتكون الرموز غير مفهومة للمستقبل يحدث ذلك أحيانا عند استخدام لغة مشتركة دون التزام بإطار دلالي حضاري موحد. فلكل جماعة، بل لكل فرد مجموعة عن التصورات والاتجاهات تتحكم في سلوكه وفى نظرته للأشياء. فالإنسان يعيش في عالمين: عالم خارجي موضوعي، وعالم باطني ذاتي هو مجموعة تصوراته للعالم الخارجي، أو مجموعة المفاهيم والدلالات. ولا يستطيع الاعلامى ان ينجح فى تحقيق غرضه إلا إذا عرف هذه العوالم الباطنية أو التصورات الخاصة أو الدلالات الحقيقة للأشياء في ذهن المستقبل. ذلك انه لكل فرد عالمه الخاص، وتصوراته الذاتية، المشتقة من بيئته وثقافته، بما فيها وسائل الاتصال المختلفة.

فعند ما يشاهد البدائي سيارة لأول مرة، لا يستطيع أن يدركها أو يفهم دلالتها الحقيقة، ولكنه لابد وان يكون لنفسه مدلولا على ضوء خبرته السابقة. وفى حدود إطاره الدلالي ليفسر هذا الشيء الجديد على ضوئه، فهو يحسبها مثلا

_كائناً غريبا. والإنسان يميل بطبعه إلى تنظيم المدرك، وخلع المعاني عليها. وفقا لإطاره الدلالي، أو مجموعة خبراته ومدلولاته السابقة. ولا يمكن للإعلامي أن ينجح في أداء مهمته ما لم يعرف حقيقة الأطر الدلالية للجماعات والإفراد. وإذا نظرنا للإعلام نظرة شاملة، وجدنا انه يتغلغل في كيان الحضارة، وتتم عملية الاتصال على مستويات مختلفة من حيث استخدام اللغة والرموز، فالاتصال يتوسل بثلاثة مستويات للتعبير اللغوي: أولها:المستوى التذوقي الجمالي الذي يستعمل في الأدب. وثانيها:المستوى العلمي النظري ويستخدم في العلوم. وثالثها: المستوى الاجتماعي الوظيفي الهادف الذي يستخدمه الإعلام بأجناسه المختلفة.

وهذه المستويات الثلاثة موجودة في كل مجتمع إنساني. والفرق بين المجتمع المتكامل السليم، والمجتمع المنحل المريض هو في تقارب المستويات اللغوية في الأول، وتباعدها في الأخر، فتقارب مستويات التعبير اللغوية دليل على تجانس المجتمع، وتوازن طبقاته، وحيوية ثقافيه.ومن ثم إلى تكامله وسلامته العقلية.فمن الثابت أن العصور التي يسود فيها نوع من التآلف بين المستويات الثلاثة، هي غالبا أزهى العصور وأرقاها.أما إذا كان كل مستوى لغوى بعيدا كل البعد عن الآخر، فهو دليل على الانفصام العقلي في المجتمع وهذا يؤدى إلى التدهور والانحطاط، والشيخوخة والانحلال). وهذا يدل إلى أن لغتنا العربية في ميادين الحضارة الحديثة بعلومها المختلفة لا بد لها لكي تساير اللغة العربية الحضارة الحديثة من أن تعبر عن الفكر الحديث، وهى قادرة على ذلك بدليل تلك الكتب العلمية العديدة التي أخرجها الاتحاد السوفيتي السابق، وعبر فيها باللغة العربية عن العلوم الذرة والفضاء والصواريخ فضلا عن الطب والهندسة والفنون.وتبعة ذلك تقع على وسائل الإعلام بالدرجة الأولى، لأن لغتها في مستواها العملي الاجتماعي هي لغة الحضارة.

تناغم عناصر الإتصال مع اللغة الاعلامية[٥٩]

اللغة هي أهم العلامات المميزة لذات الإنسان، وهي إنجاز تراكمي تقوم عليه الحياة الإجتماعية، لدرجة أن جون سيريل يموضعها في مقدمة المزايا البشرية، وذلك في كتابه (العقل واللغة والمجتمع-الفلسفة في العالم الواقعي). حيث يميل إلى اعتبارها (أهم مؤسسة إنسانية، بمعنى أن المؤسسات الأخرى، كالنقود والحكومة والملكية الخاصة والزواج والألعاب، تتطلب وجود اللغة، أو على الأقل تتطلب أشكالاً من الرمزية شبيهة باللغة، بينما لا تحتاج اللغة في وجودها إلى أي من المؤسسات الأخرى).

واللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الأفراد في إتباعه ويتخذونه أساسا للتعبير عما يجول بخواطرهم وفي تفاهمهم بعضهم مع بعض، وعلى ذلك فإننا لا يمكن أن ندرس تأثير اللغة الإعلامية في الرأي العام دراسة موضوعية عن طريق دراسة سلوك الأفراد باعتبارهم ذرات منفصلة، كما لو حاولنا دراسة صفات الماء بالرجوع إلى صفات كل من الهيدروجين والأوكسجين اللذين يتألف منهما.[٦٠]

فاللغة ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين أو أفراد معينين، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث عن الحياة الجمعية، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل للأفكار، وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاماً لغوياً يسير عليه مجتمعه، فيتلقاه عنه تلقائيا بطريق التعلم والتقليد، كما يتلقى عنه سائر النظم الاجتماعية الأخرى، ويصب أصواته في قوالبه ويحتذيه في تفاهمه وتعبيره.[٦١]

٥٩- اللغة الاعلامية / عماد حسين أحمد (بتصرف)

٦٠- شرف عبد العزيز / اللغة الإعلامية / دار الجيل، بيروت ص١٢.

٦١- المصدر السابق، ص١٣.

واللغة – وخصوصاً اللغة الإعلامية– من الأمور التي يرى كل فرد نفسه(المرسل– المتلقي) مضطراً إلى الخضوع لما ترسمه، وكل خروج على نطاقها ولو كان عن خطأ أو جهل يلقى من الرأي العام مقاومة، تكفل رد الأمور إلى نصابها الصحيح وتأخذ المخالف ببعض أنواع الجزاء (٦٢)، ذلك لأن اللغة الإعلامية تشكل في النهاية جزءً من النظام اللغوي العام السائد فإذا اتخذت هذه اللغة منحى مختلفاً عن النظام اللغوي العام، فان مصير هذه اللغة، لن يكون إلا الرفض من قبل المتلقي.

إن تحديد مفهوم اللغة الإعلامية لا يستغني عن نتاج الدراسات اللغوية بمختلف ميادينها، إذ تمدها بما تهتدي إليه من ظواهر لغوية، وما تكشفه من بحوث فنية تفيد في دراسة لغة الإعلام وتهذيب ألفاظها وتوسيع نطاقها وترقية مفرداتها وإدخال مفردات جديدة على مفرداتها، وتدعيم خصائص هذه اللغة الإعلامية من تبسيط وسلامة ووضوح، واقتراب شديد من لغة الواقع الحي المثقف دون إسفاف أو هبوط إلى العامية... واستخدام اللغة العملية التي تعبر عن الحياة والحركة والعمل والانجاز هي اللغة الإعلامية المؤثرة حقاً.

وفي الوقت نفسه يمكن لعلم اللغة أن يفيد من اللغة الإعلامية، ذلك لأن علاقة اللغة الإعلامية بعلم اللغة هي علاقة تأثير وتأثر... فعلاقة التأثير بين اللغة الإعلامية وعلم اللغة هي علاقة التنمية اللغوية، فوسائل الاتصال الإعلامية تساهم في نشأة كلمات لم تكن موجودة في اللغة من قبل، وفي هجر كلمات كانت مستخدمة فيها أو انقراضها انقراضا تاماً. ذلك أن وسائل الاتصال الإعلامية تعكس أهم العوامل التي تدعو إلى نشأة كلمات في اللغة، كمقتضيات الحاجة إلى تسمية مستحدث اجتماعي جديد، سواء أكان نظماً اجتماعيا أم اقتصادياً، أم نظرية علمية جديدة أو فلسفية أو مخترعاً مادياً جديداً، (...) الخ) مثال ذلك، ما

٦٢– شرف عبد العزيز / علم الإعلام اللغوي / المركز الثقافي الجامعي، القاهرة، ص٩.

ظهر من مفردات كثر تداولها على الصعيد الاقتصادي والسياسي كالخصخصة أو العولمة أو القطب الواحد....الخ.[٦٣]

وغني عن ذكر التفصيلات أن التطور الحضاري واكبه تطور تقني مثل اختراع بعض وسائل الإعلام (الراديو –التلفزيون... الخ) ومن هنا اشتدت الحاجة إلى تصميم لغة تستمد صبغتها من الوسيلة التي توظف فيها، سواء كانت مكانية أو زمانية، كما رأى عبد العزيز شرف الذي قال:.... يقصد بالوسائل المكانية تلك التي تشغل حيزا في مكان مثل الصحف، أما الوسائل الزمانية فهي تتسلسل في وقت زمني مثل الإذاعة والتلفزيون والأحاديث المسموعة، وتعتبر الأفلام الناطقة والمحادثات الشخصية المباشرة وسائل مكانية زمانية لأنها تشغل حيزا مكانيا ووقتا زمنيا وهي وسائل سمعبصرية.وقد أدى هذا التطور إلى ظهور لغة من نوع جديد غير اللغة الأدبية بمستواها التذوقي الجمالي، وغير لغة العلم، فاللغة الإعلامية الجديدة تسعى إلى جميع فئات القراء والى تحقيق المستوى العملي على الصعيد الاجتماعي للغة. [٦٤]

الدلالة في اللغة والاتصال الإعلامي:

أثبت علماء الدلالة أن الألفاظ تؤثر على الجهاز العصبي للإنسان، كما أن اختيار الألفاظ هو الذي يساعد على التحكم في اتجاهات الناس وتصرفاتهم[٦٥]، ولما كان خبراء الإعلام يهدفون إلى تعديل الاتجاهات وتكوين الآراء لكسب التأييد وتعبئة الشعور عن طريق الوعي والتنوير، مما يؤدي إلى تصرفات اجتماعية سليمة، فان نتائج علم الدلالة من أهم البحوث التي يفيد منها هؤلاء الخبراء.

وعلى ذلك يمكن القول: إن علم اللغة قد حقق بمنهجه في تحليل البنية

٦٣- محمد نادر / لغة الخطاب الإعلامي / دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص١٥-١٧.

٦٤- شرف عبد العزيز / اللغة الإعلامية / دار الجيل، بيروت ص٢٩.

٦٥- عبد الجليل منقور / علم الدلالة / اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ص٥٧.

والدلالة درجة عالية من الدقة بحيث أصبح كثيرون من المشتغلين بعلوم الاتصال بالجماهير يطبقون الأسس المنهجية للتحليل اللغوي أو تحليل البنية اللغوية في بحث عمليات الاتصال بالجماهير المختلفة، فبدأ التمييز بين الدراسة الوصفية للبنية وبين الدراسة التطورية لها، وتوصلوا بالتمييز بين العناصر الرمزية الدالة وما تدل عليه في إطار المجتمع، وأخذ الباحثون في الاتصال بالجماهير يبحثون في اللغة باعتبارها عنصر أساسي في عملية الاتصال الإعلامي [٦٦].

فاللغة إذن هي العروة الوثقى التي جعلت الاتصال عملية اجتماعية وهي التي تحدد الكيان الاجتماعي للاتصال الإعلامي أو اضطرابه في مواجهة المعايير التي يفرضها المجتمع في المظهر والسلوك، وعلى ذلك فان منهج البحث الإعلامي في اللغة إنما يهدف إلى البحث في ماهية اللغة من حيث كونها أداة اتصال يستعملها المشتغلون في الأجهزة الإعلامية بحيث ينصب المنهج على البحث بشكل خاص في اللغة الإعلامية بمستواها العلمي الاجتماعي باعتبارها كيانا خاصا متميز الملامح والسمات مستقلا عن اللغة بمستوييها التذوقي الفني الجمالي والعلمي النظري التجريدي، ذلك أن اللغة الإعلامية لا تهدف إلى مناشدة حاسة الجمال للقارئ بل على العكس من ذلك تتضمن اتصالا ناجحا أساسه الوضوح والسهولة.

ويمكننا بالاستعارة تشبيه اللغة بأنها سيارة أو حافلة من الأفكار التي يكون من الطبيعي أن الاحتكاك والقصور الذاتي في كل أحوالها يحدان كفاءتها، والهدف الأساسي هو أن نقلل من هذا الاحتكاك والقصور إلى أقل درجة ممكنة.[٦٧]

ولعل علم الدلالة هو أقرب الفروع اللغوية اتصالا بمناهج البحث الإعلامي، حيث يفيد في كيفية إرسال الرسائل إلى الجمهور بوسائله المختلفة،

٦٦- صقر خوري / الفكر واللغة / مجلة المعرفة السورية / العدد ٤٩٦ ، ٢٠٠٥م ، ص١٧٩.

٦٧- شرف عبد العزيز / اللغة الإعلامية / دار الجيل، بيروت ص٥٦.

بحيث تنتقل المعاني كاملة ودقيقة، كما يساعد الإعلاميين على فهم قدرة اللغة على الخداع والتضليل وليأمنو شرها ويجنب الناس خطر الانزلاق.(٦٨)

التناغم بين عناصر الاتصال في اللغة الإعلامية

إن اللغة تحتل موضعاً رئيسياً في عملية الاتصال الإعلامي التي تسري في كيان المجتمع على مستويات مختلفة من حيث استخدام اللغة والرموز، على اعتبار أن الرسالة الإعلامية هي من أهم عناصر عملية الاتصال الإعلامي بإبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية، ولهذا كانت العبارة التقليدية تحدد عملية الاتصال في (من، ماذا يقول، لمن، وكيف، وبأي تأثير) فان أهم عناصر الاتصال يتمثل في "اللغة" أو "الرسالة الإعلامية" التي يتصل من خلالها فرد بآخر أو جهة بأخرى، وبحكم أن اللغة تعد شرطاً ضرورياً لتماسك المجتمع، فان الفرد الواحد من أفراد المجتمع (سواء كان مرسلا أو مستقبلا) يضطر إلى الالتزام بوجهة نظر سائر الأفراد الآخرين والنظر إلى الأمور والبحث عنها بما لا يقتصر على فرديته الذاتية وحدها، بل تكون العملية مشتركة بينه بين الآخرين باعتبارهم شركاء في هذه العملية، أو أطرافاً متعاقدين، فهي مشروع مشترك، فوسيلة التفاهم بين المرسل والمستقبل تقيم شيئا مشتركا، ومن ثم بمقدار ما يكون للغة حظ من هذا الاشتراك فان العملية تصبح عامة وموضوعية (...) إذن فالتفاهم اللغوي السليم الذي يتم عبر الرسالة هو الذي يحقق النجاح للعملية الاتصالية(٦٩).

يرى بعض الباحثين أن الاتصال هو أساس كل تفاعل إعلامي ثقافي حيث يتيح نقل المعارف والمعلومات، وييسر التفاهم بين الأفراد والجماعات، ومن هنا كان الاتصال في مفهومهم نشاطاً يستهدف تحقيق انتشار أو ذيوع معلومات أو أفكار أو أراء بين أفراد أو جماعات، باستخدام رموز ذات معنى موحد ومفهوم

٦٨- شرف عبد العزيز / اللغة الإعلامية / دار الجيل، بيروت ص٧٩.

٦٩- محمد نادر / لغة الخطاب الإعلامي / دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص١٧-١٨.

بنفس الدرجة لدى كل من الطرفين، ولا يتحقق الانتشار المطلوب إلا إذا تم الاتصال عن طريق بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة ومفهومة من قبل جميع المشتركين في العملية الاتصالية. فعملية الاتصال لا تتحقق بطريقة مبسطة، لأنها تتطلب العديد من الخطوات العقلية مثل "التفكير والتذكر والتخيل واختيار الطريقة التي سيتم بها الاتصال واختيار الألفاظ والوقت والتقمص الوجداني (أي) قدرة الإنسان على تخيل نفسه مكان الآخر.

لذلك فانه لابد من توافر التناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل، وهذا يعني وجود معان وخبرات مشتركة بين المرسل والمستقبل، وكلما كان المرسل والمستقبل متفاهمان في إطار دلالي واحد كان ذلك أقرب ما يكون إلى الفهم.(٧٠)

ويمكن القول: انه عند إرسال الرسالة الإعلامية، هناك احتمال كبير في أن يفهم المستقبل(أ) رسالة المرسل فهما تاما، ولكن المستقبل (ب) لن يتمكن من فهم الرسالة بشكل تام لأنه لا يجمعه بالمرسل إطار دلالي واحد، وربما يعود ذلك لعدم إجادة هذا المستقبل لغة المرسل، وهذا الانقطاع يمثل ما يسمى بالتشويش الدلالي والذي يعني عدم وجود معان وخبرات مشتركة بين المرسل والمستقبل أو هما لا يشتركان فيها أبدا، أما المستقبل (ج) فلا يشترك مع المرسل في الإطار الدلالي (فهو خارج الإطار الدلالي تماما) لذا لن يفهم الرسالة الموجهة من المرسل وقد يرجع ذلك لعدم معرفته بلغة المرسل.

إن آلية الاتصال والاستقبال مرهونة بالمرسل والمستقبل فكلما كانت المرتكزات الأساسية بينهما مشتركة مثل الخبرات، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والسياسية والثقافية والجغرافية والتاريخية والوجدانية كانت عملية الاتصال أوضح وأسرع وأبعد عن التشويش.

ويتحكم في علو نسبة التشويش أو انخفاضها في عملية الاستقبال "قالب

٧٠- محمد نادر / لغة الخطاب الإعلامي / دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص١٩.

الرسالة إذ لابد للمرسل أن يضع رسالته في شكل معين أو صيغة محددة من الرموز والكلمات، فإذا كان المرسل ضعيفا في كتابته أو غير واثق من نفسه أو ليست لديه المعلومات الكافية عن موضوعه، فان ذلك يؤثر سلبا على الاتصال، وكذلك، تلعب الوسيلة التي تنقل الرسالة دورا مهما في عملية الاتصال، إذ لابد أن تكون من القوة والمتانة والمرونة بحيث تصل الإشارات إلى المستقبل في الوقت المناسب والمكان المناسب مهما حدث من تداخل أو تنافس مع الوسائل الأخرى... وأيضا للمستقبل دوره-كما رأينا -فكلما كان قادرا على فك رموز رسالة المرسل بالطريقة المطلوبة ارتفعت نسبة نجاح العملية الاتصالية.(٧١)

مستويات التعبير اللغوي في اللغة الإعلامية:

توجد ثلاثة مستويات للتعبير اللغوي: أولها المستوى التذوقي الفني والجمالي ويستعمل في الأدب والفن- والثاني هو المستوى العلمي النظري التجريدي ويستعمل في العلوم -والثالث هو المستوى العلمي الاجتماعي العادي الذي يستخدم في الصحافة والإعلام بوجه عام – وهذه المستويات الثلاثة كائنة في كل مجتمع إنساني، والفرق بين المجتمع المتكامل السليم والمجتمع المتحل المريض، هو تقارب المستويات اللغوية في الأول -وتباعدها في الآخر – فتقارب مستويات التعبير اللغوي دليل على تجانس المجتمع، وتآلف طبقاته، وحيوية ثقافته، ومن ثم تكامله وسلامته العقلية، فمن الثابت أن العصور التي يسود فيها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية، هي غالبا ازهى العصور وأرقاها، أما إذا كان كل مستوى لغوي بعيد عن الأخر كل البعد فهو دليل على الانفصام العقلي في المجتمع، وهذا يؤدي إلى التدهور والانحطاط والشيخوخة والانحلال.

٧١- شرف عبد العزيز / اللغة الإعلامية / دار الجيل، بيروت ص٣٥.

إن العلماء والأدباء قد يعملون على تنمية اللغة وجعلها غنية، إلا أن جذور اللغة لا تعمق إلا في التربة العامة التي منها تستمد اللغة عصيرها وغذائها – هذا إذا قدر للغة إلا تموت وتندثر كما اندثرت تلك اللغات القديمة التي انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم، لهذا يجب ألا تكون هناك فجوة بين لغة الأدب والعلم وألفاظهما والحديث اليومي، فقد تتطور تلك الفجوة وتصبح لغة الأدب والعلم أشبه باللغة المصنوعة التي تتقرر صيغها وأشكالها بوساطة سلطة عليا كما هو الشأن في المجامع اللغوية بأوربا.

إن لغة الصحفي والإعلامي تقوم على الوظيفة الهادفة والوضوح والإشراق، فالفن الصحفي والإعلامي تعبير اجتماعي شامل ولغته ظاهرة مركبة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافي من علم وفن وموسيقى وفن تشكيلي إلى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والموضوعات العامة... ومن ذلك يتبين أن الفن الصحفي والإعلامي فن تطبيقي يهدف إلى الاتصال بالناس ونقل المعاني والأفكار إليهم، فهو أداة وظيفية وليس فنا جماليا لذاته، لكن مع ذلك فلغة الفن الصحفي تختلف عن كل هذه جميعا لأنها تتضمنها كلها ولا تقتصر على أي منها– لأن الجمهور المستقبلين ليسوا قطاعا واحدا من الناس وإنما كل الناس.. ولان الصحفي يكتب لكل الناس فانه يجب عليه أن يجاهد لتحقيق هدف عام وهو جعل رسالته مفهومة لدى الجميع.

ظاهرة تعددية المعاني في اللغة الإعلامية:

إن امتلاك اللغة هو احد الشروط المهنية للصحفي، إذ إن عدم معرفة قدرات اللغة وعدم معرفة استعمال هذه القدرات من أجل تحقيق الأهداف المطلوبة، قادرة على جعل عمل الصحفي قليل الإقناع ولا حول له(...) إن معنى بعض الكلمات والتعبيرات لا يتوقف عليها ذاتها فحسب، بل وعلى ما حولها، إذ إن الكثير من الاتفاقات بخصوص استخدام الكلمات لا تصاغ بصورة

جلية، إنها تفترض فقط، حيث أن جميع الكلمات تقريبا لا تمتلك معنى واحدا بل عدة معان، فالأشياء ذاتها يمكن إن تسمى أحيانا باشكال مختلفة، أو يمكن أن تمتلك مجموعة من التسميات، فإحدى الصعوبات الأساسية للفهم المتساوي للمتكلمين تكمن في إن الكلمات على العموم متعددة المعاني وتمتلك معنيين وأكثر.إن قاموس اللغة العربية الأدبية الحديثة تشير إلى وجود ١٧ معنى مختلف للفصل العادي الدارج مثلا- كلمة وقف- قد تعني موجود على رجليه – يتوضع- بلا حراك – بدون عمل – التوضع المؤقت – احتل موقعا قتاليا – يعيش – موجود (...).

فتعددية المعاني في الكلمة الواحدة أمر لابد إدراكه، وعلى الصحفي أن يحسن استخدام الكلمة في الموضع الذي لا يمكن أن يقدم إلا المعني المراد إيصاله إلى المتلقي.

إذا كانت قابلية القراءة تتوقف على اهتمام القارئ وخبرته فان الرسالة الإعلامية تفقد قيمتها عندما ينعدم الفهم أو تتعدد المعاني في الرسالة الواحدة. إن لكل جماعة مجموعة من التصورات والاتجاهات تتحكم في سلوكها وفي نظرتها للأشياء، فالإنسان يعيش في عالمين عالم خارجي موضوعي وعالم ذاتي باطني هو مجموعة تصوراته للعالم الخارجي أو مجموعة المفاهيم والدلالات، ولا يستطيع الإعلامي أن ينجح في تحقيق هدفه إلا إذا عرف هذه العوالم الباطنية أو التطورات الخاصة أو الدلالات الحقيقية للأشياء في ذهن المستقبل، ذلك إن لكل فرد عالمه الخاص وتصوراته الذاتية المشتقة من بيئته وثقافته، ويخطئ الإعلامي حين يظن إن ما يقدمه من معلومات وأفكار سوف تفهم بالطريقة التي يفهمها هو بها، فهناك عقبات عديدة في سبيل ذلك مثل التحيز والتعصب والخرافات والأوهام بالإضافة إلى السن واللغة والدين والاتجاهات.

المستوى اللغوي المناسب في اللغة الإعلامية:

تقوم اللغات المشتركة دائما على أساس لغة موجودة تتخذ لغة مشتركة من جانب أفراد وجماعات، تختلف لديهم صور التكلم. والظروف التاريخية هي التي تفسر لنا تغلب هذه اللغة، وتعلل انتشارها في جميع مناطق التكلم المشتركة، فهي دائما لغة وسطى، تقوم بين لغات أولئك الذين يكلمونها[٧٢]، وهذه السمة المشتركة لكل لغة مشتركة، إذا أتيح لها أن تنتشر في قطر من الأقطار أو في دولة من الدول، أخذت العناصر المشتركة التي تدخل في تكوينها، ويؤدي ذلك إلى النزول بمستواها كلما ازدادت انتشارا وازدادت العناصر التي تستعيرها من صور اللهجات المحلية(...) وقد فرضت طبيعة المتلقي من حيث ثقافته وطبقته الاجتماعية على كتّاب الصحف والبرامج الإخبارية الإذاعية (مسموعة – مرئية) بشكل عام مستوى لغويا معينا هو مستوى الفصحى، إلا أن الفصحى يتفاوت في فهمها ذلك الجمهور العريض من المتلقين بمختلف فئاته وطبقاته. والكاتب الصحفي لا يريد إن يخاطب فئة أو طبقة دون الأخرى بل يريد مخاطبة الجميع (٢٣). وقد ناقش هذه المشكلة كتّاب وباحثون من قبل مثل (فرح انطون) الذي رأى أنه لا يوجد في واقعنا اللغوي "عامية وفصحى فقط بل يوجد إلى جانبهما لغة وسطى وهي ما أطلق عليه فرح انطون اصطلاح "الفصحى المخففة" أو "العامية المشرقة" أو "اللغة المتوسطة" وهي تشبه إلى حد ما اللغة التي أطلق عليها توفيق الحكيم اسم "اللغة الثالثة" وما وصفه الأستاذ عباس خضر في مقال له صفة "اللغة الختنى"(٢٤).

إن استخدام الفصحى وحدها أو العامية وحدها غير مقبول.. لذا فانه كان من الضروري إيجاد لغة ثالثة صحيحة لا تجافي قواعد الفصحى وهي في نفس

٧٢- محمد عبدو / اللغة العربية بين الثبات والتغيير/ مجلة المعرفة السورية ، العدد ٤٠٣، ١٩٩٧، ص١١٥

الوقت ما يمكن أن ينطقه الأشخاص ولا ينافي ولا جو حياتهم، لغة سليمة يفهمها كل جيل، وكل قطر وكل إقليم، بمعنى آخر، لغة موحدة مشتركة مخففة.

اللغة الإعلامية بين الفصحى والعامية:

إذا كانت اللغة العربية هي اللغة الشعرية أو الشاعرة كما وصفها الاستاذ العقاد، لغة بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية، فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه، فان اللغة العربية كذلك لغة إعلامية، ونريد بذلك إنها لغة بنيت على نسق الفن الإعلامي بمفهومه الحديث، تعرض مواد مبسطة يسهل على الجماهير فهمها كما إنها تتمشى مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، فالألفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم إلى الأشياء، واللغة العربية لغة دالة، ترمي إلى النمذجة والتبسيط من خلال منهج لوضع الألفاظ للمعاني الجديدة، يختار صفة من صفات الشيء الذي يراد تسميته أو بعض اجزائه أو نواحيه أوتحديد وظيفته وعمله، وعليه فان اللغة الإعلامية لا تختلف في منهج تطويرها للغة عما يريده اللغويون وحراس اللغة، ورغم إن الصحفي مطالب بتكيف أخباره ومقالاته وفنونه التحريرية وفقا للقوالب الصحفية المنشورة، فان عليه إن يحرص على القواعد المصطلح عليها في النحو والصرف والبلاغة وما إليها، وإذا كانت اللغة الإعلامية تحرص على مراعاة القواعد اللغوية المصطلح عليها فإنها تحاول كذلك أن تحرص على خصائص أخرى من بساطة وإيجاز ووضوح ونفاذ مباشر وتأكيد وأصالة وجلاء واختصار [٧٣]، ذلك لن كل كلمة في اللغة الإعلامية يجب أن تكون مفهومة من قبل الجمهور المستقبل كما يجب أن تعرض بطريقة جذابة تحقق يسر القراءة أو الاستماع، أما أنواع التورية وازدواج المعاني أو الحالات الانفعالية حول الألفاظ

٧٣- شرف عبد العزيز / اللغة الإعلامية / دار الجيل ، بيروت، ص١٣٤.

وغيرها من فنون الأدب التي تؤدي إلى المعاني الخاصة في الشعر فهي بعيدة تماما عن لغة الإعلام لأنها تقطع تيار الاتصال الذي يجب أن يظل مجراه صافيا غيرا.

إن اللغة العربية لغة غنية وثرية وبالتالي فهي تقبل أي تجديد أو اي ألفاظ جديدة تطرأ عليها، تلك التي تفرضها واقع الحال أو المرحلة الزمنية التي تتطلب ألفاظا خاصة بها لتعبر عن الأحداث والوقائع التي ترافق تلك المرحلة الزمنية والتي لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ القديمة التي هي أيضا لم تكن إلا وليدة مرحلة زمنية، فمن أهم المقاييس التي يعرف بها ارتقاء اللغات هو مقياس الدلالة على الزمن، وهذا المقياس يصبح من أهم مظاهر اللغة الإعلامية، لأن الصحفيين ورجال الإعلام يكتبون لكل الناس في كل الأوقات وليس لجزء من الناس في كل الأوقات أو لكل الناس بعضا من الوقت، فكل كلمة تتضمنها عبارات النص الإعلامي يجب أن تكون مفهومة من عامة القراء وجمهور المستقبلين، ولهذا تظهر بلاغة اللغة الإعلامية من علامات الزمن في أفعال لغتها الأم لان عامل الوقت يلعب دورا رئيسيا في تغطية الأخبار وتحريرها وإخراجها من جهة، كما يتميز الإعلام بالدورية والإيقاع من جهة أخرى، فهو يروي حدثا بعينه في إطار زمن محدد، فاللغة التي تدل على الزمن بعلامات مقررة في الفعل انسب وأصلح للإعلام من اللغة التي خلت من تلك العلامات وبمقدار الدلالة تكون هذه اللغة الإعلامية أكثر من تلك. إن الكلمات لا تستعمل في واقع اللغة الإعلامية تبعا لقيمتها التاريخية، ذلك أن للألفاظ في الإعلام قيمة وقتية أي محددة باللحظة التي تستعمل فيها وقيمة المفردات خاصة بالاستعمال الوقتي الذي تستعمله، وقد تمر لحظة تستعمل فيها كلمة ما استعمالا مجازيا، ولكن هذه اللحظة لا تطول لان اللفظة في اللغة ليس لها إلا معنى واحد في الوقت الواحد.

إن استخدام اللغة العربية بشطريه الفصيح والعامية في وسائل الإعلام ومدى ملائمة وعدم ملائمة كل منهما في الوقت نفسه، أدى إلى ظهور تيارين، تيار يؤيد استخدام اللغة العربية الفصحى في وسائل الإعلام والآخر يرفض هذا

المبدأ داعيا إلى استخدام العامية بدلا منها، إذ يرى التيار الأول(الفصيح) أن استخدام العاميات تعتبر تهجينا وإفسادا للغة والثقافة، وان اللغة العربية الفصحى تؤدي إلى فوائد علة منها تنمية الحس الفني لجمالية اللغة وخلق مناعة مستمرة تجاه عوامل التجزئة على الصعيد القومي والوطني، بينما سيؤدي استخدام العامية إلى تكريس التجزئة الوطنية والقومية وبالتالي فهي انتحار، بينما يرى التيار الآخر أن واقع الحال يفرض استخدام العامية فهي اللغة المشتركة الأقرب إلى فهم الجمهور. [٧٤]

ترجع الباحثة "فريال مهنا" جنوح اللغة الإعلامية إلى الاستعانة بالعاميات إلى عدة أسباب منها إن وسائل الإعلام الجماهيري صنعت جمهورا إعلاميا يحتوي على شرائح أمية أو شبه أمية أبجديا وثقافيا مما جعل الفصحى تشكل حائلا اصطلاحيا وتواصليا وتأثيريا لا يمكن تخطيه إلا باللجوء إلى العاميات.

(١) اعتقاد بعض الوسائل الإعلامية التي تدخل العاميات إلى اغلب موادها، أن ذلك هو الوسيلة المثلى لاستقطاب الجمهور، مدفوعة باعتقاد أن مواكبة العصر والتطور ومحاكاة الأمم الأكثر تقدما تستوجب الابتعاد عن الفصحى واللجوء إلى العاميات.

(٢) المضامين الهابطة لبعض المواد (البرامج) وخاصة الترفيهية، تحتم استخدام العاميات، لان الفصحى لا تلاؤم بطبيعتها مع هذا النوع من الثقافات الترفيهية.

(٣) تمسّك بعض الأوساط الثقافية والأكاديمية بحرفية اللغة العربية التراثية إلى حد التعصب مما يدفع العديد من القائمين على الإعلام نحو التخلي التدريجي عن اللغة الفصحى.

٧٤- كمال الحاج "الاعلام النامي"، مطبوعات جامعة دمشق ، دمشق ، ص٤٠٦.

واللغة العربية بسبب هذا الواقع تبدو اليوم من أكثر اللغات حيرة بين الولاء لماضيها وماضي أصحابها الثقافي، وبين الالتزام بمتطلبات الوقائع والأحداث الجديدة، وحرصا على سلامة اللغة العربية الفصحى من التجزئة والتشتت والضياع وعدم الهبوط بالمستوى الثقافي اللغوي لدى الجمهور، وفي الوقت نفسه عدم استخدام لغة غير قادرة على التعبير عما يجري على ارض الواقع من مجريات جديدة، فان المطلوب هو السعي إلى توازن لغوي خلاق بين الولاء للماضي والالتزام بالحاضر كما أسلفنا الذكر.

المراجع

المراجع العربية:

- القرآن الكريم.
- حسام الخطيب، لغة الثقافة ولغة الاعلام، مجلة الاداب، العدد ١-٣، ك٢ - اذار ١٩٨٤، بيروت.
- السعدي البدوي، مستويات العربية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢.
- عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٧.
- د. عبد الجبار ولي، المفاهيم الاساسية لعملية الاتصال اللغوي والتصويري، المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين، بغداد ١٩٨٠.
- عبد العزيز شرف، المدخل الى وسائل الاعلام، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٦٨.
- كريم زكي حسام، اصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٥.
- كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٦٧.
- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٢.
- ميشال زكريا، الالسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والاعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣.
- مصطفى لطفي، اللغة العربية في اطارها الاجتماعي، معهد الانماء العربي، بيروت ١٩٨١.

- نايف خرما، اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٧٨.
- وليد ابو بكر بين لغة الادب ولغة الاعلام، مجلة الاداب، العدد ١-٣، ك٢ – اذار ١٩٨٤.
- عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٧.
- كريم زكي حسام الدين، اصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٥.
- د. عبد العزيز شرف، المدخل الى وسائل الاعلام، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٠.
- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٢، ص٢٦٤.
- د. حسام الخطيب، لغة الثقافة ولغة الاعلام، مجلة الاداب العدد ١-٣ ك٢- اذار ١٩٨٤ بيروت.
- مصطفى لطفي، اللغة العربية في اطارها الاجتماعي، معهد الانماء العربي، بيروت ١٩٨١.
- كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٦٧.
- علي بن شويل القرني، الخطاب الإعلامي العربي، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٧.
- عز الدين ميهوبي، القاموس الإعلامي: صحافتنا وتعويم اللغة، يوم دراسي حول دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ١٥يوليو٢٠٠٢، ص٣٦.

- سوزان اقليني وعزة عبدالعظيم، الأنماط الثقافية والتربوية والسلوكية(البرامج التنشيطية والدرامية مثالا)، الإذاعات العربية، ع١٠ اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس٢٠٠٢، ص١١١.
- علي ليلة، الثقافة العربية والشباب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١ ٢٠٠٣، ص٥٤.
- محمد إبراهيم عيد، الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة، القاهرة، ط١ ٢٠٠٢، ص٦٤.
- عبد العزيز شرف، الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، دار قباء القاهرة، ١٩٩٨، ص١٠٧-١٠٨.
- عبدالله أبو هيف، اللغة العربية وتحديات العولمة، المجلة العربية للثقافة، ع٤٣ س٢١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ديسمبر٢٠٠٢.، ص٤١٨.
- جان بياجيه، اللغة والفكر عن الطفل، ترجمة احمد عزت راجح، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٤.
- د. جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٠.
- د. محمد شومان عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية: بحث مقدم إلى ندوة العولمة وقضايا الهوية الثقافية. المجلس الأعلى للثقافة أبريل ١٩٩٨.
- عبد الإله بلقزيز: العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة في ندوة العرب والعولمة.
- د. محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، ندوة في العرب والعولمة.
- أحمد مجدي حجازي: العولمة وتهميش الثقافة الوطنية رؤية نقدية من العالم الثالث، مجلة عالم الفكر.
- السيد ياسين: العولمة والطريق الثالث، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٩.

- بيتر ديكن: الشركات الكبرى المتعددة المواطن والدولة الأم، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، عدد (١٥١).
- د. برهان غليون: منهج دراسة مستقبل الديمقراطية في البلدان العربية. المستقبل العربي: العدد ٢١٣.
- حيدر إبراهيم: العولمة وجدل الهوية الثقافية، مجلة عالم الفكر: المجلد ٢٧.
- السيد يس: النظام الثقافي العربي بين الأزمة والانهيار في التقرير الاستراتيجي العربي، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- د. حسن حنفي كبوة الحضارة والإصلاح والنهضة ومستقبل العرب.
- د:عبد الله عبد الدائم دور التربية العربية المتغير مع دخول القرن الحادي والعشرين. مجلة شؤون عربية العدد٣٩.
- هانس بيتر مارتن وهارولد شومان: فتح العولمة ترجمة: عدنان عباس علي عالم المعرفة.
- عبد الواحد مشعل، الجهاز المرئي والتنشئة الاجتماعية في الأسرة العربية المعاصرة، مجلة البحوث الإعلامية، عدد مزدوج (٢٧، ٢٨).
- عبد الجليل كاظم والي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٧٥.
- صالح السنوسي، العرب من الحداثة إلى العولمة، القاهرة، دار المستقبل.
- موسى الأشخم، العولمة والأمركة – المفاهيم والآثار، مجلة دراسات، العدد١٣.
- د. عبد الرحمن الرشدان، دور التربية في مواجهة تحديات العولمة في الوطن العربي ، مجلة شؤون عربية، العدد ١١٣.
- السيد أحمد مصطفى عمر، إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٥٦.
- د. عواطف عبد الرحمن، قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي (القاهرة، دار الفكر العربي).

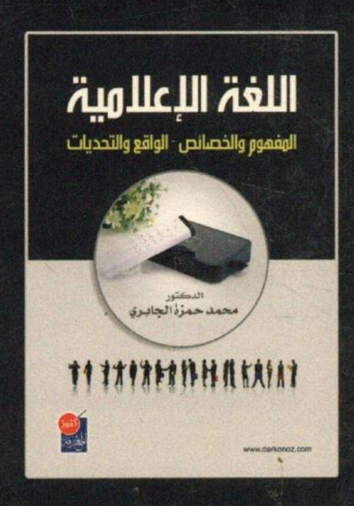
- انس بيتر مارتين وهارالد شومان، ترجمة: د.عدنان عباس علي، فخ العولمة: الاعتداء علي الديمقراطية والرفاهية، الكويت: عالم المعرفة.
- غسان العزي، جذور العولمة وإشكالياتها، مجلة منبر الحوار، بيروت.
- د. محمد عابد الجابري، حديث صحفي لجريدة المستقلة، لندن، العدد ١٧٠.
- برهان غليون "هل تعني العولمة عودة الاستعمار بثياب جديدة ؟."، صحيفة الأنباء، الخرطوم العدد ٩٠٦.
- محمد مهدي شمس الدين: "العولمة وأنسنة العولمة"، في مجلة منبر الحوار، مجلة فصلية، العدد ٣٧.
- حسن توفيق إبراهيم العلاقة بين أطروحتي العولمة ونظام عالمي جديد، في مجلة منبر حوار، العدد ٣٧.
- د. جلال أمين، "المسلمون في مواجهة ثورة المعلومات" في مجلة المجتمع، العدد ١٣٤٤.
- د.مختار عثمان الصديق، "الإعلام الإسلامي المعاصر" في مجلة أفكار جديدة، الخرطوم: هيئة الأعمال الفكرية، العدد (٤).
- غادة السمان، "لحظة حرية"، مجلة الحوادث،، العدد ٢٢٤٢.
- مجلة حصاد الفكر، العدد ١٣٥، عرض لكتاب بدائل العولمة.
- العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- العولمة وعالم بلا هوية، د. محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام.
- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

- صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة.
- العولمة وأثرها على اقتصاد الدول، نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط.
- فخ العولمة، هانس بيتر مارتن، هارالد شومان، ترجمة: د. عدنان عباس.
- العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع.
- العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال.
- المسلمون والعولمة، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى.
- د. صلاح عودة الله: "قضايا عربية" مقال بعنوان "الإعلام العربي بين غياب الديمقراطية والتبعية الغربية"، مجلة الفوانيس.
- مجلة (وجهات نظر).
- حمدي عبدالعزيز: "التيارات السياسية والفكرية الأمريكية".
- علاء بيومي: "مسلمو الولايات المتحدة وآثار سبتمبر"
- د عبد الرحمن الرشدان: "دور التربية في مواجهة تحديات العولمة في الوطن العربي" مجلة شؤون عربية العدد ١١٣.
- الصحافة اليومية والإعلام د. سامي ذبيان دار المسيرة \ بيروت ١٩٨٧
- الصحافة مهنة ورسالة د. خليل صابات دار المعارف القاهرة ١٩٧٧
- الإعلام ولغة الحضارة د. عبد العزيز شرف دار المعارف القاهرة ١٩٧٧
- مسؤولية الصحافة العربية تجاه القيم والنظام الاجتماعي د. بركات عبد العزيز محمد كلية الإعلام جامعة القاهرة مجلة الفكر العربي.
- التنسيق والتكامل في مجال التخطيط الإعلامي على المستوى القومي بحث مقدم إلى اجتماع خبراء التخطيط الإعلامي في الوطن العربي.
- قضية التخطيط الإعلامي في الوطن العربي بحث المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم القاهرة.

- التشريعات الصحفية وجرائم النشر وجيه توفيق جبري مطبعة الداودي.
- محاضرة عبد الله عبود الجامعة اللبنانية كلية الإعلام والتوثيق ١٩٨٥
- الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي د. نبيل علي عالم المعرفة عدد ٣٦٥.
- السيد، محمد نادر؛ لغة الخطاب الإعلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، .
- الرعين، عطا الله؛ "المنطق واللا منطق في الخطاب الإعلامي، مطبوعات جامعة دمشق، دمشق، ط١، ٢٠٠٥.
- ٣_ الحاج، كمال؛ الإعلام النامي، مطبوعات جامعة دمشق، دمشق، ط١.
- خوري، صقر؛ "الفكر واللغة"، مجلة المعرفة، دمشق، العدد ٤٩٦
- شرف، عبد العزيز؛ "اللغة الإعلامية"، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١.
- شرف، عبد العزيز؛ علم الإعلام اللغوي، المركز الثقافي الجامعي، القاهرة، ط١، ١٩٨١.
- عبد الجليل، منقور؛ "علم الدلالة"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١،
- فلفل، محمد عبدو؛ "اللغة العربية بين الثبات والتغيير"، مجلة المعرفة.

المراجع الأجنبية

- Tompkins,Phillip,k.,principles of rigor for assessing evidence in qualitative , communication research, westem journal of communication,1994.
- Roy Langer, the concept of discourse analysis of complex communication events،
- PartriciaA.Curtin,Textual analysis in mass communition studies:Theory and Methodology
- Kevin Howley, Textually mapping newpaper discourse
- ndrew Tolson ,mediations , text and discourse in ,1996. media studies, Arnold,London
- James W.Tankard,reappraising discourse analysis and iplications for news studies,1994
- Norman fairclough,Media Discourse,London, Edward Arnold ,1995.
- Ellen Barton,Resources for discourse analysis in compesition studies.
- Kress,Gunter and Hodge, Roert ,Language as ideology , London , Routledge and Kegan Paul ,1979.
- Coates Jennifer ,ed,Language and Gender, A reader , Maiden,MA,Blackwell.1988 .
- Alastair Pennycook , critical applied linguistics in A Davies and C.Elder, eds, Handbook of applied linguistics Oxford:Blackwell,2002.
- Analysis, Brett Delinger,Critical Discourse.



اللغة الإعلامية

المفهوم والخصائص - الواقع والتحديات





الأردن - عمان
وسط البلد - مجمع الفحيص
هاتف : 877 4655 6 962+
فاكس : 875 4655 6 962+
خلوي : 494 795525 962+
ص.ب : 712577
Dar_konoz@yahoo.com
info@darkonoz.com



دار كنوز المعرفة العلمية
للنشر والتوزيع